وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف
كلية الآداب والفنون
قسم اللغة العربية

أطـــروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في العلوم

تخصص: **اللغة العربية**

العنوان:

الحقول الدلالية في القرآن الكريم: أسس البناء وملامح التشكيل

حقل ألفاظ الرؤية أنموذجا

من إعداد الطالب:
رضوان شيهان

نوقشت بتاريخ: ..../ ..../ ..... من طرف اللجنة المشكلة من:

لخضر قدور قطاوي	أستاذ محاضر (أ)	جامعة الشلف	رئيس
عبد القادر شارف	أستاذ التعليم العالي	جامعة الشلف	مقرر
سعاد بسناسي	أستاذ التعليم العالي	جامعة وهران	ممتحن
عمر بوقمرة	أستاذ محاضر (أ)	جامعة الشلف	ممتحن
أحمد بن عجمية	أستاذ محاضر (أ)	جامعة الشلف	ممتحن
الجيلالي زحاف	أستاذ محاضر (أ)	جامعة سعيدة	ممتحن

إهـــداء

أهدي هذا العمل إلى:

والديَّ الكريمين

شكر وتقدير

الحمد لله تعالى الذي أعانني على إخراج هذا العمل في صورته الأخيرة، وعلى تشريفي بتوجيه الأستاذ المكرم:

الأستاذ الدكتور/ عبد القادر شارف.

والشكر للأساتذة أعضاء لجنة المناقشة الذين شرفوني بتخصيص جزء من وقتهم لقراءة هذا العمل ومناقشة أفكاره.

والتقدير الخالص لصاحبة اليد البيضاء والهمة العالية؛ زوجتي، على الخدمة والصبر والتحفيز.

مقدِّمـــة

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد بن عبد الله، أشرف الناس نسبا، وأفصحهم لسانا، وأبلغهم حجّة، وعلى آله وصحبه المكرمين، وعلى من اتبعهم بإحسان إلى يوم الحق المبين، وبعد:

شكَّل القرآن الكريم منذ نزوله على سيدنا محمد(صلى الله عليه وسلم) المعين الذي نهلت منه عقول النابهين، فأنتجت منه عبر قرون متعاقبة علوما غزيرة شكلت تراثا إنسانيا عظيما، وقد كان لعلوم اللغة فيها شأن عظيم، فاللغة هي العمود الفقري الذي قامت عليه كل الدراسات التي دارت في فلك القرآن الكريم، لأنها حقيقة الإعجاز فيه، أسهم في كشف دقائقها الأصوليون، وأبحر في لججها المفسرون، وأقام قواعدها اللغويون، وأبدع في فنونها الأدباء والمثقفون، ولا تزال محور العلماء العاملين في حقل النص القرآني إلى يوم الدين.

ويتجلى الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم في أصغر وحدة لغوية دلالية، هي الكلمة، قال الله تعالى﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا ﴾ [الكهف:109]، وقد لقيت الكلمة اهتمام الباحثين قديما وحديثا، حيث شكلت مبتدأ أبحاثهم اللغوية وجوهرها، ويتضح ذلك من خلال عملية جمع اللغة، وما تمخض عنها من كتب الألفاظ التي اعتمدوا فيها على أكثر من منهج؛ كالمنهج التاريخي، واعتناؤهم بالجانب التطبيقي الذي تبلورت به أفكارهم النظرية فيما بعد، ونتجت عنها المعاجم المتنوعة.

وقد ازداد الاهتمام بالكلمة أكثر من خلال العلوم التي استقرأت أصول تكويناتها الصرفية، وقواعد تركيباتها النحوية، وطرق استعمالاتها الجمالية البلاغية، ومن هنا كان الاهتمام بالكلمة هو دأب كل راغب في اقتحام معترك البحث في القرآن الكريم.

لقد أغنى علماء العربية القدامى مكتبة الدرس الدلالي ببحوث لا تحصى، حاولت تشكيل فهم عام للدور الوظيفي الذي تؤديه الكلمة في اللغة عموما، وفي النص القرآني على وجه الخصوص، وقد اجتهد عبد القاهر الجرجاني(ت471هـ) في بلورة تلك البحوث في نظريته المشهورة؛ نظرية (النظم).

كما أسهم اطلاع الباحثين العرب المحدثين على الدراسات اللغوية الغربية، في اتساع آفاق البحث في الكلمة القرآنية، من خلال الثورة العلمية التي حاولت عولمة البحث اللغوي، بالبحث في الخصائص المشتركة بين اللغات الإنسانية، وأدت إلى ظهور المعالم الأولى لعلم الدلالة الذي شكل أهمية قصوى في فهم الرؤية التي تعبر عنها اللغة، وذلك على يد **ماكس مولر**(*MAX MULLER*)، **و ميشال بر**يال(*MICHEL BREAL*) الذي كان أول من استعمل المصطلح (سيمانتيك– *Sémantique*).

وقد انتعشت الدراسات الدلالية في العصر الحديث ببزوغ نجم البنيوية؛ تلك الدراسة التي اتخذت من المنهج الآني عنوانا لها، وتناولت تحليل البنية الداخلية للغة من جوانبها الصوتية والمعجمية والتركيبية والدلالية، وقد أثارت ملاحظات رائدها فرديناند **دوسوسير**(*Ferdinand de Saussure*) حول العلاقة بين طرفي الثنائية(دال/مدلول) بحوثا دلالية كثيرة، تعلقت موضوعاتها بأنواع الدلالة وأقسامها، ونظريات دراسة المعنى؛ كنظرية الحقول الدلالية والنظرية السياقية.

وقد كانت نظريتا السياق والحقول الدلالية، أهم نظريتين شكلتا المحور الرئيس لعلم الدلالة، وحولهما دارت أغلب بحوثه، التي ركزت على الكلمة ودور المناهج اللغوية في دراسة دلالاتها، باعتبارها–أي الكلمة– الوحدة الأساسية لكل من النحو وعلم الدلالة.

إن الكلمة المفردة في أية لغة تندرج تحتها مجموعة من الألفاظ، تدل على الأفراد أو الأحداث أو التصورات، جمعت تحت عنوان واحد، وكونت صنفا واحدا، ولذلك كانت مفردات لكل لغة من اللغات ضربا من التصنيف للموجودات في حقول دلالية تسهم في فهم العلاقات بينها.

وتصنيف تلك الألفاظ هو تقسيم المعاني وترتيبها في نظام خاص، وعلى أساس معين، بحيث تبدو الصلة واضحة بين بعضها بعضا، فمعنى الكلمات محدد وفق قائمة بألفاظ اللغة، وترتبط فيما بينها بمجموعة من الظواهر المتشابهة والقابلة للمقارنة والاستبدال، ويتحدد المعنى أكثر حين ظهوره في بنية المعجم الذي يمتلكه المتكلم، أو وفق التغيرات التي تطرأ على معاني الكلمات المرتبطة بمجموعة دلالية معينة، وتسمى تلك المجموعة ذات العناصر المتقاربة الدلالة **بـالحقل الدلالي** أو **الحقل المعجمي**.

إن مدلول الكلمة يرتبط بالكيفية التي تشترك فيها مع الكلمات الأخرى في الحقل المعجمي نفسه لتغطية أو تمثيل الحقل الدلالي، وتكون كلمتان في الحقل الدلالي عينه إذا أدى تحليلهما إلى عدد من العناصر المشتركة.

والتراث اللغوي العربي لم يعرف مصطلح الحقل الدلالي، كما لم يعرفه اللغويون العرب المحدثون إلا بعد اطلاعهم على الدراسات اللغوية الغربية، على الرغم من أن علماء العربية قديما قد عرفوا مفهومه وتطبيقاته.

وقد نالت الحقول الدلالية في القرآن الكريم في العصر الحديث قسطا وافرا من الاهتمام والبحث، واختلفت مناهج الباحثين في تقديم تصوراتهم لبنائها، حيث أن السعي لتشكيل تصور حول بناء أي حقل دلالي قرآني ليس أمرا يسيرا، إذ تدخل فيه تشكل ذلك التصور

أطراف متشابكة، أهمها طبيعة المدونة القرآنية المغلقة التي تتميز بأنظمة دلالية متشابكة، وطبيعة الحقل المدروس ونوعه.

وهذا البحث ينطلق من الفكرة التي أثارها المفكر الياباني **توشيهيكو إيزوتسو** (*Toshihiko Izutsu*)، الذي يرى أن الدراسة الدلالية للقرآن الكريم تهدف إلى بيان شبكة المفاهيم القرآنية المتصلة بالعلاقة بين الله والإنسان، ويمثل اللفظ أو الكلمة المفتاحية الأداة الأبرز في بيان تلك المفاهيم. إن اختيار مجال مفاهيمي (حقل دلالي) في القرآن الكريم ليكون موضوعا للدراسة هو الخطوة الأولى لفهم الشبكة المعقدة من المفاهيم القرآنية، أو من الرؤية التي تكونها اللغة القرآنية عن عالم الإنسان وعلاقته بغيره.

سأحاول من خلال هذا البحث استيضاح بعض الأسس التي يبنى على أساسها الحقل الدلالي القرآني، كما يحاول استخلاص بعض ملامح تشابكات حقوله وتشكيلها للمفاهيم القرآنية، وذلك بالانتقال من الخاص إلى العام؛ أي من الحقل الدلالي إلى النص القرآني ككل، وهو محاولة لتقييم الأفكار المتمخضة عن الدراسات التصنيفية للألفاظ القرآنية التي ازدهرت مع الوعي بأهمية نظرية الحقول الدلالية.

وبناء على ذلك جاء هذا البحث موسوما بعنوان(**الحقول الدلالية في القرآن الكريم: أسس البناء وملامح التشكيل)** ليحاول الإجابة على مجموعة أسئلة، من أهمها:

- ما هي الأسس التي يجب أن يعتمدها الباحث في بناء حقل دلالي قرآني؟
- ما هي ملامح تشكيل الحقل الدلالي القرآني؟
- كيف يسهم الحقل الدلالي في بناء المفاهيم القرآنية؟

ولما كان حقل ألفاظ الرؤية قد تشكلت لدينا صورة بنائه، فإننا سنتخذ منه أنموذجا ننطلق منه في الدراسة، وألفاظ الرؤية هي كل الألفاظ المتعلقة بالرؤية مهما كانت طبيعتها؛ رؤية بآلة الرؤية التي هي جارحة (العين)، أو رؤية قلبية متعلقة بالمعاني الحسية والروحية (البصيرة)، أو رؤية علمية متعلقة بالمعاني العقلية الناتجة عن التفكر والتدبر، أو رؤيا منامية (حُلُمية)، أو رؤية ربانية لا تشبيه فيها ولا تأويل.

سأنطلق في هذا البحث من افتراضات رئيسية تمليها طبيعة السياق القرآني، وهي أن الحقول الدلالية القرآنية ليست ذات بناء واحد، وأن الفروق الدقيقة بين عناصر كل واحد منها تستوجب الوصف الدقيق، لفهم تعالقها مع غيرها داخل الحقل وخارجه، وهذا ما سيقود إلى الافتراض أيضا أن الحقول الدلالية وإن سعى بعضها للانفراد بمفهوم قرآني معين، فإنها لا تنفك تتشابك مع بعضها، لتشكيل مفاهيم أكبر وأوسع، لا يمكن بأي حال من الأحوال إقامة حدود فاصلة بينها، سواء على مستوى الألفاظ، أو على مستوى الحقل ككل.

ولعل أهم أسباب اختياري لهذا الموضوع، ارتباطي بتعلم كتاب الله مذ فتح الله عيني عليه، وشغفي بالبحوث المتعلقة به، خصوصا الدلالية منها، ورغبتي في إثراء المكتبة الجامعية الجزائرية بعمل نوعي في الدراسات القرآنية.

والأبحاث السابقة المتعلقة بموضوع هذا البحث كثيرة، منها البحوث المطبوعة؛ ككتاب «بين الله والإنسان في القرآن» لليابابي **توشيهيكو إيزوتسو**، وكتاب «تطور البحث الدلالي: دراسة تطبيقية في القرآن الكريم» لمحمد حسين علي الصغير، وكتاب«ظاهرة التكرار في القرآن الكريم: أغراض وأسرار» لمصطفى بن حبيب شريقن، و«قاموس القرآن الكريم؛ مضمون القرآن الكريم في قضايا الإيمان والنبوة والأخلاق والكون» لمحمد عبد الهادي

أبوريدة، ومنها بحوث معاصرة كثيرة في مرحلتي الماجستير والدكتوراه، متعلقة بحصر الحقول الدلالية القرآنية لم تطبع، كبحثي«الأعلام في القرآن الكريم» للطالب: أحمد مصلح حسين دريدي، و«أعلام المكان في القرآن الكريم: دراسة دلالية» للطالب: يوسف أحمد أبو ريدة، وهما من جامعة النجاح الوطنية بفلسطين.

وقد اعتمدت في بيان دلالات عناصر حقل ألفاظ الرؤية على معاجم تراثية مشهورة، منها «كتاب العين» **للخليل بن أحمد الفراهيدي**(100هـ/175هـ)، و«معجم مفردات ألفاظ القرآن» **للراغب الأصفهاني**(ت403هـ)، و«القاموس المحيط» **للفيروزآبادي**(ت817هـ)، **ولسان العرب لابن منظور**(**630هـ/711هـ**).

ولبيان تفسير الآيات، وفهم سياقاتها اعتمدت على تفسيرين لهما قيمة علمية كبيرة لدى الباحثين؛ أولهما تفسير« الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل » **لجار الله محمود الزمخشري**(ت 538هـ/1143م) الذي حاز تنويه وإشادات القدامى والمحدثين، حتى عدوا ما بعده من التفاسير عالة عليه، أما الثاني فهو تفسير حديث بلغت شهرته الآفاق، وتصدر بحوث العلماء المحدثين، هو تفسير«التحرير والتنوير» **للشيخ الطاهر بن عاشور**(1879م/1973م)، كما استأنست بتفسيرين آخرين هما: تفسير أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (**224هـ/310هـ**) من كتابه (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، وتفسير عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي(**ت671هـ**)؛ المسمى(الجامع لأحكام القرآن، والمبين لما تضمنه من السنة و آي الفرقان).

إن تناول الجوانب العلمية للظاهرة اللغوية المعقدة يفرض استخدام أكثر من منهج واحد، ولذلك وجب الجمع بين الجانبين التنظيري والتطبيقي، حيث يمكننا تعميق البحث وتتبع

الظواهر الدلالية باستخدام المنهج التاريخي، والشمول في رصدها باستخدام المنهجين؛ الإحصائي، والوصفي التحليلي لاعتمادهما على عدد كبير من الشواهد المطمئنة.

وقد انتظم البحث في مقدمة وخاتمة وأربعة فصول، في كل فصل ثلاثة مباحث؛ ففي الفصل الأول عرضت مفهوم علم الدلالة، وأصوله في التراث العربي والتراث الغربي، وأشرت إلى أهمية الدلالة واقسامها في الدرس اللغوي العربي القديم، مع ذكر بعض النماذج التطبيقية، وتقديم تعريف لعلم الدلالة، وعرض ملخص لأهم نظريتين تعنيان بدراسة المعنى، ثم بدأت في الولوج رويدا إلى تحديد الأسس التي يقوم عليها بناء حقل دلالي في القرآن الكريم، من خلال نموذج(حقل ألفاظ الرؤية).

وأما الفصل الثاني فقد خصصته لعرض البناء الحقلي للمفاهيم المتعلقة بأهم ثلاثة ألفاظ أساسية في الحقل النموذجي، وفق التصور الذي عرضته في آخر مبحث من الفصل الأول، وأما الفصل الثالث، فقد خصصته للحديث عن إسهام ظاهرة التكرار اللفظي في التبئير الدلالي للكلمة القرآنية، لأخلص في الفصل الرابع إلى بيان إسهام البؤر اللفظية في تشكيل الأبعاد المفهومية للحقل الدلالي، من خلال ثلاثة نماذج رئيسية من حقل ألفاظ الرؤية، وفي ختام البحث قدمت عرضا لأهم النتائج المتوصل إليها.

إنَّ أي بحث متعلق بدراسة ألفاظ القرآن الكريم سيلاقي صعوبات متعلقة بطبيعة النص، ولذلك وجب الاحتراس في اختيار مصادر الموضوع ومراجعه، والتأني أثناء محاولة إثبات فكرة، خصوصا أن معظم البحوث الدلالية التي خصصت لألفاظ القرآن إما بحوث معجمية تصنيفية، أو بحوث مفهومية متعلقة بحصر المفاهيم المتعلقة بألفاظ متفرقة.

وفي الأخير أسأل الله تعالى أن يجنبني الحديث عن كلامه بغير علم، وأن يغفر لي خطأً ارتكبته عن جهل، أو نسيانًا اعتراني عن غفلة، وأن يعينني على تدارك كثير من الأفكار التي فاتتني في هذا البحث، شاكرا في هذا المقام أستاذي المشرف، الذي أحاطني بتوجيهاته، وغمرني بجميل صبره؛ **أ.د/ عبد القادر شارف**.

إن هذا الجهد جهد مقل، يكفيني فيه شرف البحث في كتاب الله العزيز، لتعظيم شأنه، وطلب مغفرته ورضوانه.

والحمد لله رب العالمين.

الطالب: رضوان شيهان

الأحد 03 ربيع الثاني 1438 هـ

الموافق لـ 01 يناير 2017م

الفصل الأوَّل

بناء الحقل الدلالي ضمن نظريتي السياق والحقول الدلالية

- ا/ أهمية الدلالة في الدرس اللغوي.
- **ب/** الدراسة الدلالية للألفاظ القرآنية: بين الحقل والسياق.
- **ج/** تحديد الألفاظ المشكلة لحقل دلالي قرآني.

ا/ أهمية الدلالة في الدرس اللغوي: لقد حظيت اللغة بعناية الباحثين منذ أن تنبهوا إلى دورها المحوري في تشكيل نظم الإنسان الاجتماعية والثقافية، فاللغة كما هو معلوم ترتبط بالتفكير الإنساني والمظهر السلوكي اليومي، وهي تسهم في تأسيس تصور إنساني خاص عن الوجود.

وإذا كان للغة كل هذا الشأن، فإننا لا نتعجب من ارتباط الدراسات اللغوية المتقدمة بالتمظهرات العقدية للإنسان، وقد كانت قضية الدلالة في لب القضايا الرئيسية الأولى التي أثيرت وارتبطت بالفكر الديني، وذلك من خلال التساؤل المشروع عن نشأة اللغة، وكان التصور الأولي لطبيعة العلامة اللغوية بأنها العلاقة الضرورية بين اللفظ والمعنى، وهي شبيهة بالعلاقة اللزومية بين النار والدخان[1]، وقد اجتهد أوائل الباحثين اللغويين من الهنود واليونانيين والعرب في تحديد تصوراتهم لطبيعة الدلالة وأقسامها.

وقد شكلت الكلمة اللبنة الأولى للدراسات الدلالية، فهي في كل لغة تدل على الجنس أو النوع أو أصناف الموجودات المادية والمعنوية، وهي بذلك تكوّن لدى الناطقين بها تصورا خاصا عن العالم.

والكلمة هي المكون الأبرز في نظام اللغة، ولا يمكننا فهم طبيعة ذلك النظام إلا إذا حللنا دلالاتها داخله، ضمن المستويات اللغوية المعهودة، التي تنضوي كلها في المستوى الدلالي بأشكال متعددة.

لقد أولي البحث الدلالي في النصف الثاني من القرن العشرين عناية كبرى مع تطور الدرس اللساني، ونتج عن هذا الاعتناء ظهور علم لغوي جديد يهتم بالمعنى، هو «**علم**

---

[1] ينظر: علم الدلالة، أحمد مختار عمر، ط7، عالم الكتب، القاهرة– مصر: 1993م، ص19.

الدلالة» (**سيمانتيك**/ Sémantique)، وقد برز هذا العلم في خضم الدراسات اللغوية (اللسانية) الغربية، ليتجاوز حدود اللسانيات إلى الخوض في الجوانب الصورية للغة، وقد ناء كثير من العلماء اللغويين بجهد تطوير مباحث علم الدلالة، والعمل على استقلاله؛ بتحديد موضوعاته ومناهجه وأدواته، ولا شك أن ذلك لم يكن أمرا يسيرا في خضم التشابك والتداخل الحاصلين بين مباحث علم اللغة.

والإشارة الآنفة إلى الجهد الغربي في تأسيس هذا العلم، لا تعمينا عن الجهود العظيمة لعلماء العربية القدامى والمحدثين في النهوض بالدرس الدلالي في شقيه النظري والتطبيقي، فقد تآلفت جهود اللغويين والبلاغيين والأصوليين في إثراء المباحث الدلالية وتعميقها، وأنتجت تراثا خصبا ما يزال قيد التحقيق والنقد إلى يوم الناس هذا، وليس من شأننا في هذا البحث عرض كل تلك الجهود الكبيرة لعلماء العربية القدامى، ولا للغربيين المحدثين، بل سنكتفي ببعض الإشارات كلما دعت الحاجة، وفي البدء لابد من تقديم تعريف علم الدلالة.

ا-1/ تعريف الدلالة(*Signification*):

ا-1-1/ لغة: قال **الخليل بن أحمد الفراهيدي**(100هـ/175هـ): "الدّلالة مصدر الدَّلِيل، بالفتح والكسر"[1]. وأصل الاستعمال عند العرب حسّي، يقصد به الاهتداء إلى الطريق، ثم استعملت للدلالة على الهداية المعنوية العامة والشرعية.

ومادة (**دلّ**) تشتمل على أكثر من معنى، وفي مقدمتها «البيان والدليل»؛ قال **ابن فارس**(ت395هـ): "الدال واللام أصلان؛ أحدهما إبانةُ الشيء بأَمارة تتعلمها، والآخر

[1] كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد (**الفراهيدي**)، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دط، دار ومكتبة الهلال، مصر: دت، 43/2. مادة(دل)، باب (الدال واللام)

اضطـــرابُ فـــي الشـــيءِ، فـــالأول قولـــهم: دَلَلْـــتُ فلانـــاً علـــى الطريـــق. والـــدليل الأَمـــارة فـــي شيءٍ"[1].

وقد عقد **أبو الفتح عثمان بن جني**(322هـ/392هـ) بابا في الخصائص سماه« **في الدلالة اللفظيـة والصـناعية والمعنويـة**»، قسّم فيـه الدلالـة علـى ثلاثـة أقسـام، جـاعلاً ترتيبهـا بهـذه الصـورة معتمـدا علـى قـوة كـل دلالـة وضـعفها، مبينـاً "أنهـا فـي القـوة والضـعف علـى ثـلاث مراتب؛ فأقواهُنَّ الدلالة اللفظية، ثم تليها الصناعية، ثم تليها المعنوية"[2].

وكذلك فعل **أبو بكر الباقلاني**(ت403هـ)، حين ذكر مصطلحات الاستدلال والدليل والدال والمدلول والمُسْتَدِل، وبيّن ماهية كل منها، فعرَّف الاستدلال بأنه نظر القلب المطلوب به علم ما غاب عن الضرورة والحس، وأنّ الدليل هو ما أمكن أن يتوصل بصحيح النظر إليه إلى معرفة ما لا يُعلم باضطراره، وأنّ الدال هو ناصب الدليل، وأنّ المدلول هو ما نُصِب له الدليل، وأما المُستدل فهو الناظر في الدليل، واستدلالُه: نظر في الدليل، وطلبُهُ به علم ما غاب عنه[3].

ا-1-2/ اصطلاحا: عرّف **الراغب الأصفهاني**(ت403هـ) الدلالة اصطلاحا بأنها "ما يُتَوصَّل به إلى معرفة الشيء، كدلالة الألفاظ على المعنى، والإشارات والرموز الكتابية والعقود في

---

[1] معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد **(ابن فارس)**، تح: عبد السلام محمد هارون، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان: 2001م، مادة(دل)، ص330.

[2] الخصائص، أبو الفتح عثمان**(ابن جني)**، تح: عبد الحكيم بن محمد، دط، المكتبة التوفيقية، مصر: دت، 69/3.

[3] ينظر: الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، القاضي أبو بكر بن الطيب **(الباقلاني)**، تح: محمد زاهد بن الحسن الكوثري، ط2، المكتبة الأزهرية للتراث(دار التوفيق النموذجية)، مصر: 2000م، ص15.

الحساب"[1]، وعرفها **علي بن محمد الجرجاني** (ت816هـ) بأنها" كون الشيء بحالةٍ يلزم من العلم به العلم بشيءٍ آخر، والشيء الأول هو الدال، والثاني هو المدلول"[2].

وفي الغرب، ظهر مصطلح (الدلالة) لأول مرة "في نهاية القرن التاسع عشر على يد الفرنسي **ميشال بر**يال (Michel Breal)، وذلك سنة (1883م) قاصداً به علم المعنى"[3].

وفي ضوء ما تقدم، فإنّ الدلالة تعني ما يدل عليه اللفظ أو التركيب من معنىً، وذلك أنَّ "دلالة أي لفظ هي ما ينصرف إليه هذا اللفظ في الذهن من معنىً مدرك أو محسوس"[4].

1-2/ مفهوم الدلالة وأنواعها عند علماء العربية القدامى: إن لعلماء العربية القدامى فضل لا يجحد في التأسيس لمباحث علم الدلالة العربي، على ما كان بينهم من اختلاف في فهم الدلالة، ولم يكن الاهتمام بالبحث الدلالي حكرا على النحويين واللغويين فحسب، بل تعداه إلى البلاغيين والأصوليين وعلماء الاجتماع، بدءا **بالجاحظ**(ت255هـ/868م) مؤسس المدرسة البيانية، مرورا **بعبد القاهر الجرجاني**(ت471هـ) صاحب مدرسة النظم، ثم **السكاكي**(ت 626هـ) رأس المدرسة الشمولية، وانتهاء **بابن خلدون**(ت1406م) زعيم المدرسة الارتقائية[5].

---

[1] المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد **(الراغب الأصبهاني)**، مكتبة نزار مصطفى الباز للنشر، دط، القاهرة- مصر: دت، 228/1.

[2] التعريفات، علي بن محمد بن علي **(الجرجاني)**، تح: عادل أنور خضر، ط1، دار المعرفة، بيروت- لبنان: 2007م، ص99.

[3] علم الدلالة، كلود جرمان و ريمون لوبلان، تر: نور الهدى لوشن، ط1، جامعة قاريونس، بنغازي- ليبيا: 1997م، ص7.

[4] الأضداد في اللغة، محمد حسين **(آل ياسين)**، ط1، مطبعة المعارف، بغداد- العراق: 1974م، ص55.

[5] المدارس اللسانية في التراث العربي وفي المدارس الحديثة، محمد الصغير(**بناني)**، دط، دار الحكمة، الجزائر: 2001م، ص16.

لقد كان الجاحظ من أوائل من أشاروا إلى العلاقة بين اللفظ والمعنى، أو بين الدال والمدلول، وذلك في كتابه (الحيوان) حيث قال: "... ثم إن حكم المعاني خلاف حكم الألفاظ، لأن المعاني مبسوطة إلى غير نهاية وممتدة إلى غير نهاية، وأسماء المعاني مقصورة معدودة، ومحصلة محدودة"[1]، كما حصر الدلالات من لفظ وغير لفظ في خمسة أنواع "لا تنقص ولا تزيد؛ أولها اللفظ، ثم الإشارة، ثم العقد، ثم الخط، ثم الحال التي تسمى نصبة"[2]، وهذه الأنواع عبر عنها بمفهوم المشاكلة، و هي باختصار "نظرية عامة لتحليل النصوص الأدبية وغيرها"[3].

وقد كان للبلاغيين إسهامات أساسية في البحث الدلالي، من خلال تركيزهم على الناحية الوظيفية والجمالية؛ فأسسوا علما المعاني والبيان ومباحثهما المتعلقة بالحقيقة والمجاز، ويعد « معجم أساس البلاغة» **لجار الله محمود الزمخشري** (ت 538هـ/1143م) من أهم ما أُلِّف في هذا الشأن[4]، وقد أوغل البلاغيون في الحديث عن فكرة اللفظ والمعنى والعلاقة بينهما، وتعد نظرية النظم التي أرسى دعائمها **عبد القاهر الجرجاني**(ت471هـ) في مصنفه «دلائل الإعجاز» من أهم ما توصل إليه الفكر العربي اللغوي؛ حيث رد معاني الألفاظ إلى

---

[1] الحيوان، أبو عثمان عمرو بن محبوب(**الجاحظ**)، شر و تح: يحي الشامي، ط3، دار مكتبة الهلال، بيروت– لبنان: 1997م، ج 6، ص81.

[2] البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن محبوب(**الجاحظ**)، شر: علي أبو ملحم، دط، دار مكتبة الهلال، بيروت– لبنان: 2002م، مج1/ص82. وينظر: إلى شرح هذه الأصناف في: المدارس اللسانية في التراث العربي وفي المدارس الحديثة، ص18 وما بعدها.

[3] المدارس اللسانية في التراث العربي وفي المدارس الحديثة، ص18. وينظر تفصيل الأنواع الخمسة في الصفحات التي تليها.

[4] المعجم اللغوي العربي من النشأة إلى الاكتمال، الأخضر ميدني(**ابن حويلي**)، دط، دار هومة، الجزائر:2003م، ص147.

العلاقات التي تحكمها داخل النظام اللغوي(النحو)، ولذلك قال: "اعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو"[1].

وقد جاوز **أبو الحسن حازم القرطاجني**(ت684هـ) صاحب مصنف« منهاج البلغاء وسراج الأدباء»، منهج البلاغيين في دراسة اللفظ وأحوال مطابقته لمقتضى الحال، إلى البحث في حقائق المعاني ذاتها، وأحوالها، وطرق استحضارها وانتظامها في الذهن، وأساليب عرضها، وصور التعبير عنها[2].

أما الأصوليون فقد تجلت صورة البحث الدلالي عندهم في عكوفهم على استنباط الأحكام الشرعية من نصوص القرآن العظيم والسنة النبوية، واعتمادهم في ذلك على النحو الذي به تتحدد إشكالات تلك الأحكام، وإثارتهم للقضايا الدلالية المرتبطة بالأحكام الأصولية، حيث قسموا اللفظ "بحسب الظهور والخفاء، والترادف، والاشتراك، والعموم والخصوص، والتخصيص والتقييد"[3].

وقد كان لاختلاف منهج البحث الأصولي عند المدرستين الفقهيتين؛ مدرسة الشافعية (المتكلمون) ومدرسة الحنفية، الأثر الواضح في المباحث الدلالية، حيث خَلُصَ الأصوليون

---

[1] دلائل الإعجاز، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد(**الجرجاني**)، تح: محمود محمد شاكر، ط3، دار المدني، جدة- المملكة العربية السعودية: 1992م، ص81.

[2] ينظر: مدخل/ منهاج البلغاء وسراج الأدباء، أبو الحسن حازم (**القرطاجني**)، تق وتح: محمد الحبيب بن الخوجة، ط3. دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان: 1986م، ص95-96.

[3] علم الدلالة، أحمد مختار عمر، ص21. وينظر: الإحكام في أصول الأحكام، علي بن محمد (**الآمدي**)، دط، مؤسسة الحلبي، دمشق- سورية: دت، ج1، ص9.

إلـى تحديـد نـوعين مـن الدلالـة؛ دلالـة منطوق(دلالـة لفظيـة)، ودلالـة مفهوم(دلالـة غيـر لفظية)[1].

وفي عهد **القاضي عبد الجبار المعتزلي**(ت414هـ)[2]، الذي كان يفرق بين دلالتين للفظ؛ "الأولى ناتجة عن الوضع اللغوي، والثانية ناتجة عن السياق"[3]، خضع المتكلمون أخيرا- في توضيح حقيقة البيان – لفكرة الجمع بين اللفظ والمعنى(الدال والمدلول).

تتفرق الأبحاث الدلالية في الفكر اللغوي الإسلامي بين كثير من العلوم، ولذلك فقد أسهم النقاش العلمي المتبادل بين كثير من العلوم النظرية من جهة، وعلوم اللغة من جهة أخرى، في صياغة ملامح فكر دلالي، ولكن "ليس معنى وجود الاهتمامات السابقة بمباحث الدلالة أن علم الدلالة قديم في نشأته قدم الدراسات اللغوية... إن معالجة قضايا الدلالة بمفهوم العلم، وبمناهج بحثه الخاصة، وعلى أيدي لغويين متخصصين إنما تعد ثمرة من ثمرات الدراسة اللغوية الحديثة، وواحدة من أهم نتائجها"[4]، ولذلك فقد تزامنت البحوث الدلالية لعلماء العربية المحدثين مع النهضة العلمية اللغوية في الغرب، ولا جدال في أنها تتبعت منهجها في الدرس اللغوي عامة، وفي الدرس الدلالي خاصة.

ومن جهة أخرى يمكننا القول أن "لمن المجازفة أحيانا أن نقرأ التراث العربي عامة واللغوي خاصة في ضوء ما استحدث من مناهج ونظريات، ذلك أن التراث نما في تربة غير

---

[1] **دلالة المنطوق:** هي دلالة اللفظ على حكم ذكر في الكلام ونطق به، ;**دلالة المفهوم:** هي دلالة اللفظ على حكم لم يذكر في الكلام ولم ينطق به.

[2] أثر المتكلمين في تطور الدرس البلاغي؛ القاضي عبد الجبار نموذجا، مصطفى **(أبو شورب)** وأحمد محمود المصري، ط1، دار الوفاء لدنيا الطباعة، الإسكندرية- مصر: 2006م، ص27.

[3] المرجع نفسه، ص16.

[4] علم الدلالة، أحمد مختار عمر، ص21-22.

التربة التي عهدناها راهنا، وسقي بماء غير الماء الذي نعرفه في أيامنا هذه، فالبيئة التي كان يعايشها هؤلاء تختلف عنا نحن العرب رغم اشتراكنا في بعض الخصائص الفكرية؛ إذ يجمع بيننا – على الأقل– النص القرآني المقدس"[1].

ا–3/ أنواع الدلالة في التراث اللغوي العربي:

ا–3–1/ الدلالة الوضعيّة: هي الدلالة الأصلية الأولى في الاستعمال اللغوي، التي يصطلح على تسميتها كثير من الدلاليين بالدلالة المُعْجمية، وتبدأ بالمعنى الحسي العقلي، لذلك تسمى عقلية؛ لأن العقل يدرك فيها علاقة الوضع بين وجهيها الدال والمدلول، ينتقل لأجلها منه إليه[2]، ولأن المحسوسات–التي هي أول ما يتصل بجوارح الإنسان– هي أولى المدارك المعرفية عنده، وتنتهي(أي الدلالة الوضعية) – بعد تطور استعمالي قد يطول أمده– بالمعنوي(المجرد). إن عاملي الزمن والاستعمال مهمان في حدوث التطور الدلالي للكلمة، حيث تنتقل من خلالهما الدلالة الوضعية من المعنى الأصلي الحسي الحقيقي، إلى المعنى المجرد المجازي، مع بقاء ما يدل على المعنى الأصلي.

وقد اصطلح **التهانوي** (ق12هـ) على تسمية هذه الدلالة بـ (المطابقية)، وعرفها بأنها "فَهمُ العالِم بالوضع المعنيِّ من اللفظ على تمام ما وُضِعَ له ... كدلالة الإنسان على مجموع الحيوان الناطِق" [3]، فالدلالة المطابقية عنده هي الدلالة التي تنشأ عن أصل الوضع.

---

[1] الظاهرة الدلالية عند علماء العربية القدامى حتى نهاية القرن الرابع الهجري، صلاح الدين (**زرال**)، ط1، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت– لبنان: 2008م، ص217.

[2] كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد علي (**التهانوي**)، تق: رفيق العجم، ط1، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت– لبنان: 1996م، ج1/ص788.

[3] كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، 789/1.

ا-3-2/ **الدلالــة العُرفيّــة:** تتحـول الدلالـة الوضـعية بعـرف الاسـتعمال إلـى دلالـةٍ جديـدة، اصطلح على تسميتها بالعرفية، وقد عرفها الجرجاني بأنها "ما استقرت النُفُوس عليه بشهادة العقل، وتلقته الطبائع بالقَبول"[1]، كدلالة الدخان على النار.

ا-3-3/ **الدلالــة الشـرعيّة:** لقد كـان للإسـلام دور فـي انتقـال بعـض الألفـاظ مـن دلالاتهـا اللغوية التي كانت عليها قبله، إلى دلالات جديدة أقرها القرآن الكريم أو الحديث الشريف، ومن بعد الصحابة ومن تبعهم من العلماء، وقد اصطلح على تسمية هذا النوع من الألفاظ باسم الألفاظ الإسلامية.

ويعرِّف **الرازي**(ت322هـ) الألفاظ الإسلامية بأنَّها "أسامٍ دلَّ عليها النبي(صلى الله عليه وسلم) في هذه الشريعة، ونزل بها القرآن، فصارت أصولاً في الدين وفُروعاً في الشريعة، لم تكن تُعرف قبل ذلك، وهي مشتقة من ألفاظ العرب، وأسام جاءت في القرآن لم تكن العرب تعرفها ولا غيرها من الأمم، مثل تسنيم، وسلسبيل، وغسلين، وسجين"[2].

ويؤكد **أبو هلال العسكري** (ت395هـ) هذا المعنى بمزيد من التوضيح، فيقول عن اللفظ الإسلامي بأنه "ما نُقِل عن أصله في اللغة، فسُمِّي به فعل أو حُكمٌ في الشرع، نحو الصلاة، والزكاة، والصوم، والكفر، والإيمان، والإسلام"[3]؛ فلفظ (الصلاة) مثلا يدل في اللغة على

---

[1] التعريفات، ص137.

[2] كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية العربية، أبو حاتم أحمد بن حمدان (**الرازي**)، ط1، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء- اليمن:1415هـ - 1994م، ص140

[3] الفروق اللغوية، أبو هلال الحَسَن بْن عَبْد الله بْن سهل (**العسكري**)، دط، تح وتع: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة، مدينة نصر، مصر:1998م، ص66.

الدعاء والاستغفار، ثم انتقلت الدلالة إلى معنى الصلاة التي هي العبادة المخصوصة، و"سميت هذه العبادة بها كتسمية الشيء باسم بعض ما يتضمنه"[1].

1-3-4/ الدلالة الصوتيّة: مصطلح (الدلالة الصوتية) أطلق حديثا على الدلالة التي تُستمد من طبيعة كثير من الأصوات، حيث يمكن إدراك الصلة الواضحة بين الدال والمدلول عن طريق إيثار صوت على آخر[2]، وقد تحدث عنها فقهاء اللغة العربية وعدُّوها من خصائصها، وممن أطال في شرحها وحاول التأسيس لها كنظرية، ابن جني في كتابه (الخصائص) في باب سماه(إمساس الألفاظ اشباه المعاني) حيث قال: "فأما مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث فباب عظيم واسع... وذلك أنهم كثيرا ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبر عنها، فيعدلونها بها ويحتذونها عليها"[3].

وقد عرض ابن جني أمثلة عديدة من كلام العرب، كقولهم "خضم، وقضم؛ فالخضم لأكل الرطب؛ كالبطيخ والقثاء وما كان نحوهما من المأكول الرطب، والقضم للصلب اليابس؛ نحو: قضمت الدابة شعيرها، ونحو ذلك"[4].

والدلالة الصوتية متعلقة في كثير من الألفاظ بالدلالة الصرفية، لذلك نجد ابن جني- وهو المتخصص في علم الصرف- لا ينفك مؤكدا على الدلالة الصرفية، إذ رصد بابا آخر لشرح هذه الدلالة، سماه (باب في قوة اللفظ لقوة المعنى)، عرض فيه أمثلة عديدة، منها قوله:

---

[1] معجم مفردات ألفاظ القرآن، الحسين بن المفضل أبو القاسم(**الراغب الأصفهاني**)، ط1، دار الفكر، بيروت- لبنان: 2006م، ص214 مادة(صلا)

[2] ينظر: دلالة الألفاظ، إبراهيم (**أنيس**)، ط5، مكتبة الأنجلو، مصر: 1984م، ص46.

[3] الخصائص، 104/2.

[4] المصدر نفسه، 105/2.

"أعشب المكان، فإذا أرادوا كثرة العشب فيه قالوا: اعشوشب"[1]، على وزن **افعوعل**، لأنهم "جعلوا تكرير العين في المثال دليلا على تكرير الفعل"[2].

ومن بين الأمثلة الكثيرة التي زخر بها القرآن الكريم لفظ(اكتسب) كما في قوله تعالى﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: من الآية286]؛ أي "لها ما كسبت من الخير، وعليها ما اكتسبت من الشر"[3]، حيث ورد الفعل بصيغتين مُختلفتين هُما: (فَعَل) و(افْتَعَل)، " فزيد في لفظ فعل السيئة وانتُقِص من لفظ فعل الحسنة"[4]، لأن (السيئة) أمرها عظيم، فجاء لفظ(اكتسبت) مفخما للتعبير عنها في مقابل لفظ(كسبت)؛ للدلالة على أن كسب الحسنة أمر يسير ومستصغر إذا ما قورن باكتساب السيئة [5].

ا-3-5/ الدلالة الحقيقية والدلالة المجازية: الدلالة الحقيقية هي الدلالة الأصلية أو دلالة أصل الوضع، وهي "كلُّ كلمة أريد بها ما وقعت له في وضع واضِعٍ وقوعاً لا تستند فيه إلى غيرهِ"[6].

---

[1] الخصائص، 188/3.

[2] المصدر نفسه، 102/2.

[3] تفسير القرطبي؛ المسمى(الجامع لأحكام القرآن، والمبين لما تضمنه من السنة و آي الفرقان)، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر **(القرطبي)**، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان: 2006؛ 492/4.

[4] الخصائص، 189/3 .

[5] ينظر: المصدر نفسه، 189/3 .

[6] أسرار البلاغة، عبد القاهر**(الجرجاني)**، اع: ميسر عقاد ومصطفى شيخ مصطفى، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان:2007م، ص250.

وقد تخرج الكلمة عن دلالتها الأصلية الحقيقية الموضوعة لها إلى معنىً جديد هو المعنى المجازي، بطريق التوسُّع الدلالي، كالاستعارة، والكناية، والمجاز العقلي، وغير ذلك، وقد عرفه الجرجاني بأنه" كل كلمة جُزت بها ما وقعت له في وضع الواضع إلى ما لم توضع له، من غير أن تستأنف لها وضعا، لملاحظةٍ بين ما تُجُوِّز بها إليه، وبين أصلها الذي وضعت له في وضع واضعها"[1]، وهو أيضا "ما أريد به غير ما وضع له لمناسبة بينهما، كتسمية الشجاع أسدا"[2]، فلفظ (أسد) دلّ على معنىً خارجٍ عن دلالته الوضعية، وهي (الشجاع)، وذلك لما بينهما من التلازم.

وللألفاظ كيفيات في طرق انتقالها من الحقيقة إلى المجاز؛ منها أنَّ "اللفظ يشيع استعماله في جيلٍ من الأجيال للدلالة على أمرٍ معين، وكلَّما ذُكِر اللفظ خطرت نفس الدلالة في الأذهان دون غرابةٍ أو دهشةٍ، وهو من أجل هذا مما يُسمَّى بالحقيقة. فإذا انحرف به الاستعمال في مجالٍ آخر، فأثار في الذهن غرابةً أو طرافةً، قيل: إنّه من المجاز"[3]، ومنها انتقال اللفظ من دلالته الحسِّية إلى دلالة معنوية، نحو قوله تعالى﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [آل عمران: الآية21]، فأصل البشارة "الخبر بما يُسَرُّ المخبرُ به، إذا كان سابقاً به كل مُخبِر سواه" [4]، واستعملت في هذه الآية وفي آيات أخر استعمالاً مجازياً على سبيل

---

[1] أسرار البلاغة، ص251.

[2] التعريفات، ص183-184.

[3] دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، ص130.

[4] تفسير الطبري: من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير **(الطبري)**، قح و تذ وتع: بشارة عواد معروف وعصام فارس الحرستاني، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان: 1415هـ - 1994م، ج1/ص142، وينظر:

التهكم، فلفظ (بَشَرَ) إذن يحمل دلالتين؛ دلالة المدح وإدخال المسرة على المؤمنين المتقين، ودلالة الذم والسخرية والإهانة والوعيد للكافرين.

1-3-6/ الدلالة التضمنية: وهي "أن يدلّ اللفظ على جزء معناه الموضُوع له، الداخل ذلك الجزء في ضمنه، كدلالة لفظ الكتاب على الورق وحده أو الغلاف"[1]، وكدلالة الإنسان على الحيوان الناطِق [2]، ودلالة لفظ (البيت) على (السقف) بطريق التضمّن، لأنَّ (السقف) جزء منه؛ إذ (البيت) عبارة عن السقف والحيطان[3] .

1-4/ تعريف علم الدلالة(سيمانتيك- Sémantique): يعرَّف علم الدلالة بأنه "العلم الذي يدرس المعنى، أو ذلك الفرع من علم اللغة الذي يتناول نظرية المعنى"[4]، وهو جزء من النظرية اللسانية الحديثة، وعلم واسع "إلى درجة أن كل شيء تقريبا مما يمكن اعتباره ذا معنى-أي معنى- يكون مؤهلا تماما لأن يصبح موضوعا لعلم الدلالة"[5].

ويعد علم الدلالة أهم فرع من فروع علم اللغة، وهو يقوم على أساس تحديد العلاقة بين الدال(Signifiant) والمدلول(Signifie)، وهي علاقة لا يمكن ضبطها إلا إذا تعرفنا على

الإتقان في علوم القرآن، أبو الفضل عبد الرحمن بن الكمال أبو بكر جلال الدين(**السيوطي**)، دط، قح: خالد العطار، دار الفكر، بيروت- لبنان: 2010م، 350/2.

[1] كتاب المنطق، محمد رضا (**المظفر**)، ط3، دار التعارف للمطبوعات، بيروت- لبنان: 127هـ-2006م، ص37.

[2] كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، 790/1.

[3] المستصفى من علم الأصول، أبو حامد محمد بن محمد (**الغزالي**)، تح: محمد سليمان الأشقر، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان: 1997م، 74/1.

[4] علم الدلالة، أحمد مختار عمر، ص11.

[5] بين الله والإنسان في القرآن؛ دراسة دلالية لنظرة القرآن إلى العالم، توشيهيكو (**إيزوتسو**)، تر: علي العاكوب، ط1، دار الملتقى، حلب- سورية: 2007م، ص31.

طبيعة وخصائص طرفيها؛ أما الأول فهو القيمة الصوتية أو الصورة الأكوستيكية، وأما الثاني فهو المحتوى الذهني أو الفكري، وهما حسب **دوسوسير**(1857م- 1913م) وجهان لورقة واحدة هي العلامة اللسانية، وبذلك تكون الكلمة عند الكثيرين الموضوع الأول للدلالة[1]، وهي مبتدأ اهتمام علماء الدلالة، ولكن لما توسعت الدراسات وبرز مفهومُ توسُّعِ الوحدة الدلالية، "ظهر الاهتمام بالجملة التي كان يعتبرها بعض الباحثين أهم وحدات المعنى، وأهم من الكلمة نفسها، إذ لا يوجد في رأيهم معنى منفصل للكلمة، بل معناها في الجملة التي تقع فيها"[2].

وقد ذهب العالمان اللغويان ريتشاردز (1893م/1979م)(I.A. *Richards*) و أوقدن (1889م/1957م)(C.K.Ogden) في بحثهما المشترك «معنى المعنى»(1923م)، إلى إضافة عنصر ثالث يشكل العلامة اللسانية وهو **المرجع**(Referent)، ولذلك فأصحاب هذه النظرية "يقولون إن المشار إليه لا يجب أن يكون شيئا محسوسا قابلا للملاحظة... فقد يكون كذلك، كما قد يكون كيفية، أو حدثا، أو فكرة تجريدية"[3].

لا يمكن للدال اللغوي أن يحيلنا على الشيء الذي يعنيه في الواقع مباشرة، وإنما مرورا بالمدلول أو المحتوى الذهني الذي يرجعنا إلى الشيء الذي تشير إليه العلامة اللسانية، فالعلامات اللسانية حسب النموذج السوسيري يشترط أن تكون دالة على معنى، وأن تكون مستعملة، وأن تنتمي إلى نظام من العلامات اللغوية.

---

[1] علم الدلالة، نور الهدى لوشن، ص24.

[2] النحو والدلالة؛ مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي، عبد اللطيف محمد **(حماسة)**، ط1، دار غريب، القاهرة- مصر: 2006م، ص54.

[3] علم الدلالة، أحمد مختار عمر، ص55.

وقد أدرك **عبد القاهر الجرجاني**(400هـ/471هـ) أن من مهام البحث الدلالي دراسة المعنى في المستويين الإفرادي والتركيبي، حيث قال: "وجملة الأمر أن ههنا كلاما حُسنه للفظ دون النظم، وآخر حُسنه للنظم دون اللفظ، وثالثًا قد أتاه الحسن من الجهتين، ووجبت له المَزِيَّة بكلا الأمرين"[1].

والدلالات التي يتناولها علم الدلالة متنوعة بحسب المستويات اللغوية؛ فهناك الدلالة الصوتية[2]، والدلالة الصرفية[3]، والدلالة النحوية[4]، والدلالة المعجمية[5]، ونتيجة تعدد هذه الدلالات ظهرت مباحث كبرى استقلت – أو هي في طور الاستقلال– كعلوم؛ مثل السيميائيات(Sémiologie)، وعلم الخطاب(Discourse Science)، وعلم اللغة النصي(Linguistics script)، وعلم تداولية الخطاب(Pragmatique).

1-5/ ملامح النظرية الدلالية عند علماء العربية القدامى: إن أول محاولة منهجية بارزة لوضع نظرية دلالية عربية، قام بها **ابن جني** في كتابه (الخصائص)، من خلال محاولة ربط تقلبات المادة اللغوية بدلالة واحدة[6]، ثم تبعتها محاولة **أحمد بن فارس**(ت395هـ-1005م) في كتابيه« الصاحبي في فقه اللغة العربية» و«معجم مقاييس اللغة» حين حاول رد المشتقات إلى أصول ذات دلالة واحدة، والكشف عن الصلات القائمة بين الألفاظ والمعاني

---

[1] دلائل الإعجاز، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد(**الجرجاني**)، تح: محمود محمد شاكر، ط3، دار المدني، جدة– المملكة العربية السعودية: 1992م، ص99.

[2] تتناول أهم العناصر الصوتية المشاركة في الدلالة. ينظر: التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة؛ دراسة في الدلالة الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية، محمود(**عكاشة**)، ط1، دار النشر للجامعات، مصر: 2005م، ص29.

[3] ينظر: المرجع نفسه، ص61.

[4] ينظر: م ن، ص114.

[5] ينظر: التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، ص157.

[6] ينظر: الخصائص، 2/134-135.

في أكثر من وجه، كدلالة تسمية الشيء الواحد بالأسماء المختلفة، وكذلك الحال بالنسبة للأفعال فيما يتوهّم من دلالتها على مدلول واحد، كما قدم تصوره لتآلف الأصوات وتكوينها للكلمات المسموعة أو المفهومة أو الدالة على معنى، وذلك عنده شيء واحد متقارب في استنتاج الدلالة الخاصة بكل شكل ذي حروف مؤلفة، مبينا ذلك بقوله: "زعم قوم أن الكلام ما سمع وفهم، وذلك قولنا (قام زيد) و(ذهب عمرو)، وقال قوم: الكلام حروف مؤلفة دالة على معنى، والقولان عندنا متقاربان؛ لأن المسموع المفهوم لا يكاد يكون إلا بحروف مؤلفة تدل على معنى"[1].

ولم يقتصر اهتمام علماء العربية القدامى على البحث في مستويات الدلالة النحوية والبلاغية فحسب، بل تعداه أيضا إلى المستوى الصوتي، ويظهر ذلك جليا في ملاحظات الخليل بن أحمد وشروحات ابن جني المستفيضة حول دور الصوت في تحديد الدلالة؛ وبحثه في المقابلة الدلالية للألفاظ بما شاكل أصواتها من الأحداث[2]، ومن أمثلة مقالاته تلك ما أورده عن الخليل في كتابه الخصائص إذ يقول:" قال الخليل: كأنهم توهموا في صوت الجندب استطالة ومدًّا فقالوا: صر، وتوهموا في صوت البازي تقطيعا فقالوا: صرصر، وقال سيبويه في المصادر التي جاءت على (الفعلان) إنها تأتي للاضطراب والحركة، نحو الغليان، الغثيان، فقالوا بتوالي حركات المثال توالي حركات الأفعال"[3].

وهكذا فقد كان للغويين والنحاة دورا في وضع الأسس السليمة لمباحث علم الدلالة، على ما كان بينهم من تمايز في فهم الدلالة، وقد تعدى هذا الاهتمام بالدرس الدلالي إلى

---

[1] الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أبو الحسن أحمد **(ابن فارس)**، تح: أحمد حسن بسج، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان: 1997م، ص47.

[2] ينظر: الخصائص، 157/2.

[3] المصدر نفسه، 152/2.

البلاغيين، وعلماء الاجتماع، بدءا بالمدرسة البيانية مع الجاحظ، مرورا بمدرسة النظم مع عبد القاهر الجرجاني، ثم المدرسة الشمولية مع السكاكي، وصولا إلى المدرسة الارتقائية مع ابن خلدون[1].

ا-6/ معالم الدراسة الدلالية للقرآن العظيم عند علماء العربية القدامى: إن المتتبع للتراث العربي ليدرك بسهولة أن البحث الدلالي قد واكب البحث اللغوي- وهو جزء منه- وتطورا في حضن النص القرآني؛ الظاهرة الإعجازية الدلالية المبهرة المتفردة، التي استدعت الملاحظة الدقيقة في المستوى اللغوي الدلالي، وذلك ما نستشفه من الأحكام العامة الأولى التي أطلقها المسلمون والعقلاء من الكفار على هذا النص.

لقد تمثلت البدايات الأولى للدرس الدلالي في القرآن الكريم باهتمام علماء العربية القدامى بشرح معاني الألفاظ القرآنية وبيانها، وتأليف كتب الألفاظ؛ كالرسائل الإفرادية، وكتب معاني ألفاظ القرآن وإعجازه، ومعاجم المعاني وغيرها، وهي دلائل شاهدة على اعتنائهم بالجانب التطبيقي.

ومن أمثلة تلك المصنفات كتب الغريب، ككتاب «غريب القرآن وتفسيره» **لأبي عبد الرحمن اليزيدي**(ت 237هـ/851م)، وكتاب « تحفة الأريب بما في القرآن من غريب» **لأثير الدين أبي حيان الأندلسي**(ت 745هـ/1344م)، وكتب الأشباه والنظائر، ككتاب « تصاريف القرآن» **ليحي بن سلام**(ت 200هـ/815م)، وكتب المعاني، ككتاب «معاني القرآن» **لأبي الحسن سعيد بن مسعدة** (الأخفش الأوسط)(ت215هـ/830م)، وكتب المبهمات، ككتاب «مفحمات الأقران في مبهمات القرآن» **لجلال الدين السيوطي.**

---

[1] المدارس اللسانية في التراث العربي وفي المدارس الحديثة، محمد الصغير(**بناني**)، دط، دار الحكمة، الجزائر: 2001م، ص16.

وعقب تلك المصنفات اللغوية ظهرت المعاجم بأنواعها؛ كمعاجم الألفاظ ومعاجم الموضوعات[1]، و قد سبق العربُ الغربَ في العمل المعجمي، "إذ تعود أقدم المعاجم في اللغات الأوروبية الحالية إلى القرن السابع عشر ميلادي"[2]، ولم تتضح صورة المعاجم العربية إلا على يد عالمين لغويين أندلسيين هما **أحمد بن أبان**(ت382هـ) صحاب معجم العالم ، و**ابن سيده** (398هـ/ 458هـ)، ويعد «معجم مفردات ألفاظ القرآن العظيم» للراغب الأصفهاني، من أوائل المعاجم المهتمة بألفاظ القرآن الكريم.

ا-7/ معالم الدراسة الدلالية للقرآن العظيم عند علماء العربية المحدثين: لقد انتعشت الدراسات الدلالية المتصلة بالقرآن الكريم مع بزوغ شمس النهضة الإسلامية الحديثة، تلك النهضة الأدبية والفكرية التي قاد فيها علماء أفذاذ حملة الدفاع عن التراث الإسلامي تحقيقا وتحليلا ونقدا، مع بداية زوال الجيل القديم من المستشرقين، الذين استأثروا بحركة تحقيق التراث إبان الحقبة الاستعمارية التي عرفها العالم العربي والإسلامي.

وقد تجددت حركة التفسير، وازدهر البحث في القرآن العظيم ولغته خلال القرن العشرين، فحاول الباحثون العرب استكناه التراث ووضعه في قوالب تنظيرية، وذلك في إطار تأثرهم بالفكر التنظيري الغربي، فازدهر البحث اللغوي في شتى ميادينه، وظهرت -عبر عقود متتابعة- حركة التفسير على أيدي ثلة من الأعلام؛ كالشيخ **رشيد رضا**(1865م- 1935م) صاحب «تفسير المنار»، والشيخ **الطاهر بن عاشور**(1879م-1973م) صاحب تفسير «التحرير والتنوير»، **وسيد قطب**(1906م-1966م) صاحب تفسير «في ظلال القرآن»، والشيخ **محمد متولي الشعراوي**(1911م- 1989م) صاحب «خواطر قرآنية».

---

[1] المعجم اللغوي العربي من النشأة إلى الاكتمال، ص131-132.

[2] المرجع نفسه، ص49.

وإلى جانب حركة التفسير، ازدهرت حركة الاستقصاء في كثير من العلوم، فظهرت المعاجم الاستقصائية لألفاظ ومواضيع القرآن العظيم، حيث عمل فيها أصحابها على فهرسة ألفاظه حسب جذور الكلمات، أو حسب التبويب الموضوعي[1]، وهذا ما أعطى دفعا لحركة البحث الدلالي في جانبها التطبيقي، المتمثل في نظرية الحقول الدلالية.

وفي مستوى أقل من مستوى العمل التفسيري، ظهرت في ساحة العمل الجامعي الأكاديمي ما يسمى بالدراسات الموضوعية في القرآن الكريم، حيث يختار الباحث موضوعا من المواضيع ويتناولها بالفحص والتحليل في إطار النص القرآني، وهذا النوع من الدراسات فتح المجال للتناول الدلالي للألفاظ القرآنية ضمن إطار نظرية الحقول الدلالية.

1-8/ رؤية جديدة في البحث الدلالي في القرآن الكريم: إن البحث الموضوعي في القرآن العظيم مسهم فيما نحن بصدده من محاولة فهم تشكل الحقل الدلالي[*] داخل النص القرآني، والكشف عن شبكة العلاقات المفهومية الأكثر عمقا من العلاقات الدلالية الطبيعية كالترادف والتضاد والاشتمال وغيرها، وهذا ضمن نظرة جديدة إلى البحث الدلالي ترى أنه "لا يمكن أن يكون إلا فلسفة من نوع جديد تقوم على تصور جديد كلية للكينونة والوجود"[2].

---

[1] من أبرز أعمال تلك الحركة: «المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم» لمحمد فؤاد عبد الباقي(1935م)، و«معجم الأدوات والضمائر في القرآن الكريم» لإسماعيل عمايرة وعبد الحميد مصطفى السيد (1986م)، وهو تكملة لمعجم عبد الباقي، و«معجم حروف المعاني في القرآن الكريم» لمحمد حسن الشريف(1996م)، و«المعجم المفهرس للتراكيب المتشابهة لفظا في القرآن الكريم»، لمحمد زكي محمد خضر(2001م)، كما أصدر مجمع اللغة العربية في القاهرة كتاب«معجم ألفاظ القرآن الكريم»،

[*] سنتناول مفهوم الحقل الدلالي في المبحث الثاني من هذا الفصل.

[2] ينظر: بين الله والإنسان في القرآن، ص31.

وهذه النظرة الجديدة للبحث الدلالي داخل النص القرآني هي ما عبر عنها **إيزوتسو**[1] الذي يرى بأن علم الدلالة هو الدراسةٌ التحليلية للتعابير المفتاحية في لغةٍ من اللغات، هدفها تحصيل إدراكٍ مفهوميٍّ للنّظرة إلى العالم لدى مستخدمي تلك اللّغة، تتعدى وظيفة الحديث والتفكُّر، إلى تقديم مفهوماتٍ وتفاسير للعالَم المحيط بهم[2]، ومن ثمة فلابد لعلم دلالة القرآن أن "يبحث بشكل رئيسي في مسألة تَبَنْيُن عالم الوجود في منظور هذا الكتاب العظيم، وما هي مكونات هذا العالم، وكيف تتعالق فيما بينها"[3].

إذن – وفي إطار هذه النظرة الكلية لوظيفة الدرس الدلالي– فإن هدف الدراسة الدلالية للقرآن الكريم بحسب إيزوتسو هو بيان شبكة المفاهيم القرآنية المتصلة بالعلاقة بين الله والإنسان، ويمثل اللفظ أو الكلمة المفتاحية الأداة الأبرز في بيان تلك المفاهيم[4].

وهذه النظرة الجديدة من إيزوتسو إلى علم الدلالة جاءت حسبه في خضم افتقاره (أي علم الدلالة) للاتساق والتنظيم الدقيقين، اللذين لا يتجاوزان عددا من نظريات المعنى المختلفة[5].

لقداستخدم الباحثون الدلاليون مناهج بحث لغوية مختلفة في دراستهم لمعنى الكلمة المفردة(المعنى المعجمي)، ونتج عن ذلك الكثير من النظريات الدلالية، كان من أهمها

---

[1] **توشيهيكو إيزوتسو**(1914م– 1993م)(*Toshihiko* Izutsu) باحث لغوي ياباني ولد في طوكيو عام. أستاذ فخري وعضو في الأكاديمية اليابانية. ألف عددا من الكتب عن الإسلام والأديان الأخرى، وعن اللغة والتصوف. أتقن العربية والفرنسية والألمانية والإنجليزية، وكان من أوائل من ترجم معاني القرآن الكريم إلى اللغة اليابانية، وترجمته مشهورة يعتمدها الباحثون في أعمالهم العلمية لدقتها اللغوية.

[2] ينظر: بين الله والإنسان في القرآن، ص30.

[3] ينظر: المصدر نفسه، ص32.

[4] ينظر: م ن، ص31.

[5] ينظر: م ن، ص ن.

نظريتا الحقول الدلالية، والنظرية السياقيةّ، اللتان جرى إدماجهما بعد الاستفادة من أعمال تشومسكي لتشكلا معا نظرية التحليل التكويني، التي تعد أيضا من كبريات النظريات في دراسة المعنى.

ب/ الدراسة الدلالية للألفاظ القرآنية بين الحقل والسياق:

ب-1/ أنــواع السياق: لقد كان للغويين الغربيين سبق التأسيس لنظرية خاصة بالسياق؛ ففي الأربعينيات والخمسينيات من القرن العشرين تزعَّم العالم الإنجليزي **فيرث(J.R.Firth)** مع مجموعة من علماء مدرسة لندن هذا النوع من التحليل الدلالي المعتمد على المنهج السياقي[1]، حيث "اعتمد فيرث على تفكير علماء الأنثربولوجيا، خاصة **مالينوفسكي(Malinovsky)** الذي طور نظريته لسياق الحال، والتي على أساسها ترجع معاني الكلمات إلى وظائفها المختلفة في سياق الحال الخاص الذي تستعمل فيه"[2]، وعلى إثر ذلك أكدوا على ضرورة "تسييق الوحدة اللغوية؛ أي وضعها في سياقات مختلفة"[3]، وخلاصة العبارة هي أن دراسة معاني الكلمات يتطلب تحليلا للسياقات التي تقع فيها، بنوعيها الرئيسيين؛ المقالي(اللغوي) والمقامي(غير اللغوي).

ب-1-1/ السياق اللغوي(Contexte verbale):

السياق اللغوي هو مجموع العلاقات النحوية والبلاغية التي تتحكم في ضم الألفاظ إلى بعضها بعض، والتي تشكل في الأخير بنية لغوية(جملة- نص)، وهذه النظرة إلى دور النحو

---

[1] ينظر: علم الدلالة، أحمد مختار عمر، ص68.

[2] في علم اللغة عند العرب ورأي علم اللغة الحديث، شرف الدين علي **(الراجحي)**، دط، دار المعرفة الجامعية، الأزاريطة، مصر:2002م، ص135-136.

[3] علم الدلالة، أحمد مختار عمر، ص68.

في تحديد دلالة الألفاظ داخل التركيب ليست حديثة، بل هي فكرة كان للعلماء المسلمين القدامى بحوث متقدمة فيها، فقد كان لعبد القاهر الجرجاني سبق تقديمها في نظرية النظم التي جعل النحو عمادها[1]، ولكن يجب عدم الخلط بين السياق والنظم، لأن الأول يمثل علاقة المعنى بالمعنى، وهو بذلك يبحث في الدلالات الآتية في مساق واحد، ومدى تحقق الانسجام فيما بينها، بينما يمثل الثاني علاقة اللفظ بالمعنى، ويبحث في ترابط المعاني بألفاظها[2].

وبالنظر إلى أن البنية اللغوية مؤسسة على مجموعة مستويات، فإن لتلك المستويات دور في تشكيل السياق اللغوي باعتباره مكونا من مجموعة سياقات جزئية؛ هي السياق الصوتي، والسياق الصرفي، والسياق النحوي، والسياق المعجمي أو الدلالي[3].

ب-1-2/ السياق المقامي(Contexte situationnel):

للسياق المقامي أوجه متعددة؛ فمنه ما يتصل بمقام الحال(مقتضى الحال) الذي ترد فيه تلك التراكيب اللغوية(الكلام)، ومنه ما يتصل بالأفراد المشاركين في إنتاجها من حيث ثقافتهم ووضعهم الاجتماعي وجنسهم... إلخ، وكل ذلك من شأنه أن يكوِّن سياقا مقاميا يُسْهِمُ في التحليل الدلالي للألفاظ، وهذه الفكرة أيضا لم يغفل عنها علماء العربية؛ فها هو الجاحظ يقول: "ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين، وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما، ولكل حالة من ذلك مقاما، حتى يقسِّم

---

[1] ينظر: دلائل الإعجاز، ص81.

[2] ينظر: نظرية السياق القرآني؛ دراسة تأصيلية دلالية نقدية، ص18.

[3] ينظر: مصطلحات الدلالة العربي، دراسة في ضوء علم اللغة الحديث، جاسم محمد **(عبد العبود)**، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان: 2007م، ص140-143.

أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار الحالات"[1].

وقد أولى السكاكي في « مفتاح العلوم» اهتمامه بنوعي المقام، حيث خصص لهما مبحثا كاملا عَنْوَنَهُ بـ(لكل مقام مقال)، فشرحه في مقدَّمته قائلا: "لا يخفى عليك أن مقامات الكلام متفاوتة؛ فمقام التشكُّر يباين مقام الشِّكاية، ومقام التهنئة يباين مقام التعزية... وكذا مقام الكلام ابتداءً يغاير مقام الكلام بناء على الاستخبار أو الإنكار، ومقام البناء على السؤال يغاير مقام البناء على الإنكار... وكذا مقام الكلام مع الذكي يغاير مقام الكلام مع الغبي، ولكلٍّ من ذلك مقتضى غير مقتضى الآخر"[2].

وفي المبحث نفسه أشار السكاكي إلى تأثير السياق الحالي(مقتضى الحال) في السياق اللغوي، و إلى دوره في تشكيله؛ حيث قال:" ثم إذا شرعت في الكلام، فلكل كلمة مع صاحبتها مقام، ولكل حد ينتهي إليه الكلام مقام، وارتفاع شأن الكلام في باب الحُسْنِ والقَبُولِ وانحطاطه في ذلك بحسب مصادفة الكلام لما يليق به، وهو الذي نسميه مقتضى الحال، فإن كان مقتضى الحال إطلاق الحكم، فحُسْنُ الكلام تجريده عن مؤكِّدات الحكم، وإن كان مقتضى الحال بخلاف ذلك فحُسْنُ الكلام تحلِّيه بشيء من ذلك بحسب المقتضى ضعفا وقوة. وإذا كان مقتضى الحال طيُّ ذِكْرِ المسند إليه، فحُسْنُ الكلام تَرْكُه، وإن كان المقتضى إثباته على وجه من الوجوه المذكورة، فحسن الكلام وروده على الاعتبار"[3].

---

[1] البيان والتبيين، ص139.

[2] مفتاح العلوم، أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي(**السكاكي**)، تح: عبد الحميد هنداوي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان: 2000م، ص256.

[3] المصدر نفسه، ص256–257.

إن ما يؤكد أهمية الدور الذي يؤديه السياق المقامي في التحليل الدلالي هو الطبيعة الاجتماعية للغة، تلك الطبيعة التي يستحيل معها فصل تأثير المقامات السياقية في تحديد المعنى، ولذلك نجد المعاجم العربية المتقدمة تعتمد في إيراد الدلالات على السياقات المقامية والمقالية، وهو ما يؤكد استيعاب ألفاظ اللغة العربية للمقامات المختلفة.

وقد أسهم النص القرآني في تنويع الدلالات لكثير من ألفاظ اللغة العربية عن طريق السياق المقامي أو ما يسمى بأسباب النزول، وعليه فقد اعتبر **عبد الله صولة**(ت2009م) أن مقامات القول القرآني هي أساس النظرية الحجاجية في القرآن الكريم، لاعتماد المفسرين عليه، إلى جانب قواعد اللغة والإعراب والبلاغة[1].

والمقام هنا لا يتسع لذكر كل ما قيل بشأن مراعاة سياق الحال أو المقام عند علماء العربية القدامى والمحدثين، فتراثنا غني غزير لا يمكن حصره، وقد اكتفيت بما يمهد لتوضيح الصورة بشأن ما يخدم موضوع هذا البحث هذا.

ب-2/ طبيعة السياق القرآني وخصائصه:

لابد في هذا المقام من التنبيه إلى خصوصية سياق الخطاب القرآني وتفرده، هذا الخطاب الذي يتضافر فيه السياق اللغوي مع السياق المقامي ليشكلا معا فسيفساء من سياقات مختلفة؛ فهناك سياق الآية، وسياق المقطع، وسياق السورة، "حيث يشكل سياق الآية لبنة في بناء سياق المقطع، وتتحد مباني الآية حول معاني مقطعها، ويشكل المقطع عضوا أساسيا

[1] الحجاج في القرآن: من أهم خصائصه الأسلوبية، عبد الله **(صولة)**، ط2، دار الفارابي، بيروت- لبنان: 2007م، ص48.

في جسم السورة، حيث تدور المقاطع حول فلك السورة الواحدة، ألا وهو موضوعها الذي سيقت المعاني والموضوعات لأجله"[1].

وفي هذا الشأن يرى **إيزوتسو** أن القرآن يحتوي على منظومة مفهومية كبيرة مؤلفة من عدد من منظومات مفهومية متداخلة أصغر هي الحقول الدلالية، كحقل الكلمات المتصلة بالنشور والحساب، وهو ماسماه بـ(حقل الأخرويات)، وتسهم تلك الكلمات ضمن سياقاتها المتنوعة في اكتشاف النظرة إلى العالم في القرآن[2].

إن جلَّ المفسرين القدامى للقرآن الكريم اعتنوا بهذه الفسيفساء السياقية، فكانوا كما ذكرنا آنفا يَجْمَعون بين إلمامهم بأسباب النزولِ، والإحاطةَ بعلوم اللغةِ من نحو وصرف وبلاغة، والأهم من ذلك كله الإحاطة بدلالات ألفاظ معجم القرآن، الذي على أساسه تتبين ظاهرة التنوع الدلالي التي انفرد بها النص القرآني، وامتاز بها عن الخطاب البشري[3].

وسنرى من خلال عرض دلالات ألفاظ حقل الرؤية في القرآن الكريم أن كل لفظ وضع ليؤدي قدرا من المعنى لا يحيد عنه، وأن كل لفظ يسهم في إثراء ذلك التنوع الدلالي الذي هو فائدة "من فوائد الأخذ بالسياق... حيث المرونة السياقية التي تسمح للمفسر بأن يُعْمِلَ نظره في السياق ليصل إلى مراد الله عز وجل، وفيه إعمال لجميع محمولات الألفاظ التي يحتملها السياق، وهذا يعد من ألوان براعة القرآن في تثوير الألفاظ وتكثير المعاني"[4].

---

[1] نظرية السياق القرآني؛ دراسة تأصيلية دلالية نقدية، المثنى عبد الفتاح(**محمود**)، ط1، دار وائل، عمان– الأردن: 2008م، ص77.

[2] الله والإنسان في القرآن، ص41–42.

[3] ينظر: نظرية السياق القرآني؛ دراسة تأصيلية دلالية نقدية، ص183.

[4] المرجع نفسه، ص184.

إن تحليلنا لألفاظ بعض الحقول الدلالية في القرآن الكريم(خصوصا حقل ألفاظ الرؤية)، وبيان تشكيلاتها المفهومية لن يعتمد على التعريفات المعجمية فقط، بل سيأخذ أيضا بعين الاعتبار مختلف السياقات التي اعتمد عليها المفسرون في تأويل دلالات تلك الألفاظ.

علم الدلالة يهتم بمستويين من مستويات اللغة؛ الإفرادي والتركيبي، فالمستوى الأول تهتم به نظرية الحقول الدلالية، وأما المستوى الثاني فتهتم به النظرية السياقية، ذلك أن للسياق (Contexte)[1] دورا أساسيا بارزا في عملية التحليل الدلالي، ولذلك فإن وجود الألفاظ ضمن سياق(تركيب لغوي) هو الاستعمال الذي يبعث فيها الحياة[2]، وبه يتضح معناها[3]، و"غالبا ما يستحيل إعطاء معنى كلمة دون وضعها في نص"[4]، بحيث يجب- في أثناء التحليل الدلالي لتلك الألفاظ – مراعاة التراكيب ذات القيود المتعددة والتي تضم الألفاظ جنبا إلى جنب، والانتباه إلى المستويات الداخلية المتشابكة المكونة لها.

إن تعدد دلالات اللفظ الواحد في المعاجم العربية لا يعني أن المعجمي التراثي كان ذا ترف فكري مغرق في التأليف ووضع المعاني الكثيرة للفظ الواحد، بل إن وظيفته هي النقل الأمين للمعاني الواردة للفظ حسب السياقات الاستعمالية التي تداولها الناس، وإن المجتمع كما هو معروف في عرف اللسانيين هو الذي يصطلح على معاني الألفاظ التي يبتكرها.

---

[1] يعرّف **جون دي بوا** السياق فيقول: "السياق هو المحيط، وهو الوحدات (اللغوية) التي تسبق والتي تلحق وحدة (لغوية) معينة"، ينظر: *Jean Dubois et autres :Dictionnaire de linguistique, Larousse, paris, 2002, p116.*

[2] ينظر: علم الدلالة، أحمد مختار عمر، ص68.

[3] ينظر: علم الدلالة، نور الهدى لوشن، ص44.

[4] علم الدلالة، جون **(لاينز)**، تر: مجيد عبد الحليم الماشطة وآخرون، دط، مطبعة جامعة البصرة- العراق:1980م، ص23.

إن كثيرا من الألفاظ القرآنية نجد لها في كتب المعاجم التراثية معان كثيرة، ولكن السياق القرآني هو الكفيل بأن يحدد المعنى المطلوب إيصاله إلى القارئ، ولذلك نجد احتفاء العلماء المسلمين القدامى به في دراساتهم البلاغية والنحوية والأصولية أشهر من نار على علم، فالمفسرون –وهم أكثر المتعرضين للنص القرآني بالتحليل– راعوا السياق في تحديد دلالات الألفاظ ضمن التراكيب اللغوية للآيات.

وإذا كان العلماء المسلمون القدامى لم يخصُّوا السياق القرآني بتعريف محدد، فإن الباحثين المحدثين حاولوا ذلك فتباينت تعريفاتهم، نظرا لخصوصية الخطاب القرآني وتفرده عن الخطاب البشري، ولعل أحدث تعريف للسياق القرآني هو أنه" تتابع المعاني وانتظامها في سلك الألفاظ القرآنية؛ لتبلغ غايتها الموضوعية في بيان المعنى المقصود، دون انقطاع أو انفصال"[1]، فاللفظ حينئذ هو اللبنة الأولى في تشكيل دلالة السياق القرآني.

ب–3/ نظرية الحقول الدلالية:

إن في أيّة لغة من اللغات مجموعات من الألفاظ تدل على الأفراد أو الأحداث أو التصورات، نجدها مجتمعة تحت عناوين، مكونة بذلك أصنافا متنوعة، وهذا دليل على أن مفردات كلّ لغة من اللغات تعد نوعا من تصنيف الموجودات، الذي نعدُّه أساسياً في فهم العلاقات بينها، وهذا إدراك لنظرية الحقول الدلالية[2].

ويكون "تصنيف كلمات في حقول دلالية على أساس معنوي أي تصنيف الكلمات لما يوجد بينها من قرابة، أو أن تأتي الكلمات مبنية على ما يوجد بينها من علاقات دلالية، كعلاقة

---

[1] نظرية السياق القرآني؛ دراسة تأصيلية دلالية نقدية، ص15.

[2] ينظر: فقه اللغة وخصائص العربية؛ دراسة تحليلية مقارنة وعرض لمنهج العربية الأصيل في التجديد والتوليد، محمد(**المبارك**)، ط7، دار الفكر العربي، القاهرة– مصر: 1971م، ص307.

الترادف أو التضاد أو المشترك اللفظي أو علاقة الصغير بالكبير وإلى غير ذلك"[1]، وبذلك تتحدد معاني الألفاظ وفق تلك العلاقات التي هي مجموعة من الظواهر المتشابهة والقابلة للمقارنة والاستبدال ، وتتجلى المعاني أكثر حين تظهر في بنية المعجم لدى المتكلم، أو وفق التغيّرات الطارئة على معاني الألفاظ المرتبطة بمجموعة دلالية معينة، ويمكن أن نسمي كل مجموعة ذات عناصر متقاربة الدلالة بـ(الحقل الدلالي)أو(الحقل المعجمي).

وبناء على ذلك فإن "تحديد المجالات الدلالية، ثم بحث الكلمات داخل كل مجال دلالي(حقل دلالي) وفق معايير مناسبة لهذا المجال يعطينا-آخر الأمر-مجموع السمات التي تميز كل كلمة دلاليا عن الكلمات الأخرى داخل المجموعة... فتحليل الكلمات في هذا الضوء عمل أساسي في مراحل الإعداد المعجمي"[2].

والاختلافُ بين (المعجم) و(الحقل الدّلاليّ) اختلافٌ نسبيٌّ، حيث لا يمكن- من الناحية الجوهريّة - أن يكون هناك اختلافٌ البتّة فيما بينها؛ لأنّ الحقْل ليس أقلَّ تنظيماً من المعجم، ولأنّه كتلةٌ كاملة من كلماتٍ مرتّبةٍ في نمط دال ممثّلٍ لمنظومة مفهوماتٍ، مرتَّبةٍ ومبنيّةٍ وفقاً لمبدأ التنظيم المفهومي[3].

إن تحديد معنى كلمة ما مرتبط بكيفية اشتراكها فيه مع كلمات أخرى ضمن الحقل المعجمي نفسه لتغطية أو تمثيل الحقل الدلالي، وتتواجد كلمتان في نفس الحقل الدلالي إذا

---

(1) *G .Mounin, Clefs pour la linguistique, 16éme édition, Seghers, Paris, p146.*

(2) علم اللغة التطبيقي: قضايا مختارة، محمود فهمي حجازي، دط، جامعة القاهرة، مصر: 1980م، ص78-79.

(3) ينظر: الله والإنسان في القرآن، ص50.

أدّى تحليلهما إلى مجموعة من العناصر المشتركة، وكلما كثر عدد العناصر المشتركة كلما صغر الحقل الدلالي[1].

إن اللغويين العرب المتقدمين- مع أنَّهم عَرَفوا مفهومي (الحقل المعجمي) أو (الحقل الدلالي) وتطبيقاتهما، من خلال الجهود التي أشرنا إلى بعضها سابقا – إلاّ أنهم لم يَعْرِفوا هذين المصطلحين، كما لم يعرفهما الباحثون المتأخرون إلا بعد اطلاعهم على الدراسات اللغوية الغربية الحديثة.

وقد كانت بداية التأليف بالكتيبات ذات الموضوع الواحد، ففي القرن الثاني الهجري ألف ابن كِرْكِرة[2](ت248هـ) كتاب «خلق الإنسان»، وكتاب«الخيل»، وألف أبو خيرة نهشل بن زيد الأعرابي البصري(ت؟) «كتاب الحشرات»، وألف أبو عمرو الشيباني(110هـ/206هـ) «كتاب النحلة»، و«كتاب الإبل»، وكتاب«خلق الإنسان»، وروى عنه ابنه عمرو بن أبي عمرو كتاب«الخيل»[3].

واستمر هذا العمل في القرن الثالث، وظهرت أعمال أخرى تجمع أكثر من موضوع في كتاب واحد اطلق عليها اسم «كتاب الصفات»، وهو يتناول حقولا دلالية متنوعة، حيث ألف فيه صاحب الخليل بن أحمد؛ النضر بن شميل البصري(ت206هـ)، والأصمعي(ت216هـ)،

---

[1] ينظر: اللسانيات واللغة العربية، عبد القادر الفهري (**الفاسي**)، ط1، منشورات عويدات، بيروت- لبنان: 1986م، ص370.

[2] أبو مالك عمرو بن كركرة: أعرابي ، من موالي بني سعد، عمل معلما في البادية، وورَّاقا في الحضر، يقال أنه كان يحفظ اللغة كلها، وقد كان بصري المذهب، له من الكتب (كتاب خلق الإنسان) و(كتاب الخيل). تنظر ترجمته في: الفهرست، أبو الفرج محمد بن إسحاق (**النديم**)، تق: أيمن فؤاد سيِّد، دط، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن- بريطانيا: 1430هـ-2009م، مج1/ ص 119-120.

[3] من رواة اللغة والشعر والحديث. تنظر ترجمته في: الفهرست، 203/1-205.

كما ظهرت في تلك الفترة كتب الغريب باسم «الغريب المصنف»، وممن ألف فيه عمرو بن أبي عمرو بن النضر بن شميل، وأبو عبيد القاسم بن سلاَّم بن عبد الله الهروي البغدادي (157هـ/224هـ)[1].

ومن الحقول التي نالت قدرا كبيرا من الاهتمام والتأليف في التراث الإسلامي حقل ألفاظ «خلق الإنسان»، حيث صنف فيه–بالإضافة إلى أبي عمرو الشيباني– قطرب(ت206هـ)، والسجستاني(ت255هـ)، والأصمعي، وثابت بن أبي ثابت(ت270هـ)، والزجَّاج(ت310هـ)، والإسكافي(ت421هـ)، وأحمد بن فارس(ت 395هـ) من خلال كتاب« مقالة في أعضاء الإنسان»[2].

وهناك كتب أخرى تعتبر لبنات أولى للعمل المعجمي القائم على مفهوم الحقول الدلالية، فقد كتب الأصمعي والسجستاني كتاب« خلق الفرس»، وكتب ابن الأعرابي(150هـ–232هـ) ومعمر بن المثنى(ت210هـ) والسجستاني « كتاب الإبل»، وكتب ابن الكلبي(ت204هـ) ومعمر بن المثنى وابن زياد الأعرابي(ت231هـ) « كتاب الخيل»، وكتب قطرب وأبو زيد الأنصاري(122هـ– 2015هـ) وابن السكيت(ت186هـ – 244هـ) «كتاب الوحوش»، وكتب أبو زيد الأنصاري كتاب «الشجر والكلأ»، وكتب مؤرِّج بن عمرو السدوسي(ت195هـ) والمبرد (210هـ–286هـ) والأصمعي «كتاب الأنواء»، كما كُتِب في حقول أخرى؛ كحقول الأيام والليالي والمواقيت والشهور... إلخ

---

[1] أبو عبيد القاسم بن سلاَّم بن عبد الله الهروي البغدادي، عمل قاضيا بطرسوس، وروى عن ابن الأعرابي وأبي عمرو الشيباني والكسائي والفراء والأصمعي، تنظر ترجمته في: الفهرست، 214/1–216. وينظر: البحث اللغوي عند العرب، أحمد مختار عمر، ط8، عالم الكتب، القاهرة– مصر: 2003م، ص288–289.

[2] ينظر: نظرية الاكتمال اللغوي: منهج شامل لتعليم اللغة العربية (الأصوات، الصرف، المعاجم، النحو)، أحمد طاهر **(حسين)**، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة– مصر: 1987م، ص160.

والناظر إلى التراث العربي ليلحظ تعدد التصنيفات في الموضوع الواحد، وهذا لا يعني بالضرورة الاختلاف في تصور العالم، لأن البيئة العربية واحدة، وإنما مرد ذلك إلى الاختلاف في المنهج، أو الاختلاف في استخدام الأدوات المناسبة، كما أن عدد المفردات مرتبط باستخدام ألفاظ دون أخرى في الموضوع المختار، وبناء على ذلك فإنه لا يمكننا التفريق بين الرسائل بطريقة الإحصاء، وإنما يكون التفريق في المنهجية والأدوات المستخدمة في الرسالة[1].

ب-3-1/ تعريف الحقل الدلالي(Sémantic Field):

يعرف **جورج مونان**(George A Mounin) الحقل الدلالي بأنه "مجموعة من الوحدات المعجمية التي تشتمل على مفاهيم تندرج تحت مفهوم عام يحدّد الحقل"[2]، أي أنّه مجموعة من الكلمات المترابطة أو المتقاربة الدلالات، بحيث يمكن جمع تلك الدلالات تحت مفهوم عام تظلّ مقترنة به، ولا تفهم إلاَّ في نطاقه.

ولم تتضح نظرية الحقول الدلالية إلا في عشرينيات ثلاثينيات القرن العشرين، على أيدي علماء سويسريين وألمان، و"بخاصة **إسبن**[*](Ispen/1924)، و**جولز**(Jolles/1934)، و**بروزيغ**(Prozig/1934)، و**ترييي**(Trier Jost/1934)"[3] الذي يعود الفضل إليه في بلورة وتجميع وتطوير أفكار هذه الفرضية بصورة متماسكة[4][*]، ومن بين الحقول أو المجالات

---

[1] الظاهرة الدلالية عند علماء العربية القدامى حتى نهاية القرن الرابع الهجري، ص228.

[2] *G .Mounin, Dictionnaire de Linguistique, p: 65*

[*] يعد إسبن من الأوائل الذين وضحوا طريقة تصنيف الحقول.

[3] علم الدلالة، أحمد مختار عمر، ص 82.

[4] ينظر: علم الدلالة، نور الهدى لوشن، ص54.

الأولى التي تركزت عليها الدراسة: ألفاظ القرابة، والألوان، والنبات، والأمراض، والأدوية...[1]، وذلك باعتبارها مجالات تشترك فيها معظم اللغات الإنسانية.

ويختلف تصنيف الألفاظ في بعض الحقول بين بعض اللغات، كحقل اللون مثلا، ذلك أن "التمييزات الدلالية الموجودة في لغة ما قد لا توجد في لغة أخرى... ويمكن التعبير عن هذه الحقيقة بالمفهوم السوسوري بالقول بأن كل لغة تفرض شكلا معينا على المادة النصية غير المختلفة أصلا"[2].

وللحقل الدلالي تعريفات كثيرة، لخصها أحمد مختار عمر بقوله: "الحقل الدلالي أو الحقل المعجمي هو مجموعة من الكلمات ترتبط دلالاتها، وتوضع عادة تحت لفظ عام يجمعها"[3]، فمن الممكن لأي لفظ في اللغة أن تجتمع حوله مجموعة من الألفاظ التي تربطه بها علاقات خاصة؛ كالتضاد والترادف والاشتمال، والعموم والخصوص، لتشكل معه شبكة دلالية متميزة تدعى الحقل الدلالي.

وقد كان لعلماء العربية قصب سبق في وصف هذه الظاهرة اللغوية، فقد تطرق **الآمدي**(551هـ-631هـ) في كتابه الإحكام في «أصول الأحكام» لظاهرة الحقل الدلالي في معرض حديثه عن اللفظ الأعم، ورد مزاعم من قال بأن مدلول اللفظ الأعم هو جزء من

(*) استطاع الألماني تريبي بفضل دراسته لحقل الأفكار(الذكاء) في اللغة الألمانية الوسيطة واستفادته من أفكار سوسير أن ينسق بين آراء معاصريه من العلماء، ويؤسس بشكل معمق للمفاهيم الأساسية لنظرية الحقول الدلالية، كما عمم التحليل داخل الحقل الدلالي. له كتاب « المفردات الألمانية في المقياس التصوري للإدراك» مترجم إلى الفرنسية بهذا العنوان« Le vocabulaire allemand dans le secteur conceptuel»

[1] علم الدلالة، أحمد مختار عمر، ص83.

[2] علم الدلالة، جون لاينز، ص49-50.

[3] علم الدلالة، أحمد مختار عمر، ص97.

مدلولات أجزائه، حيث قال:" فإنه لا معنى لكون الأعم مشتركا فيه أنه موجود في الأنواع أو الأشخاص التي هي أخص منه، بل بمعنى أن حد الطبيعة التي عرض لها إن كانت كلية مطلقة مطابق لحد طبائع الأمور الخاصة تحتيا"[1]، ففي هذا الرد توضيح بأن اللفظ الأعم الذي يعبر عن عنوان الحقل الدلالي، يشترك مع ما تحته من الألفاظ المشكلة للحقل بواسطة العلاقات الدلالية المتنوعة، كالترادف والتماثل مثلا، وقد حدد الآمدي القانون العام الذي يحكم الحقل بقوله(مطابق لحد طبائع الأمور الخاصة)، وهذا إدراك مبكر لظاهرة السمات التمييزية التي اعتمدتها النظرية التحليلية في نظرتها للحقول الدلالية[2].

لقد نمت نظرية الحقول الدلالية في المدارس الغربية الحديثة، وتطوّرت بعد جهود متواصلة، وانتقلت – بعد اتضاح معالمها وترسيم حدودها– من إطارها التنظيري إلى الإطار المنهجي، فأصبحت منهجا في البحث اللغوي، له تطبيقات في مجالات كثيرة، مثل النص الأدبي، والترجمة والتعليمية، وصناعة المعاجم، وغير ذلك من الميادين المختلفة، و"لذلك فإن الباحثين في نظرية الدلالة محتاجون دائما إلى ممارسة نظرياتهم عبر الخطابات والنصوص التي يطبقون عليها مناهجهم الدلالية، لأن هذا التطبيق ذاته لا يبرهن على نجوع المنهج فحسب، وإنما يطوره، ويعطي الخطاب من ذاته، ويأخذ من الحس الحي بعمقه العضوي الجديد"[3].

---

[1] الإحكام في أصول الأحكام، علي بن محمد **(الآمدي)**، تع: عبد الرزاق عفيفي، ط1، دار الصميعي، المملكة العربية السعودية: 2003م، ج3/ص5

[2] ينظر: علم الدلالة؛ أصوله ومباحثه في التراث العربي، عبد الجليل **(منقور)**، دط، اتحاد الكتاب العرب، دمشق– سوريا:2001م، ص188.

[3] تطور البحث الدلالي: دراسة تطبيقية في القرآن الكريم، محمد حسين علي **(الصغير)**، دط، دار المؤرخ العربي، لبنان: دت، ص19.

إن تطبيق نظرية الحقول الدلالية على كثير من اللغات قد "أوضح المفاهيم المشتركة بين اللغات، وهي المفاهيم العامة، التي تصنف المفردات في ضوئها، كما أنه أوضح الخلاف بين اللغات في تحديد المفاهيم"[1]. والقول بنظرية خاصة بـ(الحقول الدلالية) يعني وجود مجموعة منظّمة ومتناسقة من المبادئ والقواعد والقوانين العلمية الهادفة إلى وصف وشرح العلاقات بين مختلف عناصر الحقل الدلالي[2].

وقد يتوهم الباحث في الحقول الدلالية، فلا يكاد يفرق بين النظرية والمنهج، إذ ليس ثمة خلط بين المفهومين، لأن النظرية هي مجموعة منظمة ومتناسقة من المبادئ والقواعد، والقوانين العلمية التي تهدف إلى وصف وشرح مجموعة من الأحداث، أما المنهجية فهي مجموعة القواعد والمبادئ والمراحل منظمة تنظيما منطقيا، والتي تعد وسيلة توصل إلى نتيجة معينة، أما المنهج فهو انتقال هذه الأفكار والقوانين من المجال النظري المجرد إلى التطبيق والاختبار والإجراء[3].

وقد وجهت لنظرية الحقول الدلالية انتقادات منها:

– "لا توجد حدود خارجية واضحة بين الحقول الدلالية، لأن خيوط الربط بين الحقول متصلة، وليست منقطعة تماما.

– لم تُبْنَ النظرية على أسس استقرائية، ولا يعدو الحقل أن يكون نموذجا لغويا محتملا.

– لم تَسِرْ النظرية وتطبيقها العملي ونتائجها المادية عند تريي ومن تبعه من اللغويين من طريق واحد"[4].

---

[1] النحو والدلالة، صلاح الدين صالح حسنين، ط1، مكتبة الآداب، القاهرة– مصر: دت، ص76–77.

[2] *J. Moeschler: Grand dictionnaire Encyclopédique, Larousse 1997 (ave A Reboul) T: 10, p: 10193.*

[3] *IBID. T: 10, p: 10193*

[4] علم الدلالة، فريد عوض حيدر، ط2، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة– مصر: 1999م، ص174.

ولذلك يرى كل من **كلود جرمان**(Claude Germain)، و **ريمون لوبلونش**(Raimond Le Blanche) أن دراسة حقل دلالي يطرح مشكلا عويصا متعلقا بثلاثة مستويات[1]، سنتعرض في هذا المبحث إلى اثنين منها.

ب-3-2/ تحديد حقل دلالي:

يجمع الدارسون الدلاليون على أن اختيار وتحديد الحقل المراد دراسته في لغة معينة يقوم على تصور ذاتي اعتباطي، غير خاضع لعوامل موضوعية أو لسانية، غير أن الباحث في نظرية الحقول الدلالية ضمن النص القرآني لابد أن يحدد منذ البدء الحقل الذي يبتغي دراسته، ليس فقط من أجل جمع ألفاظه وتحديد العلاقات الدلالية بينها، ولكن من أجل إدراك المفاهيم الأساسية التي بني عليها أيضا، ومن ثمة إدراك النظام المفهومي الذي يسهم الحقل الدلالي في اشتغاله في النص القرآني، وهذا النظام "هو المهم حقا بالنسبة إلى هدفنا الخاص، فذلك أكثر أهمية من المفاهيم المستقلة التي تؤخذ هكذا منعزلة، وتعد في أنفسها جزءا من البنية العامة أو(الكل الموحد) والذي تتوحد فيه"[2].

إن هذا الهدف الذي نبتغي تحقيقه سعي لتجاوز أزمة البحث الدلالي الكامنة في افتقار علم الدلالة إلى التناغم والتنظيم والاتساق، فكل ما نتج عنه هو عدد من نظريات المعنى المختلفة[3]، فنظرية الحقول الدلالية – مثلا – لا تخرج عن كونها منهجا وأداة تصنيفية للألفاظ ضمن مجموعات دلالية، ولا تثير التساؤل حول طبيعة الحقل وتمايزه عن بقية الحقول باعتباره تشكيل لشبكة مفهومية، وأثر علاقاته– إن وجدت– مع بقية الحقول الدلالية.

---

[1] ينظر: علم الدلالة، نور الهدى لوشن، ص55-56.

[2] ينظر: الله والإنسان في القرآن، ص34.

[3] ينظر: المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

إن هذه التساؤلات لا يطرحها الباحث إذا تعلق الأمر بتصنيف الألفاظ المعجمية داخل معجم اللغة العام، إذ يبدو البحث عن العلاقات بين الحقول، أو عن تأثير العلاقات بين ألفاظه على طبيعة الحقل وعلاقاته الخارجية، غير ذي فائدة بادي الرأي.

وتختلف معايير كل باحث في تحديد المداخل المعجمية التي تغطي المجال الدلالي لحقل ما، غير أن الباحث لا يمكن أن يكتفي بالحدس الذاتي لاستجلاء نسق بنية الحقل الدلالي الذي اختاره، إذ عليه أن يعتمد معايير موضوعية تفرضها طبيعة البحث العلمي.

إن اختيارنا لحقل ألفاظ الرؤية في القرآن الكريم نابع من إدراكنا لمسؤولية الإنسان عن ملكات المعرفة التي أكدها الله بقوله﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾[الإسراء: الآية36]، و تلبية للدعوة المستمرة في القرآن الكريم للنظر في خلق الله، قال الله تعالى﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ ﴾ [الأعراف: من الآية185]، كما أن هذا الاختيار قائم كذلك على طبيعة المنهج الحسي– العقلي الذي استنبطه العلماء المسلمون القدامى من القرآن الكريم، فأصَّل المشتغلون منهم بالعلوم الطبيعية والكونية أصول المنهج الاستقرائي، كما لم يتجاهل المشتغلون منهم بالعلوم النظرية أصول المنهج العقلي الاستنباطي في آرائهم، كالفارابي، وابن سينا، وابن خلدون[1].

يتفق الدلاليون على أن حجم الحقول في لغة ما يختلف من مجال إلى مجال، وقد ادعى بعض الباحثين أن "أكبر مجال في أي لغة ذلك الذي يحوي الكائنات والأشياء، ويليه

---

[1] ينظر: قاموس القرآن الكريم؛ مضمون القرآن الكريم في قضايا الإيمان والنبوة والأخلاق والكون، محمد عبد الهادي **(أبوريدة)**، ط2، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت:1997م، ص64.

الأحداث، وأقل من ذلك المجردات، وأقل الجميع كلمات العلاقات"[1]، وقد رأى الآمدي أن الحقل الدلالي يمكن أن يحتوي عنصرين فأكثر، كما يمكن أن يتقاطع مع حقول أخرى، وذلك في معرض تعريفه للفظ العام، حيث قال: "العام هو اللفظ الواحد الدال على مسميين فصاعدا مطلقا"[2].

وباعتبار معجم الألفاظ القرآنية جزءا من المعجم اللغوي العام للعربية، فإن على الباحث أن يدرك بالبديهة أن النص القرآني يستعمل حجما محددا من الألفاظ اللغوية في كل حقل، فقد يكبر حجم الحقل وقد يصغر، وقد يكون الحقل عاما أو جزئيا، بحسب حاجته في بناء النظام المفهومي الكلي.

لنأخذ مثلا قول الله تعالى﴿ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ [الأعراف: من الآية195]، ففي هذه الآية ذكر الله جوارح الرِّجْلِ واليد والعين، كما ذكر جارحة اللسان في آيات أخرى، منها قوله تعالى ﴿وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾[البلد:9]، ومن هاتين الآيتين وآيات أخرى يمكن استخراج حقل نسميه(حقل ألفاظ جوارح الإنسان)، وهو جزء من حقل عام هو (حقل أسماء أعضاء جسم الإنسان)، ويمكن أن نمثل له بالمشجر الآتي:

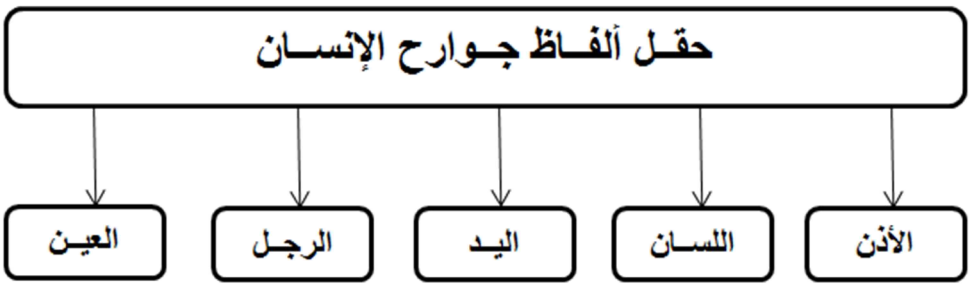

[1] علم الدلالة، أحمد مختار عمر، ص96.

[2] الإحكام في أصول الأحكام، 5/3.

إن للفظ (جَرَحَ) دلالات كثيرة في اللغة، منها ما هو مذكور في القرآن الكريم؛ فمن دلالاته: الكسب، قال **الأزهري**(ت370هـ): "جوارِح الإنسان: عوامِل جسده من يديه ورجليه، واحدتها جارحة. والجوارِحُ من الطير والسِّباع: ذواتُ الصيد، الواحدة جارحة؛ فالبازي جارحة، والكلب الضَّاري جارحة، سُمِّيت جوارِح لأنها كواسِبُ أنفُسِها من قولك: جَرَحَ واجتَرَح إذا اكتسب"[1]، ومعنى قوله تعالى﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ﴾[الأنعام: من الآية60]، أي ما كسبتم، والجوارح مفردها جارح، ومعناها كاسب، وأما دلالة الجوارح في قوله تعالى﴿قُلۡ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمۡتُم مِّنَ ٱلۡجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ﴾[المائدة: من الآية4]، فعلى الطيور والحيوانات التي تستعمل للصيد، وكذلك تسمى أيدينا وعيوننا وآذاننا جوارحا، لأننا" نكسب بها المُدْرَكات؛ فالعين جارحة تَكْسِبُ المرئي، والأذن جارحة تكسب المسموع، والأنف جارحة تكسب المشموم، واللمس جارحة لأننا نكسب بها الملموس"[2].

إذن فحقل ألفاظ جوارح الإنسان جزئي، ومن الممكن -كما سنرى لاحقا- أن يشترك لفظ من ألفاظه في حقل آخر، فلفظ(العين) يمكن أن ندرجه في حقل آخر، هو حقل ألفاظ الرؤية.

ب-3-3/ تحديد الحقول الدلالية وتصنيفها: يتفق أصحاب نظرية الحقول الدلالية على جملة مبادئ هي[3]:

- لا وحدة معجمية(Lexème) عضو في أكثر من حقل.

---

[1] تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد(**الأزهري**)، تح: محمد عوض مرعب، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان:2001م، ج4، ص86. مادة(جرح)، باب(الحاء والجيم).

[2] تفسير الشعراوي، محمد متولي(**الشعراوي**)، دط، أخبار اليوم، مصر: دت، ج5/ ص2934 .

[3] ينظر: علم الدلالة، أحمد مختار عمر، ص80.

- لا وحدة معجمية لا تنتمي إلى حقل معين.
- لا يصح إغفال السياق الذي ترد فيه الكلمة.
- استحالة دراسة المفردات مستقلة عن تركيبها النحوي.

من الطبيعي أن يكون لكل كلمة حقل تنتظم فيه، وأن يراعى السياق(بنوعيه) في دراسة معناها أثناء تصنيفها في حقل ما، لكن الملاحظة التي يجب الإشارة إليها والتوقف عندها هي المبدأ الأول، الذي يزعم أن الكلمة في المعجم اللغوي لأي لغة لا يمكنها أن تنتمي إلا إلى حقل واحد فقط، وهذا المبدأ يجب أن نناقشه من ثلاث زوايا:

أولا/ من حيث المنهج المتبع في تقسيم الحقول: لقد حاول الدلاليون القدامى إيجاد تصنيف دلالي نموذجي(قاعدي) لكل ألفاظ اللغة الإنسانية، أي النظر إلى المعجم اللغوي ككل، ومحاولة معرفة تصور المتكلم لكيفية تنظيم الأشياء الموجودة في العالم من حولنا، ونحن هنا– في النص القرآني– بصدد تصنيف جزء من اللغة فقط.

ثانيا/ من حيث مستويات تقسيم الحقول:

وأما من ناحية المستويات أو الأطر الأساسية للتصورات التي تقسم بحسبها الألفاظ اللغوية، فقد اختلف العلماء في التصنيفات الدلالية العالمية، حيث كان للعرب قصب سبق في فكرة التصنيف الدلالي، إذ نجد الجاحظ يصنف الموجودات الرئيسية في الكون بقوله: "إنّ العالم بما فيه من الأجسام على ثلاثة أنحاء: متّفق، ومختلف، ومتضادّ، وكلّها في جملة القول: جماد ونامٍ... ثمَّ النامي على قسمين: حيوان، ونبات، والحيوان على أربعة أقسام: شيء يمشي، وشيء يطير، وشيء يسبح، وشيء ينساح، إلاَّ أنَّ كلّ طائر يمشي، وليس

الذي يمشي، ولا يطير يسمّى طائراً. والنوع الذي يمشي على أربعة أقسام: ناس، وبهائم، وسباع وحشرات"[1].

وفي العصر الحديث ظهرت هناك تقسيمات شتى، بينها التقسيم الثلاثي **لستيفان أولمان**(Stephen Ullmann)(1976/1914)، وهو تقسيم قاصر لانبنائه على التفريق بين المجرد والمحسوس[2].

ومن أشمل التصنيفات الحديثة تصنيف معجم (Greek New Testament)، الذي يقوم على الأقسام الأربعة الرئيسية الآتية:

- الموجودات(entities).
- الأحداث(events).
- المجردات(abstracts).
- العلاقات(relation)[3].

وفيما يخص النص القرآني فإن الباحث فيه سيتجاوز التصور التصنيفي لمعجم اللغة، إلى التصور التصنيفي لجزء منها، ممثلا في النص(المدونة)، مع ما يطرحه هذا المصطلح من قيود على عملية التصنيف الحقلية.

وقد عُدَّ تحديد تريي لمفهوم الحقل الدلالي ثورة كبيرة في البحث الدلالي المعاصر، حيث اعتمد الدلاليون نماذجه التطبيقية أمثلة قاسوا عليها في بحوثهم، غير أنه لم يسلم من ملاحظات النقد والتوجيه، من أهمها:

---

[1] الحيوان، أبو عثمان عمرو بن بحر (**الجاحظ**)، تح وشر: عبد السلام هارون، ط2، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر: دت، ج2/ ص26-27.

[2] ينظر: علم الدلالة، أحمد مختار عمر، ص107.

[3] المرجع نفسه، ص87.

– إن المعايير التي على أساسها يتم افتراض وجود حقل دلالي بين مجموعة معينة من الكلمات ليست لسانية، خصوصا إذا ابتعدنا عن نماذج **تريير** الثقافية، بحيث يظهر التشابك ضمن حدود بعض الحقول.

– لا توجد حدود بين الحقول الدلالية، فقد تتداخل فيما بينها، لأن الكلمة المعجمية قد تنتمي إلى عدة مجالات دلالية، كما سنرى مع لفظ (عين).

يفرض النص القرآني هذا التداخل في تطبيق نظرية الحقول الدلالية عليه، إذ يرفض مبدأ قصر المفردة على حقل واحد، مثلما قد يحصل على أساس الاشتراك اللفظي(homonymy)، أو الاشتراك البوليسيمي(**تعدد المعنى**/ Polysemy)، أو كما قد يحصل في الحقول التركيبية، ومرد ادعائنا هذا هو أن تحديد معنى الكلمة– بحسب لاينز– مبني على "محصلة علاقاتها بالكلمات الأخرى في داخل الحقل المعجمي"[1]، بحيث لا يجب أن نفترض أن للكلمات معاني ثابتة دائما، وبذلك فإن الكلمة لا تربط علاقات مع صويحباتها المنضوية داخل حقلها فقط، ولكن مع كلمات في حقول أخرى، فمثلا لفظ(عين) يمكن ضمه إلى حقلين صغيرين هما حقل أسماء أعضاء الإنسان، وحقل ألفاظ الرؤية، كما في المخطط التالي:

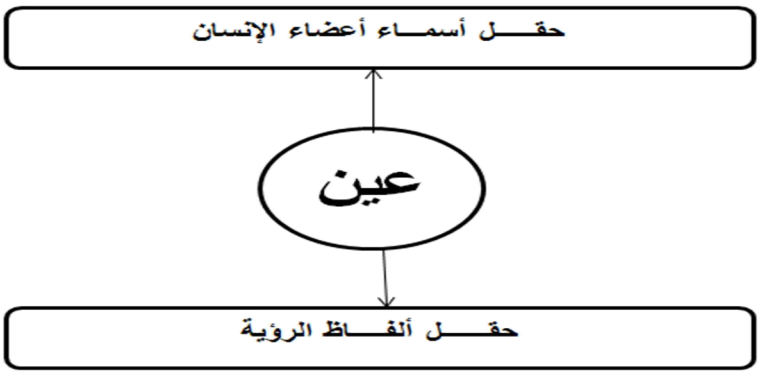

[1] ينظر: علم الدلالة، أحمد مختار عمر، ص80.

ومن هذه الدلالات يمكن للفظ (عين) أن يتواجد في أكثر من حقلين، كما هو موضح في المشجر الآتي:

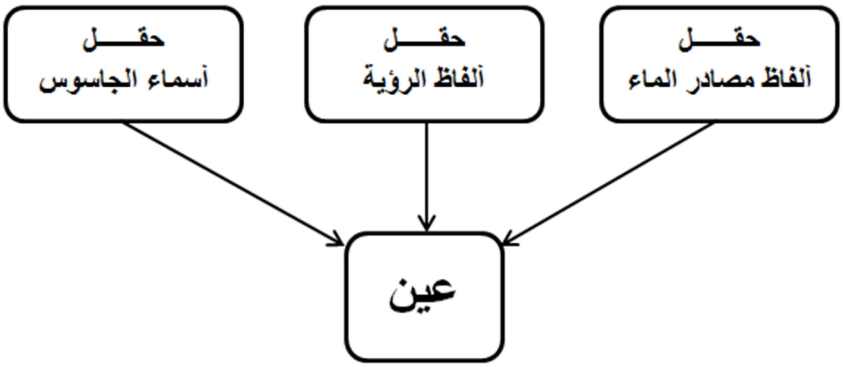

ثالثا: من حيث الغرض من دراسة حقل دلالي

الغرض من تصنيف الألفاظ في حقول بعينها عند الدلاليين هو محاولة الكشف عن التصور الإنساني للعالم، وللغته بالأخص، غير أن هدف الباحث في النص القرآني هو تجاوز هدف الكشف عن طريقة تصنيف الموجودات، وهدف محاولة فهم تشكل الحقل الدلالي داخل النص القرآني، إلى محاولة معرفة أسرار تلك الموجودات، عن طريق الكشف عن شبكة العلاقات المفهومية الأكثر عمقا من العلاقات الدلالية الطبيعية كالترادف والتضاد والاشتمال وغيرها، وبذلك فإن هذا الهدف يجبرنا على عدم التضييق على حرية الألفاظ وحركتها بين الحقول.

ولذلك يرى محمد حسين علي الصغير أن الميزة الأساسية للبحث الدلالي في نظرية الحقول الدلالية هي أنها إذا نجحت في الانتقال من مهمة تفكيك بنية الحقل إلى الكشف عن

مدلوله، فإن الحقل تتغير علاقته بالوعي، حيث يصبح خطابا آخر بمستويات دلالية ذات أنساق متناظرة، تضفي على منظر الخطاب عمقا استراتيجيا جديدا[1].

وإننا في بحثنا هذا المتعلق بالقرآن الكريم، نشير إلى المخاطر التي تنجم عن تطبيق المناهج الغربية، "لأن كل عمل من هذا القبيل، مهدد بالوقوع في ضرب من (الاستيلاب) الثقافي و(السلفية) الفكرية الجديدة إن لم نوفق إلى استخدام أجهزتنا المفهومية استخداما يحترم خصائص التراث والسياق التاريخي الذي يتنزل فيه والأسس المعرفية(الإبستيمولوجية) القائم عليها لا سيما أن المفاهيم التي نتوسل بها مفاهيم شبَّت في منابت أخرى، وتولَّدت عن تيارات فكرية وإديولوجية، ورؤية للعالم تختلف عما هو موجود عندنا"[2].

ج/ تحديد الألفاظ المشكلة لحقل دلالي قرآني: تبدو مهمة إحصاء ألفاظ حقل دلالي في القرآن الكريم أكثر سهولة لغير المتعمقين في البحث الدلالي، فكل ما على الباحث فعله – كما قد يظن البعض– هو أن يستخرج من المعجم القرآني كل الألفاظ التي يتصل معناها بالمعنى العام الذي يندرج تحت عنوان الحقل، ويكون ذلك بالبحث فيما تعنيه تلك الألفاظ في السياق القرآني، من خلال التفاسير المتنوعة المناهج، ثم يحدد العلاقات الدلالية بينها ليحدد الشكل الذي يتخذه بناء الحقل، وهذا أقصى ما يمكنه الوصول إليه في ظل هذه النظرية.

يرى إيزوتسو أن المسألة ليست بهذه السهولة في الواقع، ذلك أن الكلمات(وقد سماها المفاهيم) "لا توجد هكذا بساطة في القرآن بحيث تكون كل منها معزولة عن الأخرى، بل يتواقف بعضها على بعض بإحكام... إنها تشكل بين أنفسها مجموعات متنوعة كبيرة أو

---

[1] ينظر: تطور البحث الدلالي، ص19.

[2] التفكير البلاغي عند العرب: أسسه وتطوره إلى القرن السادس، حمادي **(صمود)**، دط، منشورات الجامعة التونسية، تونس: 1981م، ص11.

صغيرة، ثم تترابط هذه المجموعات بدورها بأشكال متنوعة، وبذلك فإنها تؤلف في النهاية مجموعا كليا منظما، وشبكة غاية في التعقيد والتركيب من التداعيات المفهومية"[1].

والإحاطة بالحقول الدلالية في القرآن الكريم، وتقديم تصور واضح للبناء المفهومي الذي تسهم تلك الحقول في تشكيله، مطلب لا يدرك، ولكن السعي مطلوب لمحاولة الكشف عن أسس بناء تلك الحقول، وملامح تشكل الشبكات المفهومية التي تقيمها في إطار نماذج حقلية نموذجية، وهذا ما نحاول العمل عليه من خلال (حقل ألفاظ الرؤية)، الذي سيكون نموذجا نستعين به في محاولة تحقيق أهداف هذا البحث، مع الاستعانة بأمثلة حقول بين الفينة والأخرى إذا تطلب الأمر.

ج-1/ أنواع الحقول الدلالية في النص القرآني: اعتمد الباحثون المتأخرون في دراسة الحقول الدلالية القرآنية على مناهج عدة، منها المنهج الإحصائي التصنيفي، ومن أبرز الحقول التي ركزوا عليها نجد الآتي:

ج-1-1/ حقول التصنيفات اللغوية: وهي حقول تهتم بالأصناف اللغوية، من أمثلتها:

- **حقول عناصر الكلام وتصنيفاتها النحوية:** كحقل الأسماء وحقل الأفعال.
- **حقول الألفاظ المترادفة:** وتكون العلاقة بين عناصر هذا الحقل مبنية على الترادف.
- **حقل الألفاظ المتضادة:** وتكون العلاقة بين عناصر هذا الحقل مبنية على التضاد، ومنها:(الهدى/ الضلال)، و(النور/ الظلمات)، و(الحق/الباطل)، و(الجهل العلم)، و(العمى/ البصر)...إلخ

---

[1] ينظر: الله والإنسان في القرآن، ص33-34.

- **حقل المشترك اللفظي:** وتكون العلاقة بين عناصر هذا الحقل مبنية على الاشتراك اللفظي، مثال ذلك: لفظ **(عين)**.
- **حقل الألفاظ التي لم تتكرر إلا مرة واحدة في القرآن: مثال ذلك:** الأبُّ[1]، والأثْلُ[2]، والأمت[3].
- **حقل الألفاظ المعرَّبة:** وقد تطرق لهذا الحقل كثير من أعلام العربية القدامى، كجلال الدين السيوطي، في كتابيه «الإتقان في علوم القرآن»، و«المهذب فيما وقع في القرآن من معرب»، فقد ذكر من الألفاظ الفارسية المعربة: **أباريق:** طريق الماء، و **بِيَع:** مكان للعبادة، و **سندس:** رقيق الديباج، و **سجيل:** أولها حجارة وآخرها طين. وأما الألفاظ العبرية والنبطية المعربة فذكر منها: **صلوات:** كنائس اليهود أصلها **(صلوتا)**، و**راعنا:** سب بلغة اليهود، و**هيت لك:** قاله أبو زيد الأنصاري، وأصله **(هيتلج)** أي تعال، و**الأَوَّاه:** كثير الدعاء.
- **حقول الأوزان الاشتقاقية:** وهي حقول صرفية، تتميز بها اللغة العربية بشكل أكثر وضوحا ممّا في اللغات الأخرى، ويتم تصنيف الوحدات في هذا المجال على أساس قرابة الكلمات في ضوء العلامات الصرفية التي تعد سمّة صورية ودلالية مشتركة بينها داخل الحقل الواحد[4]، كالحقل الصرفي لمادة: غفر(غفر/ غفور/ غفار/ غافر/ استغفر/ مستغفر/ يستغفر/ اغفر/ استغفر/غفران/...إلخ)

---

[1] **الأبُّ:** المرعى المتهيء للرعي والجز.

[2] **أثْلُ الشيء** أصله، والأثْلُ: نوع من الشجر.

[3] **الأَمْتُ:** النتوء اليسير.

[4] من أمثلة هذا النوع: بحث الأستاذ سليمان فياض المعنون بـ(الحقول الدلالية الصرفية للأفعال العربية)، دط، دار المريخ للنشر، المملكة العربية السعودية: 1990م.

ج-1-2/ الحقول الإحصائية: وتهتم هذه الحقول بالجانب الإحصائي المتعلق بحوسبة الألفاظ القرآنية، لتسهيل البحث في النص القرآني، ومن أمثلتها:

- **حقل المصطلحات الفقهية:** الزكاة، الدين، القصاص...إلخ
- **حقل مصطلحات العبادات:** الصلاة، الزكاة، الحج، الصدقة، الشعائر، الطواف، السعي... إلخ
- **حقل الأسرة والعلاقات الاجتماعية والإنسانية:** الأب، الأم، الأخت، العم، الخال، الزواج، الابن، الزنى، الطلاق... إلخ
- **الحقول المتدرجة الدلالة:** وهي التي تكون فيها العلاقة متدرّجة بين الكلمات، فقد ترد من الأعلى إلى الأسفل، أو العكس، أو تربط بين بُناها قرابة دلالية، فجسم الإنسان كمفهوم عام يتجزّأ وينقسم إلى مفاهيم صغيرة(الرأس/ الصدر/ البطن/ الأطراف العلوية / الأطراف السفلية)، ثمّ يتجزّأ كل منها إلى مفاهيم صغرى، فأصغر الأطراف العلوية مثلاً (اليد/ الرسغ/ الساعد/ العضد)، واليد(الكف/ الراح/ الأصابع)... وهكذا[1].

ج-1-3/ الحقول المفهومية: وهي التي يطلق عليها **الحقول التركيبية (السانتاجماتية) (syntagmatic fields)**، وتشمل مجموع الكلمات التي ترتبط فيما بينها عن طريق الاستعمال، ولكنّها لا تقع في الموقع النحوي نفسه، وكان "**بورزيغ**" (W.PORZIG) أوّل من درس هذه الحقول، إذ اهتمّ بالكلمات من قبيل(كلب / نباح)، و(فرس / صهيل)، و(يرى/ عين)، حيث أن العلاقة بين هذه الكلمات لا يمكن أن تكون مع غيرها؛ فـ(نباح) يطلق على (الكلب) فقط، بينما (الصهيل) لا يكون إلاَّ لـ(لفرس) و(الحصان)، ولعل البحث في هذا النوع

---

[1] ينظر: الألسنية العربية، ريمون **(طحان)**، ط2، دار الكتاب اللبناني، بيروت- لبنان:1981م، ص96-97.

من الحقول ذو صلة بالتحليل المؤلفاتي لمعاني الألفاظ، ولذلك لا يمكن أن تركّب كلمة (سيارة) مع يـ(سمع)، على أساس أنَّها فاعل لـ(يسمع)[1].

في البداية يجب تقرير قاعدة جوهرية في بناء أي حقل ألفاظ قرآني، وهي عدم تقييد أي لفظ بحقل معين، تجنبا لإقصاء بعض المفردات المسهمة في البناء المفهومي، لأن هدفنا هو بناء حقل دلالي ذو أبعاد مفهومية، لا لغوية.

ج-2/ أبرز الحقول الدلالية في القرآن الكريم:

- **ألفاظ الزمان:** السبت/ الجمعة/ الأجل/ سهر/ ليلة/ الليل/ النهار/ اليوم/ يوم الدين/ الساعة/ مواقيت/ قائلون/ بيات/ الصبح/ يوم الفصل/ ميقات/ تمسون/ تصبحون/ تظهرون/ العشي/ كان/ أصبح/ أمسى/ الإصباح/ الفلق/ الأسحار(السحر)/ بكرة/ الغدو/ ضحى/ عشاء/ أصيلا/ زلفا/ يومئذ/ أياما/ الآن/ حولُ/ حقبا/ أمدا/ أبدا/ كلما/ قبل/ بعد/ عمر/ مليا/ ألف سنة/ أول مرة/ يوما/ العصر/... إلخ
- **حقول الأعلام:**
- **حقل أعلام المكان**[2]: مصر/ سينين/ سيناء/ سبأ/ الاحقاف/ الحجر/ بابل/ ليكة/ الأيكة/ المؤتفكات/ المؤتفكة/ الأرض المقدسة/ أرض الله/ إرم/ أم القرى/ الإيمان/ بكة/ البلد/ البلد الأمين/ البلدة/ يثرب/ الجرز/ حرد/ مخرج صدق/ حسنة/ مدخل صدق/ الدار/ المدينة/ مدين/ الصريم/ الطاغية/ معاد/ القرية/ القريتين/ مكة/ واد/ بدر/ بطن مكة/ التنور/ التين/ الجودي/ حنين/ الأخدود/ الرقيم/ الزيتون/ الساهرة/ سيل العرم/

---

[1] ينظر: علم الدلالة، أحمد مختار عمر، ص80-81.

[2] ينظر: أعلام المكان في القرآن الكريم، يوسف أحمد علي أبو ريدة، جامعة الخليل-فلسطين، مذكرة ماجستير، نوقشت في السنة الدراسية 2008/2007، إشراف: أ.د/ يحي عبد الرؤوف جبر.

الطور/ طور سيناء/ طور سينين/ طوى/ العدوة الدنيا/ العدوة القصوى/ العرم/ عين القطر/ الواد/ وادي النمل... إلخ

- **حقل أعلام أماكن العبادة:** البيت/ البيت الحرام/ البيت العتيق/ البيت المعمور/ جمع/ حرم/ المسجد الحرام/ المسجد الاقصى/ المشعر الحرام/ الصفا/ المروة/عرفات/ مقام إبراهيم/ الكعبة.
- **حقل أعلام المكان في دار الثواب:** الجنة/ جنات المأوى/ جنة المأوى/ جنات عدن/ جنات الفردوس/ جنات النعيم/ الحسنى/ دار الآخرة/ دار السلام/ دار المقامة/ رحيق/ رحمة/ زنجبيل/ سلسبيل/ تسنيم/ طوبى/ عليون/ الغرفة/ قدم صدق/ مقعد صدق/ مقام أمين/ كافور/ الكوثر/ نضرة النعيم/ اليسرى.
- **حقل أعلام الأماكن في دار العقاب في الآخرة:** أثام/ الجحيم/ جهنم/ الحطمة/ دار البوار/ دار الخلد/ دار الفاسقين/ سائل/ سجين/ سحق/ سعير/ سقر/ السموم/ صعد/ صعود/ العقبة/ غساق/ غليظ/ غي/ الفلق/ لظى/ النار/ هاوية/ موبق/ ويل/ يحموم.

- **ج-3/ بناء حقل دلالي قرآني(حقل ألفاظ الرؤية أنموذجا):**

إن الخطوة الأولى في تحديد عناصر حقل دلال قرآني هو إجراء مسح لكل النص القرآني، نستخرج منه الألفاظ التي لها علاقات معنوية بالمعنى العام للحقل، وفي هذا البحث سنتتبع الألفاظ التي لها علاقة بمصطلح الرؤية.

في البداية تتصدر في ذهن قارئ القرآن الكريم بعض الألفاظ المشهورة المتعلقة بمفهوم الرؤية، بحكم التواتر أو الاستشهاد المتكرر بها، وهذه الألفاظ هي: (عين، بصر، نظر، رؤية، إيناس)، وهذه الألفاظ يمكن أن يطلق عليها اسم: الألفاظ الأساسية، ويمكن أن نتصور مشجرا أوليا لهذه الألفاظ ضمن حقل دلالي كما يلي:

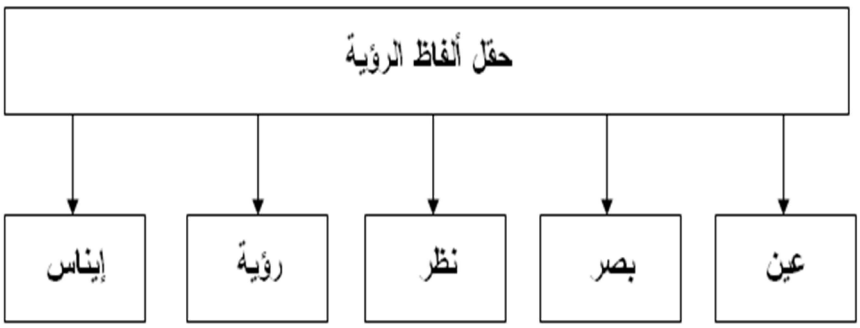

ج-3-1/ الكلمات الأساسية في بناء الحقل القرآني: يرى أحمد مختار عمر وجوب التمييز بين صنفين من الكلمات داخل الحقل؛ صنف أساسي وصنف هامشي، وهذا التمييز مرده إلى أن الكلمات الأساسية هي المتحكمة في التقابلات الهامة داخل الحقل[1].

وقد حاول العلماء تحديد المعايير الفاصلة بين النوعين، وذهبوا في ذلك مذاهب شتى، غير أن أهم ما توصلوا إليه هو أن الكلمة الأساسية:

- تكون متميزة وبارزة بالنسبة لغيرها في استعمال ابن اللغة، فلفظا الرؤية(رأى) و(بصر) – مثلا – بارزان في الاستعمال اللغوي في القرآن الكريم.
- لا يتقيد مجال استخدامها بنوع محدود أو ضيق من الأشياء، فلفظ (عين) مثلا يأتي استعماله غير مقيد ولا محدود[2].

وكما رأينا سابقا فإن حقل ألفاظ الرؤية يحتوي على ألفاظ تبدو أساسية وهي: (عين/ بصر/نظر/ رؤية/ إيناس)، وهذه الألفاظ هي المتحكمة في التقابلات أو العلاقات المهمة داخل الحقل، وللتعرف على تلك العلاقات من الواجب التعرف على دلالات كل لفظ من هذه الألفاظ، وقد تبدو هذه الألفاظ الخمسة من الوهلة الأولى منضوية في مستوى واحد، وتحت

---

[1] ينظر: علم الدلالة، أحمد مختار عمر، ص96.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص96-97.

عنوان واحد، هو حقل ألفاظ الرؤية، لكن نتائج التحليل الدلالي لها ستثبت عكس ذلك كما سنرى الفصول الموالية.

من جهة أخرى يمكن النظر إلى الدلالات العامة لتلك الألفاظ بطريقة أخرى، فلفظا (العين) و(البصر) يدلان على جارحة الرؤية، بينما ألفاظ (نَظَرَ) و(بَصَرَ) و(رَأَى) دالة على فعل الرؤية وآلياته، بينما لفظ(آنس) أو (الإيناس) لا يدلان لا على الجارحة ولا على فعل الرؤية أو آلياته، إنما تدلان على حالة يتجلى فيها المرئي للرائي أو يتفاعلان فيها معا، وبذلك فهذه الألفاظ وإن كانت رئيسية إلا أنها ليست في نفس المستوى الدلالي الواحد، إذ يمكن أن تشكل بنفسها حقولا فرعية لحقل ألفاظ الرؤية كما يظهر في مخططنا الموالي، لكون كل لفظ منها مرتبط سياقيا بألفاظ أخرى كما سنرى لا حقا.

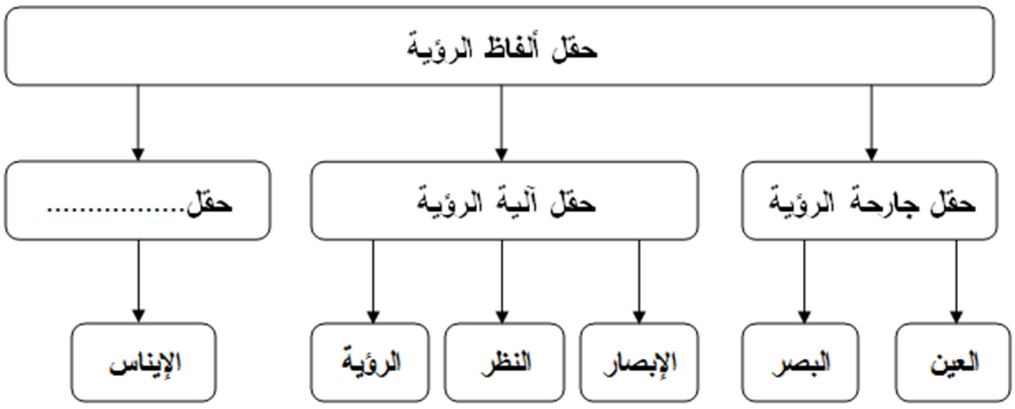

ولبيان اسم الحقل الفرعي الذي ينتمي إليه لفظ(الإيناس) أو(آنس) لابد من بيان دلالاته في القرآن الكريم، التي تتراوح بين دلالة الإبصار الذي فيه أنس.

ورد لفظ(أنس) ومشتقاته في القرآن الكريم بدلالات مختلفة؛ دلالات معنوية لا تنفك عن الدلالة الحسية وهي الإبصار، نحو قوله تعالى﴿إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ

ءَاٰنِسۡتُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى﴾ [طه: من الآية10]، فـ(آنست) هنا بمعنى أبصرت. و"آنست شخصاً من مكان كذا، أي: رأيت"[1]، و"اسْتَأْنَسَتْ وآنَسَتْ بمعنى أَبصرت"[2].

ويربط علماء اللغة بين لفظ(إنسان) وبين دلالات الاستئناسُ والأُنْسُ والتَّأَنُّسُ والإيناس؛ فقد قال الراغب الاصفهاني:" والإنسان قيل سمي بذلك لأنه خلق خلقة لا قوام له إلا بإنس بعضهم البعض، ولهذا قيل: الإنسان مدني بالطبع..، وقيل سمي بذلك لأنه يأنس بكل ما يألفه"[3].

وجاء في القاموس المحيط: "الإِنْسُ: البَشَرُ، كالإِنْسَانِ، الواحد إِنْسِيٌّ وأَنَسِيٌّ ج: أَناسِيُّ. والأَنَسَةُ، محركةً: ضِدُّ الوَحْشَةِ، وآنَسَهُ: ضِدُّ أَوْحَشَهُ، واسْتأْنَسَ: ذَهَبَ تَوَحُّشُهُ"[4]، والاستئناسُ والأُنْسُ والتَّأَنُّسُ عند الخليل لها معنى واحد، وهو ضد الوحشة، يقال: "إذا جاء اللّيل استأنس كلُّ وحشيّ، واستوحش كلّ إنسيّ"[5]، وبذلك يرى ابن منظور، حيث قال: "الإِيناسُ خلاف الإِيحاش، وكذلك التَّأْنيس، والأَنَسُ، والأُنْسُ، والإِنْسُ: الطمأْنينة، وقد أَنِسَ به، وأَنَسَ يأْنَسُ، ويأْنِسُ، وأَنُسَ أُنْساً وأَنَسَةً، وتَأَنَّسَ، واسْتَأْنَسَ، قال الشاعر:

ولكنني أَجمع المُؤْنِساتِ إِذا * ما اسْتَخَفَّ الرجالُ الحَديدا** (المتقارب)[6]

---

[1] كتاب العين، 308/7. مادة(أنس)، باب (السين والنون و واي همزة معهما)

[2] لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم(**ابن منظور**)، ط3، دار صادر، بيروت– لبنان:1994م، 13/6. مادة(أنس).

[3] معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم، ص25.

[4] القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب (**الفيروزآبادي**)، ط5، دار المعرفة، بيروت– لبنان:2011م، ص64–65. مادة(أنس).

[5] كتاب العين، 308/7. مادة(أنس)، باب (السين والنون و واي همزة معهما)

[6] البيت بلا نسب في اللسان، أنشده الباهلي في كتاب: المحب والمحبوب والمشموم والمشروب، السري بن أحمد (**الرفاء**)، تح: مصباح غلاونجي، دط، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق– سوريا: 1407هـ–1986م، ج3/ص144.

يعني أَنه يقاتل بجميع السلاح، وإِنما سماها بالمؤْنسات لأَنهن يُؤْنِسْنَه فَيُؤَمِّنَّه أَو يُحَسِّنَّ ظَنَّهُ"[1].

وفي تفسير قوله الله تعالى﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَآ﴾ [النور: من الآية27]، فقال الزمخشري: "(تستأنسوا) فيه وجهان؛ أحدهما: أنه من الاستئناس الظاهر الذي هو خلاف الاستيحاش؛ لأن الذي يطرق باب غيره لا يدري أيؤذن له أم لا ؟ فهو كالمستوحش من خفاء الحال عليه، فإذا أذن له استأنس"[2].

وقد ربط الطاهر بن عاشور لفظ(تستأنسوا) بصاحب المنزل[3]،، حيث قال: "ومعنى(تستأنسوا): تطلبوا الأنس بكم، أي تطلبوا أن يأنس بكم صاحب البيت، وأُنسه به بانتفاء الوحشة والكراهية، وهذا كناية لطيفة عن الاستئذان، أي أن يستأذن الداخل، أي يطلب إذناً من شأنه أن لا يكون معه استيحاش رب المنزل بالداخل"[4]، كما نفى أن يحمل لفظ(تستأنسوا) دلالة (علم)، إذ "ليس المراد بالاستئناس أنه مشتق من آنس بمعنى علم، لأن ذلك إطلاق آخر لا يستقيم هنا فلا فائدة في ذكره، وذلك بحسب الظاهر؛ فإنه إذا أذن له دل إذنه على أنه لا يكره دخوله، وإذا كره دخوله لا يأذن له... فلذلك عُبِّر عن الاستئذان بالاستئناس مع ما في ذلك من الإيماء إلى علَّة مشروعية الاستئذان"[5].

---

[1] لسان العرب، 14/6، مادة(أنس).

[2] الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر(**الزمخشرى**)، دط، دار الكتاب العربي، بيروت– لبنان: 1407هـ، 225/3–226.

[3] الإيناس عند الطاهر بن عاشور هو(الإحساس والشعور بأمر خفي، فيكون في المرئيات وفي الأصوات)، ينظر: التحرير والتنوير، محمد الطاهر(ابن عاشور)، دط، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس:1997م، ج19/ص225.

[4] التحرير والتنوير، 197/18.

[5] المصدر نفسه، 197/18.

وللفظ (آنس) عند علماء العربية القدامى دلالة أخرى هي دلالة الظهور، وهي مستنتجة من المقابلة الدلالية بين الإنس والجن، قال الراغب الأصفهاني:" الإنس خلاف الجن، والإنس خلاف النفور"[1]، وجاء في لسان العرب:" قيل للإِنْسِ إِنْسٌ لأَنهم يُؤنَسُونَ؛ أَي يُبْصَرون، كما قيل للجنِّ جِنٌّ لأَنهم لا يؤنسون أَي لا يُبصَرون، وقال محمد بن عرفة الواسطي: سُمي الإِنْسِيِّون إِنْسِيِّين لأَنهم يُؤنَسُون؛ أَي يُرَوْنَ، وسمي الجِنُّ جِنّاً؛ لأَنهم مُجْتَنُّون عن رؤية الناس"[2].

ومن دلالات لفظ(آنس) في القرآن الكريم دلالة (العلم)، قال سبحانه﴿ وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ ﴾ [النساء: من الآية6]، جاء في العين: "آنستُ من فلانٍ ضعفاً، أو حَزْماً، أي علمته"[3]، وقال ابن منظور:" آنَس الشيءَ علمه يقال آنَسْتُ منه رُشْداً أَي علمته، ويقال آنَسْتُ منه كذا أَي علمت واسْتَأْنَسْتُ اسْتَعْلَمْتُ"[4]، وقد عبَّر الزمخشري عن دلالة العلم التي للفظ(آنَسْتُم) بلفظ (الاستيضاح) المستعار للتبيين[5].

وقد بيَّن الزمخشري الدلالة الثانية للفظ (تستأنسوا) في قول الله تعالى﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ﴾ [النور: من الآية27] فقال: "... والثاني أن يكون من الاستئناس الذي هو الاستعلام والاستكشاف: استفعال من أنس الشيء إذا

---

[1] معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم، ص25.

[2] لسان العرب، 16/6، مادة(أنس).

[3] كتاب العين، 308/7، مادة(أنس)، باب (السين والنون و واي همزة معهما)

[4] لسان العرب، 15/6، مادة(أنس).

[5] ينظر: الكشاف، 473/1.

أبصره ظاهرا مكشوفا، والمعنى: حتى تستعلموا وتستكشفوا الحال، هل يراد دخولكم أم لا، ومنه قولهم: اِستأنِسْ هل ترى أحدا، واستأنست فلم أر أحدا، أي: تعرَّفْت واستعلمت"[1].

ومما سبق يمكننا القول أن "للفظ (آنس) خصوصية لا نجدها في رأى وأبصر؛ لأن الرؤية والإبصار عامَّان في كل ما يظهر للعيان، أما (الإيناس) فيشترط فيه ميل النفس واطمئنانها إليه، سواء كان ذلك بالإبصار أم بالإحساس"[2].

وبعبارة أخرى فإن الأنس باعتباره أثرا أو حالة نفسية ينتج من حالة التفاعل بين الرائي والمرئي، وبذلك فإن استئثار لفظ(آنس) بحقل فرعي أمر معقول، كما أن هناك ألفاظا أخرى تشترك مع هذا اللفظ في نفس الحقل؛ كونها دالة حالة نفسية ناتجة عن تفاعل عنصري(الرائي) و(المرئي).

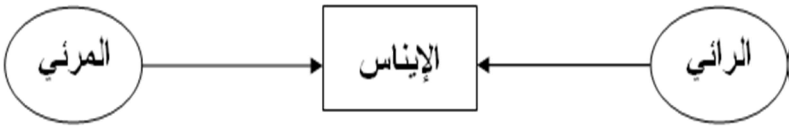

إذن فقد رأينا أن حقل ألفاظ الرؤية يحتوي على خمسة ألفاظ رئيسية هي (عين)، و(بصر)، و(رأى)، و(نظر)، و(آنس)، وهي ليست كلها في مستوى حقلي واحد، وفي المرحلة الثانية من استقصاء ألفاظ الرؤية، سنلجأ إلى البحث في المستوى الثاني من مستويات الدلالات، ونقصد بذلك الألفاظ الثانوية التي استعملها القرآن الكريم في سياق واحد مع الألفاظ الرئيسية الخمسة.

---

[1] الكشاف، 226/3.

[2] الترادف في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق، محمد نور الدين (**المنجد**)، ط1، دار الفكر، دمشق– سوريا: 1997م، ص181.

ونعود فنذكر بالمنهج الذي نتبعه في بناء حقل دلالي قرآني، إذ هو منهج لا يعتمد على الرصف الآلي للألفاظ ذات الدلالات المتقاربة التي تنضوي تحت عنوان واحد، وإنما هو بحث عن كل الألفاظ التي تسهم في تشكيل الشبكة المفهومية للحقل، تلك الشبكة التي تؤلف مع شبكات أخرى في النص القرآني شبكات أكثر دقة وتعقيدا، سنحاول سبر أغوارها، والتعرف على بعض ملامحها.

ج-3-2/ الكلمات غير الأساسية في بناء الحقل الدلالي القرآني:

سيقودنا السعي لتشكيل ألفاظ حقل ألفاظ الرؤية إلى اكتشاف ألفاظ غير أساسية يمكن أن تشكل- إضافة إلى لفظ(الإيناس)- الحقل الفرعي الموسوم بـ(حقل الألفاظ الدالة على آثار الرؤية والترائي)، وتلك الألفاظ هي: **الشخوص، والخشوع، والبريق، والمد، والتلذذ، واللمح، والخيانة، والتعدية، والشهادة.**

إن هذه الألفاظ دالة على تلك الحالة النفسية التي عبر عنها القرآن في مواضع عدة، والتي يتعرض فيها الإنسان(الرائي) إلى مواقف مفصلية، تحدد حركته في الكون، وقوته الإيمانية ومصيره النهائي.

وإلى جانب هذه الألفاظ نجد ألفاظا أخرى هي: **الاطلاع، والإيجاد، والإهطاع، والعثور، والثقف، والإحساس،** وهي ألفاظ تشترك في كونها دالة على طريقة مخصوصة في الرؤية.

كما نجد ألفاظا أخرى غير رئيسية يمكن أن تشكل حقلا ثانويا آخر، وهي تشترك في كونها دالة على كيفية تجلي المرئي، وهي ألفاظ: **الجَهْر، والطُّلوع، والظُّهور، والبُزُوغ، والعَرْض، والتجلي.**

بعد عرض المجموعتين الدلاليتين السابقتين يمكن الملاحظة والتساؤل عن الفروق الدلالية بين لفظ(الطلوع) في المجموعة الأخيرة، ولفظ(الاطلاع) في المجموعة التي قبلها، وهما كما يظهر مشتقان من مادة(طلع)، ونحن إذ عرَّفنا (الاطلاع) على أنه صفة لهيئة الرؤية، فها هنا نعرف (الطلوع) بأنه صفة لكيفية تجلي المرئيات، وسيأتي الحديث عن الفروق بينهما في الفصل الموالي.

وبهذا يتكون عندنا ثلاثة حقول فرعية من الحقل الفرعي الذي سنطلق عليه اسم(حقل ألفاظ طرائق الرؤية والترائي وآثارهما)، وهذه الحقول هي:

1-حقل طرائق الرؤية.

2-حقل طرائق الترائي.

3-حقل آثار الرؤية والترائي.

والمشجر الآتي يبين هذه الحقول:

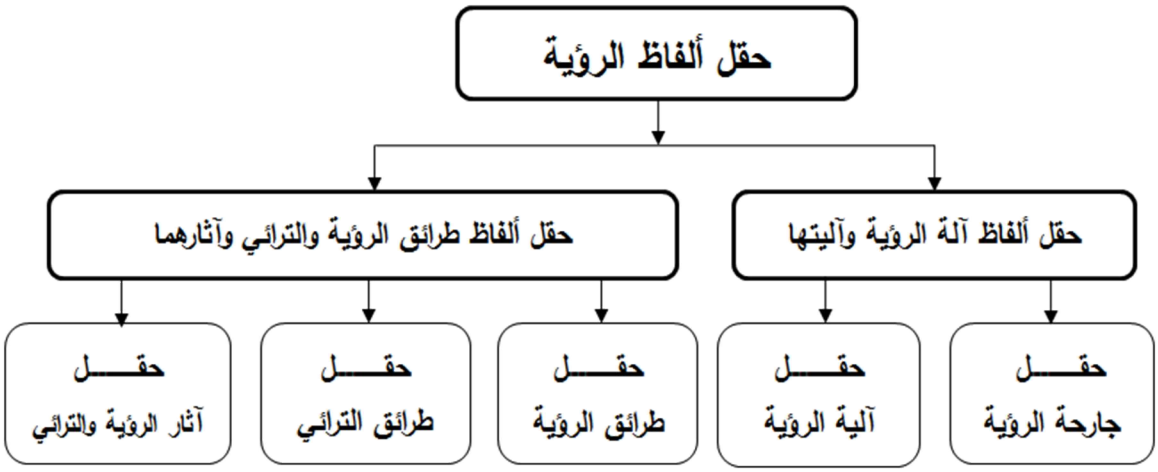

بعد أن فرغنا من تحديد الألفاظ الثانوية المتعلقة بحقل(طرائق الرؤية وتفاعلاتها)، سنأتي للبحث عن الألفاظ الثانوية المتعلقة بحقل جارحة الرؤية(عين)، وهي ألفاظ تعبر عن

الأوصاف التي وصفت به هذه الجارحة، أو الحالات التي تكون عليها في مواقف معينة ذكرها القرآن الكريم.

إن للفظ(عين) – بالإضافة إلى دلالة الآلة الناظرة– دلالات متعددة في المعاجم اللغوية القديمة؛ فقد قال الخليل: "العينُ من السّحاب: ما أقبل عن يمينِ القِبْلة، وعَيْنُ الشّمس: صَيْدَخُها، ويقال لكلّ رُكْبَةٍ عينانِ كأنّهما نُقرتان في مُقَدّمها، والعَينْ: المال العتيد الحاضر، والعَيْنُ: الذي تبعثه لتجسُّسِ الخبر، والعِينُ: بَقَرُ الوحش وهو اسم جامع لها كالعِيس للإبل، ويُوصَفُ بسَعَةِ العَيْنَ، فيقال: بقرة عَيْناءُ وامرأة عَيْناء، ورجلٌ أَعْيُنَ، والعَيَنُ: عظم سواد العَيْن في سَعَتها. وهؤلاءِ أعيانُ قَوْمِهم، أي أشرافُ قومهم. والماء المَعِين: الظّاهر الذي تراه العُيون"[1]، و"هو من قولهم : مَعَنَ الماء؛ جَرى فهو معين"[2]، نحو قوله تعالى﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ [المؤمنون:50] [3]، ومن خلال هذه التعريفات اللغوية يظهر أن المعنى العام للفظ(عين) هو ظهور الشيء وبروزه مع عظمة فيه.

وفي «لسان العرب» دلالات أخرى مستخرجة من القرآن الكريم؛ وهي دلالات: الإبصار والتربية والإشفاق؛ قال ابن منظور: "وقوله تعالى﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾ [طه: من الآية39]، فسره ثعلب فقال: لتُرَبَّى من حيث أَراك... وفي التنزيل﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [هود: من الآية37]؛ قال ابن الأنباري: قال أَصحاب النقل والأَخذ بالأَثر: (الأَعْيُنُ) يريد به العَينَ، قال: وعَينُ الله لا تفسر بأَكثر من ظاهرها، ولا يسع أَحداً أَن يقول: كيف هي أَو ما صفتها... وقال بعض المفسرين:

---

[1] كتاب العين، 255/2. مادة(عين)، باب (العين والنون و واي معهما)

[2] معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص356.

[3] ينظر تفسير الآية في: التحرير والتنوير، 67/18.

بأَعيننا بإبصارنا إليك، وقال غيره: بإشفاقنا عليك واحتج بقوله﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴾ أَي لِتُغذَّى بإشفاقي، وتقول العرب: على عَيْني قصدْتُ زيداً؛ يريدون الإشفاق"[1].

أما الزركشي فيرى في البرهان أن إضافة العين إلى البارئ سبحانه حقيقة لا مجاز كما يتوهم كثير من الناس؛ "لأنه صفة في معنى الرؤية والإدراك، وإنما المجاز في تسمية العضو بها، وكل شيء يوهم الكفر والتجسيم فلا يضاف إلى البارئ سبحانه لا حقيقة ولا مجازا"[2]، وهذا مذهب فقهاء أهل السنة.

وقد تكرر لفظ(عين) في واحد وعشرين موضعا من القرآن الكريم، مجموعا على (أعين) التي هي الأَعيُنُ المبصرة، وهي أصل الدلالة في هذه الكلمة، ومنها توزّعت واتسعت مجازاً، نحو قوله تعالى﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾ [الأعراف: من الآية116].

وجاء لفظ (عين) الدال على الجارحة متعدد الصيغ؛ فمنها ما جاء:

- مفردا نحو قوله تعالى﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ ﴾ [المائدة: من الآية45].
- مثنى نحو قوله تعالى ﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ﴾ [البلد:8].
- جمعا نحو قوله تعالى﴿ قَالَ أَلْقُواْ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾ [الأعراف: من الآية116].

إن المهمة الرئيسية للعين هي الرؤية، وقد بين الله تعالى في قوله ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴾ [البقرة:17]، أن النور

---

[1] لسان العرب، 301/13، مادة(عين).

[2] ينظر: البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله(**الزركشي**)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط3، دار التراث، القاهرة– مصر: 1404هـ– 1984م، ج2/ ص87.

هو الشرط الأساسي في عملها؛ "أي أن العين لا تبصر بذاتها، ولكن تبصر بانعكاس النور على الأشياء ثم انعكاسه على العين، واقرأ قوله تعالى﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾ [الإسراء: من الآية12]، فكأن الذي يجعل العين تبصر هو الضوء أو النور، فإذا ضاع النور ضاع الإبصار، ولذلك فأنت لا تبصر الأشياء في الظلام"[1].

إن وظيفة الإبصار مركبة من شقين متكاملين؛ أولهما النظر وتقوم به العين، وثانيهما **الرؤية** ويقوم بها مركز عصبي خاص في قشرة المخ(الدماغ) يدعى مركز الإبصار، يتصل بشبكية العين عن طريق العصب البصري، وقيام هذا المركز بإدراك ما يرد إليه من الشبكية تتم به عملية (الإبصار)، وبهذا يمكننا تعريف عملية الإبصار بأنها: الإدراك الحسي لمعالم المرئيات ذات الكيان المادي بعد النظر إليها في الضوء.

وفي حال إصابة خلايا مركز الإبصار(العصب البصري) بتلف عضوي فالنتيجة هي العمى الدائم، الذي يمكن أن يحدث أيضاً رغم سلامة العينين وسلامة مركز الرؤية، والسبب في هذه الحالة هو أن عملية الإبصار تتوقف عند الحد الفاصل بين النظر والرؤية؛ أي أن الصورة الواقعة على الشبكية لا تجد ما ينقلها إلى مركز الرؤية، وحالات النظر بلا رؤية معناها عدم القدرة على الإبصار بسبب انعدام الركن الفعلي أو الإدراكي وهو الرؤية، تماماً مثلما أن الصورة الفوتوغرافية تظل خافية على الفيلم الخام ما لم يتم (تحميضه).

ويمكن توزيع الألفاظ التي وصفت بها آلة(العين) في القرآن الكريم على ثلاث مجموعات كما يلي:

---

[1] تفسير الشعراوي، 1/173-174.

– ألفاظ تدل على_سلامة العين من الأمراض والعيوب، وهي: **الدَّمْع/ الحَوَر/ القُرَّةُ والقَرَارُ**.

– ألفاظ متعلقة بما يعتري آلة الرؤية من أمراض أو عوائق تعطل عملها وحركتها، وهي: **العَمَى، والعَمَه، و الكَمَه، و العَشَا، والطَّمْس، والإغْماض، و الكَفّ، و التَّخْييل والسِّحر، و التغطية**.

– ألفاظ تدل على حركة جارحة الرؤية، وهي: **الطرف، والغَمْز، والهَمْز، واللَّمز**.

و تنضوي تحت لفظ (بصر) الدال على الجارحة أيضا– والذي يشكل مع لفظي(نظر) و(رأى) حقل ألفاظ آلية الرؤية– ثلاث مجموعات من الألفاظ، وهي:

– الألفاظ الدالة على حركة آلية الرؤية، وهي: التقليب، والانقلاب، والإرجاع، والزيغ، والصرف، التزليق.

– لفظ واحد يدل على سلامة آلية الرؤية من العيوب، هو الحدَّة.

– الألفاظ المتعلقة بما يعتري آلية الرؤية من أمراض أو عوائق تعطل عملها وحركتها، وهي: الغض، والأخذ، والخطف، والإذهاب، والطبع، والتغشية، والتسكير، والخسوء، والحسور.

أخيرا وبناء على ما سبق يمكننا إعطاء تصور لتشكل هذا الحقل النموذجي؛ حقل ألفاظ الرؤية، كما نتصوره في المشجر:

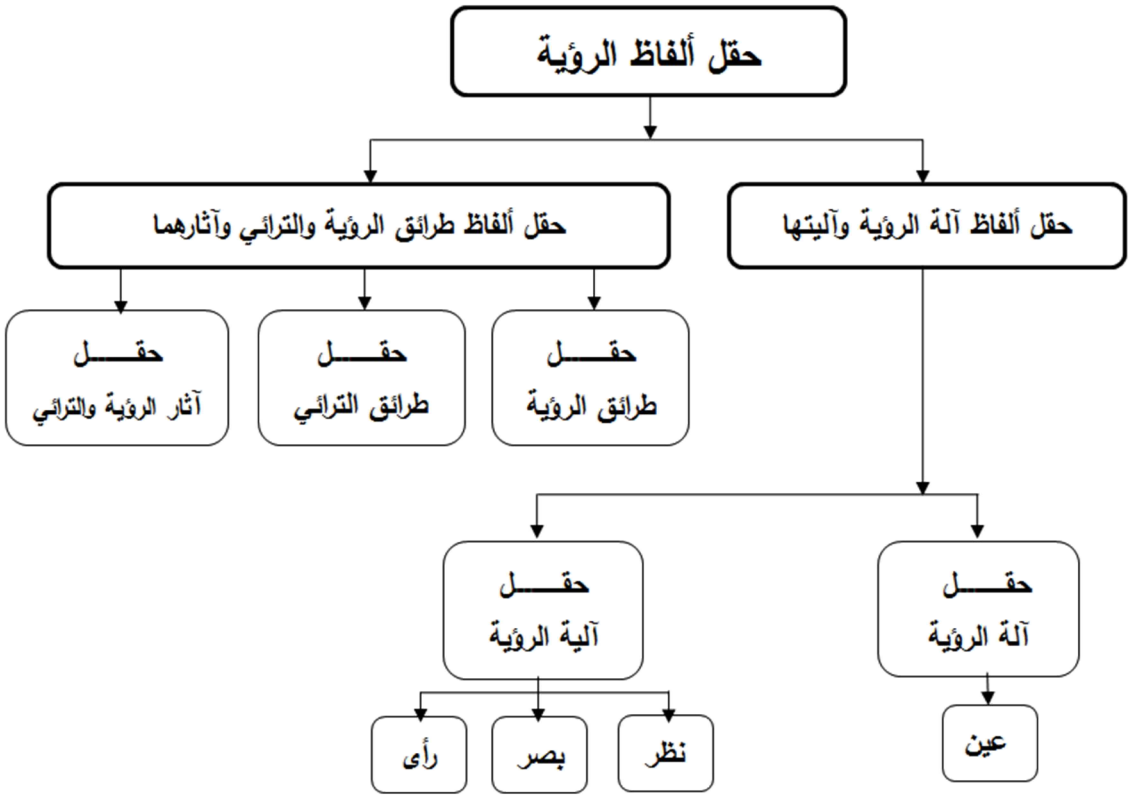

ج-3-3/ الحقل المفهومي:

ذكرنا آنفا أن نظرية الحقول الدلالية تواجه أزمة بسبب طبيعتها التي لا تتجاوز جمع الألفاظ وتصنيفها وتحليلها والبحث عن العلاقات بينها، كما ذكرنا أن أي حقل دلالي قرآني هو جزء من حقل دلالي لغوي أوسع، يمتاز بكونه تشكيلا حقليا خاصا بالنص القرآني، يسهم في تبليغ المفاهيم القرآنية، وهو يختار من اللغة-وليس من كل اللغة- الألفاظ التي تعبر عن مفاهيمه، وفق أساليب لغوية متنوعة. إن هذا التشكيل الحقلي يمكن أن نطلق عليه مصطلح **الحقل المفهومي.**

وما يميز أي حقل مفهومي قرآني-في نظرنا- هو أنه ليس مكتفيا بذاته، بحيث يستغني بدلالات ألفاظه والعلاقات التي بينها عن بقية الحقول الأخرى، نظرا لطبيعة الشبكة

المفهومية المتشابكة للنص القرآني، التي لا يمكن فيها الفصل بين مفاهيمه، إنه تشكيل بنوي حي، قائم على سمة التعقيد اللغوي.

بناء على تلك الخصائص يمكن بناء حقل دلالي قرآني بسيط من حقلين على الأقل، الأول يتشكل من الألفاظ الأساسية وغير الأساسية التي هي من صلب الحقل المدروس، والثاني يتشكل من ألفاظ من خارج الحقل المدروس، تكون مرتبطة تركيبيا(سياقيا) –كما ذكرنا آنفا– مع ألفاظ المستوى الأول، وأكثر ما يكون الترابط بينها في تراكيب الإضافة والوصف، ويمكن أن نسميها **الألفاظ الموجِّهة**، وظيفتها والإعانة على تكوين تصور حول حركة ودلالات الألفاظ في الحقل الدلالي الرئيسي، والإعانة على تبليغ المفاهيم القرآنية الواجب تبليغها، وبذلك يشكل اجتماع الألفاظ من المستويين حقلا مفهوميا قائما بذاته، هذا من جهة، ومن جهة أخرى يمكن أن يتشكل حقل دلالي رئيسي من حقول فرعية تتخذ نمط المشجر، وكل حقل منها يتكون من المستويين الآنفي الذكر، والمخطط التي يبين تصورنا بشكل أوضح:

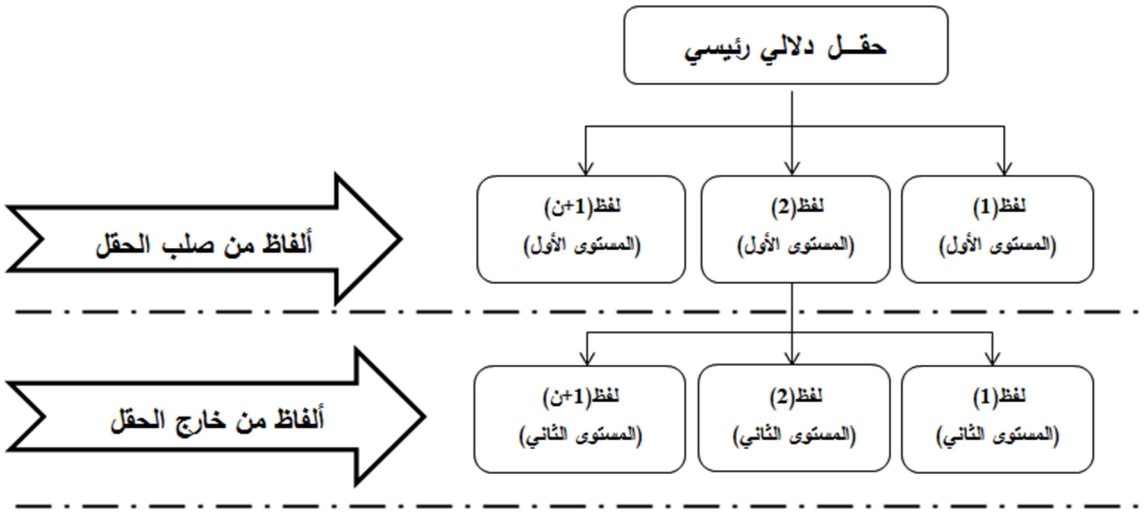

الفصل الثاني

البناء الحقلي والمفاهيمي لألفاظ الرؤية

ا- البناء الحقلي للمفاهيم المتعلقة بحقل آلة الرؤية (عين)

ب- البناء الحقلي للمفاهيم المتعلقة بحقل لفظ آلية الرؤية (بصر)

ج- البناء الحقلي للمفاهيم المتعلقة بحقل ألفاظ طرائق الرؤية والترائي وآثارهما

ا- البناء الحقلي للمفاهيم المتعلقة بحقل آلة الرؤية (عين):

سنرى من خلال حقل ألفاظ الرؤية كيف يمكن بناء حقل دلالي ضمن المستويين الأول والثاني، حيث سنتناول أولا تصنيفها، ثم دلالاتها والعلاقة الدلالية بين الألفاظ:

المستوى الأول
الهمز /الغمز/ اللمز/الطرف/العمى/العمه/ الكمه/العشا (السحر/التخييل)/الإغماض الحور/الدمع
المستوى الثاني
الطمس/التغطية/ الكف/الابيضاض/ القرَّة

ا-1/ دلالات ألفاظ المستوى الأول:

- **الهَمْز**: للفظ(همز) كثير من الدلالات، من بينها الغمز؛ قال الفيروزآبادي: "الهَمْزُ: الغَمْزُ، والضَّغْطُ والنَّخْسُ والدَّفْعُ والضَّرْبُ والعَضُّ والكسرُ، يَهْمُزُ ويَهْمِزُ. والهامِزُ والهُمَزَةُ: الغَمَّازُ"[1].

وتخصص دلالة الهمز بالغمز في الغيبة دون الحاضر، ففي لسان العرب: "الهَمَّاز والهُمَزَة الذي يَخْلُف الناسَ من ورائهم ويأْكل لحومهم، وهو مثل العُيَبَةِ، يكون ذلك بالشِّدْقِ والعين والرأْس"[2]، ويدل بناء فعل(همز) على صيغة(فُعَلَة) على الاعتياد، ولذلك لا يقال ضُحَكَةٌ ولُعَنَةٌ إلا للمُكثر المتعوِّد[3]، قال تعالى﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة:1].

---

[1] القاموس المحيط، ص1362، مادة(همز).

[2] لسان العرب، 426/5، مادة(همز).

[3] ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ص750.(هُمَزة) من المبالغة بالتاء؛ والمبالغة بالتاء أنواع، يمكن أن نجعلها في نوعين هما: ما أصله غير مبالغة، ثم بولغ بالتاء، كالراوي؛ فنقول عند المبالغة(راوية)، وما أصله صيغة مبالغة ثم نأتي

وقد ورد لفظ(الهمز) في القرآن الكريم بصيغتين؛ الأولى صيغة الجمع في قوله تعالى﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ [المؤمنون:97]، أي "أنّ الشياطين يحثون الناس على المعاصي ويغرونهم عليها، كما تَهْمِزُ الرَّاضَّة الدَّواب حثًّا لها على المشي"[1]، والثانية صيغة المبالغة، في قوله تعالى ﴿هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ﴾ [القلم:11]، أي "عيَّابٍ طَعَّان"[2]، على وزن(فعَّال)، وهو بناء مشهور عند العرب في أسماء المهن؛ كالقَتَّال والزَّرَّاد والخرَّاط والصَّفَّار والنَّحَّاس والبَزَّاز.

– **الغَمْـز**: أصل الغمز في اللغة "الإشارة بالجفن أو اليد طلبا إلى ما فيه مُعَاب"[3]، ومن دلالاته المتصلة بتحريك الجارحة أو جزء منها، "العصر باليد؛ وأصله من غمزت الكبش إذا لمسته هل به طَرْقٌ؟ نحو عبطته"[4]، ومنها "الغَمّازَةُ: الجارية الحسنة الغَمْزِ للأعضاء"[5].

وقد ورد هذا اللفظ في القرآن الكريم ليدل على معاني فعل الغَمْز، سواء باستعمال جارحة العين، أو باستعمال جوارح أخرى، نحو قوله سبحانه ﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾ [المطففين:30]،

بالتاء لتأكيد المبالغة وزيادتها، مثل(هُمزة) فأصلها (هُمَز) وهي من صيغ المبالغة مثل(حُطَم . لُكَع . غُدَر . فُسق)، فنأتي بالتاء لزيادة المبالغة، فهذا التأنيث للمبالغة بل الغاية في المبالغة، وهذا ما تدل عليه كلمة (هُمَزة)، وكذلك الأمر بالنسبة للفظ(لمزة).

[1] الكشاف، 202/3.

[2] المصدر نفسه، 586/4.

[3] معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص275.

[4] المصدر نفسه، ص275.

[5] كتاب العين، 386/4، مادة(غمز)، باب (الغين والزاي والميم معهما)

أي " يغمز بعضهم لبعض بعينه، أو يشير بيده، أو يأتي بحركة متعارفة بينهم للسخرية من المؤمنين، وهي حركة وضيعة واطية تكشف عن سوء الأدب، والتجرد من التهذيب"[1].

– **اللَّمز**: يجمع اللغويون على أن دلالة اللمز تجمع بين دلالتي الغمز التي هي تحريك العين، ودلالة الهمز التي هي الاغتياب والطعن في الأعراض في الغيبة؛ قال ابن منظور: "واللَّمْزُ: العيب في الوجه، وأَصله الإشارة بالعين والرأْس والشفة مع كلام خفي"[2]، وقال الفيروزآبادي: "اللَّمْزُ: العَيْبُ، والإشَارَةُ بالعَيْنِ ونحوِها... واللُّمَزَةُ: الطَّعَّانُ في أنْسابِهِمْ، أو الهُمَزَةُ: بالعَيْنِ"[3]، وفي كتاب العين:" اللَّمْزُ كالغمز في الوجه؛ تَلْمِزُه بفيك بكلام خفّي"[4].

وقد ذكر لفظ (اللمز) في قوله تعالى ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ [التوبة: من الآية58]، وقوله ﴿ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ [التوبة: من الآية79]، وقوله﴿وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ﴾ [الحجرات: من الآية11]، وقوله قال تعالى﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴾ [الهمزة:1]، وكما يصاغ فعل(همز) على وزن(فُعَلَة)، ووزن(فعَّال)، يصاغ فعل(لمز) كذلك، فتقول "رجل لمَّاز ولُمَزَةٌ : كثير اللَّمز"[5].

– **الطرف**: من المعاني الرئيسية لمادة (ط ر ف) أن "طرف الشيء جانبه، ويستعمل في الأجسام والأوقات وغيرهما"[6]، أو هو منتهى كل شيء أو الطائفة منه، ولذلك يسمى الجفن

---

[1] تفسير الظلال، سيد (قطب إبراهيم)، دط، دار الشروق، القاهرة– مصر: دت، ج6/ص3861.

[2] لسان العرب، 406/5، مادة(لمز).

[3] القاموس المحيط، ص1187، مادة(لمز).

[4] كتاب العين، 372/7، مادة(لمز)، باب (الزاي واللام والميم معهما)

[5] معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص345.

[6] المصدر نفسه، ص227.

الذي يحيط بجارحة العين ويحميها طرفًا[1]، وتسمى العين طرفا من باب إطلاق اسم الجزء على الكل، كما أن العرب تشتق الفعل الدال على حركة إطباق الجفن، من اللفظ الدال على الجفن نفسه.

ويرى ابن جني أن حروفا من بينها الطاء إذا مازجت الفاء على التقديم والتأخير دلت في أكثر أحوالها على الوهن والضعف، لذلك فإن "طرف الشيء أضعف من قلبه وأوسطه، قال الله سبحانه﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ [الرعد: من الآية41]"[2].

ونجد تلك الدلالات واضحة في تعريف الفيروزآبادي، حيث قال:" الطَّرْفُ: العَيْنُ، لا يُجْمَعُ، لأَنه في الأَصْلِ مَصْدَرٌ، أو اسمٌ جامعٌ للبَصَرِ، لا يُثَنَّى ولا يُجْمَعُ، وقيلَ: أَطْرافٌ، والطَّوارِفُ: العُيونُ، وطرف بَصَرَهُ: أَطْبَقَ أَحَدَ جَفْنَيْهِ على الآخَرِ، أو طَرَفَ بِعَيْنِهِ: حَرَّكَ جَفْنَيْها، المَرَّةُ منه: طَرْفَةٌ"[3].

وقد عبَّر القرآن الكريم عن الطرف بالنظر إذ كان تحريك الجفن لازمة النظر، نحو قوله تعالى﴿قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ [النمل: من الآية40]، وقوله﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ [الرحمن: من الآية56]؛ "عبارة عن إغضائهن لعفتهن"[4].

---

[1] كتاب العين، 414/7، مادة(طرف)، باب (الطاء والراء والفاء معهما)

[2] الخصائص، 166/2.

[3] القاموس المحيط، ص798، مادة(طرف).

[4] معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص227.

ويرتبط لفظ(الطرف) الدال على حركة جزء من جارحة العين في القرآن الكريم، بثلاثة ألفاظ أخرى وهي:

– **ارتداد الطرف:** الارْتِدادُ في اللغة الرُّجوعُ، وهو من اشتقاقات الفعل الثنائي المزيد (رَدَّ)؛ يقال: رَدَّهُ رَدًّا ومَرَدًّا ومَرْدوداً ورديدي: أي صرفه[1]، نحو قوله تعالى﴿ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ﴾ [إبراهيم: من الآية43]، أي"لا يطرفون، ولكن عيونهم مفتوحة ممدودة من غير تحريك للأجفان، أو لا يرجع إليهم نظرهم فينظروا إلى أنفسهم"[2]، كأنهم صعقوا أو أصيبوا بدهشة سكنت على إثرها عيونهم فلا تتحرك أجفانها.

وقد جاء التعبير عن سرعة ارتداد الطرف وقِصَر مدَّتها في قوله تعالى﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾ [النمل: من الآية40]، فمعنى قوله ﴿ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾ "أنك ترسل طرفك إلى شيء، فقبل أن تردّه أبصرت العرش بين يديك،... ويجوز أن يكون هذا مثلا لاستقصار مدّة المجيء به، كما تقول لصاحبك: افعل كذا في لحظة، وفي ردّة طرف، والتفت تَرَاني، وما أشبه ذلك: تريد السُّرْعَة"[3].

– **قصور الطرف:** القِصَرُ في اللغة خلاف الطول، وقَصَرَ الشيء ضم بعضه إلى بعض، تقول: "قَصَرْتُ كذا إذا ضممت بعضه إلى بعض، ومنه سمي القَصْرُ، وجمعه قصور، قال تعالى﴿وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ ﴾ [الحج: من الآية45]، وقوله﴿ وَيَجْعَلْ لَكَ قُصُورًا ﴾ [الفرقان: من الآية10]، وقوله﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ﴾ [المرسلات:32]، وقَصَرَ الصلاة: جعلها قصيرة بترك

---

[1] ينظر: القاموس المحيط، ص500، مادة(ردد).

[2] الكشاف، 563/2.

[3] المصدر نفسه، 368/3.

بعض أركانها ترخيصا، قال تعالى﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ﴾ [النساء: من الآية101]،... وقصَّر شعره: جزَّ بعضه، جاء ذلك في قوله تعالى﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ﴾ [الفتح: من الآية27]" [1].

وأما قصور الطرف فهو عدم رفعه إلى ما لا ينبغي، ولذلك توصف به الحُورُ العين في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، نحو قوله تعالى﴿ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴾ [الصافات:48]، أي " قَصَرْنَ طرفهن على أزواجهن، لا يرفعن إلى غيرهم ولا يُرِدْنَ بدلاً"[2]، قال امرؤ القيس:

من القاصراتِ الطَّرْفِ لو دَبَّ مُحْوِلٌ *** من الذَّرِّ فوقَ الإتْبِ منها لأَثَّرا **(الطويل)**[3]

- **خفاء الطرف:** الخفاء في اللغة الاستتار والتواري، وقد وصف(الطرف) في القرآن الكريم بالخفاء في قوله تعالى﴿وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ ﴾ [الشورى: من الآية45]، للدلالة على ضعف النظر عند مسارقته، "أي يبتدئ نظرهم من تحريك لأجفانهم ضعيف خفي بمسارقة، كما ترى المصبور ينظر إلى السيف، وهكذا نظرُ الناظرِ إلى المَكَارِهِ، لا يقدر أن يفتح أجفانه عليها ويملأ عينيه منها، كما يفعل في نظره إلى المُحابِّ، وقيل: يحشرون عُمْيًا فلا ينظرون إلا بقلوبهم، وذلك نظرٌ من طرف خفي.." [4]

---

[1] معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص305.

[2] كتاب العين، 58/5، مادة(قصر)، باب (القاف والصاد والراء معهما)

[3] ديوان (امرؤ القيس)، ضبط و تصحيح: مصطفى عبد الشافي، ط5، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان:2005م، ص65. والبيت من قصيدة مطلعها: سما لكَ شوقٌ بعدما كان أقصر * وحلتْ سليمي بطن قو فعرعرا

[4] الكشاف، 231/4.

– **العَمَى:** لفظ(العمى) من أكثر ألفاظ الرؤية تداولا في القرآن الكريم، ولذلك يظهر إسهامه – كما رأينا في فصل سابق– في البناء المفهومي للنص القرآني، الذي هو رسالة فاصلة بين عصري العمى الجاهلي والإبصار الإيماني؛ ولذلك نجد لهذا اللفظ دلالتين رئيسيتين؛ دلالة تعطُّلُ جارحة الرؤية عن النظر الحسي نحو قوله تعالى﴿أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ﴾ [عبس:2]، ودلالة تعطل القلب عن النظر العقلي نحو قوله تعالى﴿ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ﴾ [البقرة:18]، ولذلك تنسحب دلالة عمى العين على القلب ويفرَّقُ بينهما بالنعت؛ فيقال:" (قَومٌ عَمُون) من عَمَى القَلْب، وفي هذا المعنى يُقال: ما أعماه، ولا يُقال من عَمَى البَصر: ما أعماه، لأنّه نَعْتٌ ظاهرٌ تُدركُه الأبصارُ "[1].

ويرى **القرطبي(ت671هـ)** أن لفظ العمى ههنا ليس لنفي الإدراكات عن الكافرين، وإنما الغرض نفيها من جهة عدم إبصارهم للحق[2].

– **العَمَه:** العَمَهُ هو التردي في الضلالة[3]، أو التَّحَيُّرُ في مُنازَعةٍ أَوْ طَرِيقٍ، أو عدم معرفة الحُجَّةَ[4]، والعمه "مثل العمى، إلا أن العمى عامّ في البصر والرأي، والعمه في الرأي خاصة، وهو التحيُّر والتردّد، لا يدرى أين يتوجه"[5].

العَمَهُ إذن يختلف عن العمى، والخلاف في الحرف الأخير؛ وأصل العمه عند العرب جاء من وصفهم الأرض بالعمهاء، حيث أن الماشي فيها لا بد له من أعلام(علامات)

---

[1] كتاب العين، 266/2، مادة(عمي)، باب (العين والميم و واي معهما)

[2] تفسير القرطبي، 324/1.

[3] ينظر: كتاب العين، 110/1، مادة(عمه)، باب (العين والهاء والميم معهما).

[4] ينظر: القاموس المحيط، ص914، مادة(عمه).

[5] الكشاف، 69/1، وينظر: تفسير القرطبي، 317/1.

يستدل بها في هذه الأرض[1]، وانتقلت هذه الدلالة المحسوسة فصارت دلالة معنوية، تشير إلى العمى القلبي الذي يصيب البصيرة.

وفي قوله سبحانه ﴿ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾ [البقرة:15]، إشارة إلى التخبط الذي ينشأ عن العمه، سواء التخبط الحسي من عمى البصر، أو التخبط في قيم ومناهج الحياة من عمى البصيرة، ويدعم هذه الإشارة قوله سبحانه ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا﴾ [طه:125]، فكأنما عمى البصيرة في الدنيا يعمي بصر الإنسان عن رؤية آيات الله في الكون، ويعميه عن الإيمان والمنهج[2]، والآية تشير بوضوح إلى أولئك الكافرين الذين "يترددون حيارى، ضُلاَّلا، لا يجدون إلى المخرج منه سبيلا(أي الضلال)، لأن الله قد طبع على قلوبهم وختم عليها، وأعمى أبصارهم عن الهدى، وأغشاها، فلا يبصرون بها رشدا ولا يهتدون"[3].

– **الكَمَه:** يرى اللغويون **أن** الكمه من جنس العمى؛ وأنه قد يكون خِلْقةً[4] كالخفاش الأكمه الذي لم يخلق غيره بهذه الصفة[5]، وقد "يكون حادِثاً بعد بَصَرٍ"[6]، حيث تعتري البصر ظُلْمَة فتَطْمِسُ عليه، كقولنا: كَمِهَ النهارُ، أي اعْتَرَضَتْ في شَمْسِهِ غُبْرَةٌ [7]، واختلط عند

---

[1] ينظر: القاموس المحيط، ص914، مادة(عمه).

[2] ينظر: تفسير الشعراوي، 162/1.

[3] تفسير الطبري، 120/1.

[4] ينظر: كتاب العين، 383/3، مادة(كمه)، باب (الهاء والكاف والميم)، و لسان العرب، 536/13، مادة(كمه).

[5] ينظر: الكشاف، 364/1.

[6] لسان العرب، 536/13، مادة(كمه).

[7] القاموس المحيط، ص1147، مادة(كمه).

بعضهم الكمه بالعشا، حين اعتبروا أن الأَكْمَهُ هو الذي يُبْصِرُ بالنهار ولا يُبْصِرُ بالليل[1]، ورأى بعضهم أن الممسوح العين يقال له أكمه أيضا[2].

وقد ذكر لفظ (الكمه) في موضعين من القرآن الكريم للدلالة على العمى الذي يصيب جارحة الرؤية، بمناسبة الحديث عن معجزات سيدنا عيسى (عليه السلام)، حيث قال الله تعالى ﴿وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ﴾ [آل عمران: من الآية49]، وقال﴿وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى﴾ [المائدة: من الآية110].

وقد رأى بعض اللغويين أن دلالة الكمه تنتقل إلى الأمور المعنوية كما انتقلت دلالة العمه إليها؛ حيث روي عن ابن سيده قوله: "وربما قالوا للمسلوب العقلِ أَكْمَه"[3].

– **العَشَا:** العَشَى مصدر الأعشَى، يقال: امرأة عَشْواءُ، ورجال عُشْوٌ[4]، وللواحد أعشى، وأجاز سيبويه إمالة(العَشا) "وإن كان من ذَواتِ الواوِ تَشْبيهاً بذَوات الواوِ من الأفعال كغَزا ونحوها،... وليس يطَّرِدُ في الأَسْماء إنما يَطَّرِدُ في الأَفْعالِ، وقد عَشِيَ يَعْشَى عَشًى، وهو عَشٍ وأَعْشَى، والأُنثى عَشْواء"[5]، وقد أوردت أغلب المعاجم التراثية مادة (عشو) في باب واحد مع مادة(عشو) وهو"إيتانُك ناراً ترجو عندها خيراً وهدىً؛ عَشَوْتُها أَعْشُوها عَشْواً وعُشُوّا"[6]. قال الحطيئة:

---

[1] ينظر: لسان العرب، 536/13، مادة(كمه).

[2] ينظر: الكشاف، 364/1.

[3] لسان العرب، 536/13، مادة(كمه).

[4] ينظر: كتاب العين، 188/2، مادة(عشي)، باب (العين والشين و واي معهما)

[5] لسان العرب، 519/13، مادة(عمه).

[6] كتاب العين، 187/2، مادة(عشي)، باب (العين والشين و واي معهما)

فنِعْمَ الفَتَى تَعْشُو إلى ضَوْءِ نارِهِ *** إذا الرِّيْحُ هبَّتْ والمكانُ جَدِيبُ **(الطويل)**[1]

ويدل هذا اللفظ على تعطيل جارحة الرؤية تعطيلا جزئيا، وقد اختلف اللغويون في زمنه وصِفَته، أهو حدث عارض أم دائم؟ أهو في النهار أم في الليل أم في كليهما معا؟ فمنهم من رأى أنه "سوءُ البَصَرِ باللَّيْلِ والنَّهارِ، كالعَشاوةِ، أو العَمَى"[2]، ومنهم من رأى أن "الأعشى هو الذي لا يبصر باللّيل وهو بالنّهار بصير، وقد يكون الذي ساء بَصَرُه من غير عمىً، وهو عَرَض حادثٌ ربّما ذهب"[3].

وقد ذكر فعل(العشا) في القرآن الكريم للدلالة على التعامي والتجاهل اللتين جاءتا في معرض الحديث عن المُعْرِضِين عن ذكر الله تعالى؛ قال سبحانه﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾ [الزخرف:36]، "ومعنى القراءة بالفتح: ومن يعْمَ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمنِ وهو القرآن، كقوله تعالى(صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ)، وأما القراءة بالضم فمعناها: ومن يتعام عن ذكره، أي: يعرف أنه الحق وهو يتجاهل ويتغابى"[4].

وقد ذكر لفظ(العشي) في مواضع من القرآن الكريم للدلالة على أحد أقسام اليوم[5]، نحو قوله الله تعالى﴿وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴾ [آل عمران:41]، فالعشيُّ هو "من حين تزول الشمس إلى أن تغيب، والْإِبْكارِ من طلوع الفجر إلى وقت الضحى"[6]، ويعضد هذا القول استدلالهم

---

[1] ديوان (الحطيئة)؛ برواية وشرح ابن السكيت، در وتب: مفيد محمد قميحة، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان: 2003م، ص51. والبيت من قصيدة مطلعها: لَعَمْرِي لقد أَمْسَى على الأَمْرِ سَائِسٌ * بصيرٌ بما ضرَّ العدوَّ أريبُ.

[2] القاموس المحيط، ص876، مادة(عشو).

[3] كتاب العين، 188/2، مادة(عشي–عشو)، باب(العين والشين و واي معهما)

[4] الكشاف، 252/4.

[5] نحو قوله تعالى: في [يوسف:16]، و[مريم:11]، و[ص:18]، و[غافر:55]، و[النازعات:46].

[6] الكشاف، 361/1.

على أن (العشي) هو وقت صلاة العصر[1] بقوله تعالى ﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ ﴾ [الكهف: من الآية28]، " فإذا قلت(عَشِيّة) فهي ليومٍ واحد، والعَشاءُ ممدود مهموز: الأكلُ في وقت العشيّ، والعِشاءُ عند العامّة بعد غروب الشّمس من لدُنْ ذلك إلى أن يولّي صدر اللّيل، وبعض يقول: إلى طلوع الفجر"[2].

– **السِّحر والتَّخْييل:** عرَّف الراغب الاصفهاني الخيال والتخييل والفروق بينهما فقال: "الخيال أصله الصورة المتجردة؛ كالصورة المتصوَّرة في المنام، وفي المرآة، وفي القلب بُعَيْدَ غيبوبة المرئي، ثم تستعمل في صورة كل أمر متصوَّر، وفي كل شخص دقيق يجري مجرى الخيال، والتخييل: تصوير خيال الشيء في النفس، والتخيل تصور ذلك"[3].

وارتبط بلفظ التخييل لفظ(السِّحر) المشتق من مادة (سَحَر)، وهو" آخر ساعات الليل وأول طلوع النهار، حيث يختلط الظلام بالضوء ويصبح كل شيء غير واضح، هكذا السحر شيء يخيل إليك أنه واقع وهو ليس بواقع، إنه قائم على شيئين، سحر العين لترى ما ليس واقعا على أنه حقيقة، ولكنه لا يغير طبيعة الأشياء"[4].

إن التخييل الذي يحصل لجارحة الرؤية هو جوهر السحر، ولذلك فقد ذكر لفظ (السحر) في القرآن الكريم مقترنا بلفظ (عين)، نحو قول الله تعالى﴿ قَالَ أَلۡقُواْۖ فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسۡتَرۡهَبُوهُمۡ وَجَآءُو بِسِحۡرٍ عَظِيمٖ ﴾ [الأعراف:116]، ومعنى "﴿سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ ﴾ أروها

---

[1] ينظر: الكشاف، 717/2.

[2] كتاب العين، 187/2، مادة(عشي–عشو)، باب(العين والشين و واي معهما)

[3] معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص124.

[4] تفسير الشعراوي، 492/1.

بالحيل والشعوذة، وخيلوا إليها ما الحقيقة بخلافه، كقوله تعالى﴿ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴾ [طه: من الآية66] ... روي أنهم لونوا حبالهم وخشبهم، وجعلوا فيها ما يوهم الحركة، قيل: جعلوا فيها الزئبق"[1].

وتظهر علاقة السحر بالعين في عبارة المجاز العقلي(سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ) بتعدية فعل (سحروا) إلى (أعين)، "لأن الأعين آلة إيصال التخييلات إلى الإدراك، وهم إنما سحروا العقول، ولذلك لو قيل: سحروا الناس لأفاد ذلك، ولكن تفوت نكتة التنبيه على أن السحر إنما هو تخيلات مرئية، ومثل هذه الزيادة زيادة الأعين في قول الأعشى:

كذَلكَ فافْعَلْ ما حيَيتَ إذا شَتَوْا *** وَأقْدِم إذَا مَا أعْيُنُ النّاس تَفرق **(الطويل)**[2]

أي إذا ما الناس تفرَق فَرَقا يحصل من رؤية الأخطار المخيفة"[3].

والدليل على أن السحر تخييل عقلي عن طريق العين، وأن الساحر يسحر أعين الناس ولكن عينيه لا يسحرهما أحد، هو المواجهة التي دارت بين موسى وسحرة فرعون وأخبرنا بها القرآن الكريم، في قول الله تعالى﴿ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴾ [طه: من الآية66]، فعندما ألقى السحرة حبالهم وعصيهم خيل للحاضرين أنها حيات تسعى، ولم يخيل للسحرة أنها حيات تسعى، بل ظلت كما هي حبالا وعصيا، فلم يخافوا، لأن أعينهم لم تسحر، وظهرت حقيقة السحر عندما ألقى موسى(عليه السلام) عصاه وتحولت إلى حية حقيقية،

---

[1] الكشاف، 140/2.

[2] ديوان الأعشى، ص122. والبيت من قصيدة مطلعها:

أَرِقْت وما هذا السُّهادُ المُؤَرِّق * وما بِيَ مِن سُقْمٍ، وما بِيَ مَعْشَقُ.

وهو في هذه النسخة المحققة: كذَلكَ فافْعَلْ ما حيَيتَ إليهم * وَأقْدِم إذَا مَا أعْيُنُ النّاس (تَبرقُ)

[3] التحرير والتنوير، 48/9.

فعرفوا أن هذا ليس سحرا لأن السحر لا يغير طبيعة الأشياء، وتأكدوا من ذلك، وتيقنوا أن هذه معجزة من الله سبحانه فوق طاقة البشر[1].

- **الإغْماض**: لمادة (غمض) اشتقاقات كثيرة، معظمها يدل على تعطيل جارحة الرؤية أثناء النوم أو من دونه؛ قال ابن منظور: "الغُمْضُ، والغَماضُ، والغِماضُ، والتَّغْماضُ، والتَّغْمِيضُ، والإغْماضُ النوم... وتغميضُ العين إغْماضُها، وغَمَّضَ عليه وأَغْمَضَ: أَغْلَقَ عينيه... وقد يكون التَّغْمِيض من غير نوم"[2].

وللإغماض دلالة مجازية هي التَّغَافُلُ عن الأشياء[3]، يقال: غَمَضَ عنه، أي: تجاوز[4]، ومعنى(تغمضوا) في قوله تعالى﴿وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ وَلَسۡتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِۚ﴾ [البقرة: من الآية267]، أي: "بأن تتسامحوا في أخذه وتترخَّصوا فيه؛ من قولك: أغمض فلان عن بعض حقه، إذا غضّ بصره، ويقال للبائع: أغمض، أي لا تستقص، كأنك لا تبصر"[5]، أو كأن "الذي يريد الصبر على مكروه يغمض عينيه"[6].

- **الحَوَر**: ورد لفظ (حور) المتعلق بجارحة العين في أربعة مواضع من القرآن الكريم، لوصف حُورِ الجنة، وهي قوله ﴿كَذَٰلِكَ وَزَوَّجۡنَٰهُم بِحُورٍ عِينٖ﴾ [الدخان:54]، وقوله ﴿وَزَوَّجۡنَٰهُم بِحُورٍ عِينٖ﴾ [الطور: من الآية20]، وقوله﴿حُورٞ مَّقۡصُورَٰتٞ فِي ٱلۡخِيَامِ﴾ [الرحمن:72]، وقوله﴿وَحُورٌ عِينٞ﴾ [الواقعة:22].

---

[1] ينظر: تفسير الشعراوي، 492/1-493.

[2] لسان العرب، 199/7، مادة(غمض).

[3] ينظر: كتاب العين، 371/4، مادة(غمض)، باب (الغين والضاد والميم معهما)

[4] ينظر: لسان العرب، 199/7، مادة(غمض).

[5] الكشاف، 315/1.

[6] تفسير القرطبي؛ 352/4.

ولهذا اللفظ في كتب اللغة دلالات كثيرة تنقسم إلى دلالتين، عامة وخاصة، فمن الدلالات العامة "الرُّجوعُ إلى الشّيءِ وعَنْه، والغُصّةُ إذا انحدرتْ"[1]، وأما الخاصة فهي "شِدّةُ بياضِ العَيْن وشِدّةُ سَوادِها"[2]، واستدارة حَدَقَتُها، ورقة جُفونُها، كالظِّباءِ، ولا تكون هذه الأوصاف في الإنسان، بل يُسْتَعَارُ لها[3]، ولذلك شبهت النساء بالظباء والبقر، حيث يكون بياض العين محدقاً بالسواد كله[4].

– **الدَّمْع:** عرَّف الخليل الدمع فقال: "... وعين دامعة، والدّمْع: ماؤها. والدَّمْعَة القطرة. والمَدْمَعُ: مجتمع الدّمع في نواحيها؛ يقال: فاضت مدامعي ومدامع عيني، ويقال للماء الصّافي: كأنّه دمعة"[5]، وعرفه **الفيروزآبادي**(ت817هـ) بأنه" ماءُ العَينِ من حُزْنٍ أو سُرورٍ. والدُّمُعُ، بضمتين: سِمَةٌ في مَجْرَى الدَّمْعِ"[6]، ويقال في تصريف فعله "دَمِعَتِ العينُ تدمَعُ دَمَعاً ودَمْعاً ودُمُوعاً؛ من قال(دَمِعَتْ) قال (دَمَعاً)، ومن قال(دَمَعَتْ) قال(دَمْعاً)"[7].

وقد استخدم لفظ (الدمع) في موضعين من القرآن الكريم؛ هما قوله تعالى﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ ﴾ [المائدة: من الآية83]، وقوله سبحانه ﴿ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوۡكَ لِتَحۡمِلَهُمۡ قُلۡتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ تَوَلَّواْ وَّأَعۡيُنُهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ﴾ [التوبة: الآية92]، ففي هاتين الآيتين نلحظ دقة عجيبة

---

[1] كتاب العين، 288/3، مادة(حور)، باب (الحاء والراء و واي معهما)

[2] المصدر نفسه، 288/3، مادة(دمع)، باب (العين والدال والميم معهما)

[3] ينظر: القاموس المحيط، ص332، مادة(حور).

[4] ينظر: لسان العرب، 219/4، مادة(حور).

[5] كتاب العين، 63/2، مادة(دمع)، باب (العين والدال والميم معهما)

[6] القاموس المحيط، ص446، مادة(دمع).

[7] كتاب العين، 63/2، مادة(دمع)، باب (العين والدال والميم معهما)

في اختيار وربط ألفاظ (أعين) و(الدمع) و(تفيض)، للتعبير عن حالة نفسية إنسانية، تلعب دورا أساسيا في هدم الظلال وترقيق القلوب وتليينها، وخصوصا عند التأمل في آيات الله تعالى[1]، فالله سبحانه في الآية الأولى يعبر عن مراحل الإدراك والنزوع لدى الإنسان، فأول تلك المراحل السماع ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ﴾، وآلة الإدراك فيه حاسة الأذن، ثم يأتي بيان المُدرَك من المسموع، وهو﴿مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ﴾ وهو القرآن الكريم، ثم يأتي بيان الحالة الوجدانية التي تنتج عن هذا الإدراك للمسموع حيث ﴿ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ﴾، وربما صاحب فيضان العين بالدموع نحيب وشهيق فيسمى اجتماعها بكاء، وفي الأخير تأتي مرحلة النزوع حيث أنهم﴿ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾، إذن فالآيتان تبينان مراحل وترتيب عناصر العملية النفسية، فهناك إدراك للمسموع بالأذن، ثم حالة نفسية هي الوجدان علامتها تظهر في الأعين من خلال فيضانها بالدمع[2]، ثم يحدث النزوع إلى فعل القول من خلال التعبير عن الحالة النفسية ككل[3].

ا-2/دلالات ألفاظ المستوى الثاني:

- **الطَّمْس:** الطَّمْس والطُّموسُ واحد، وهو "الدُّروسُ والامِّحاءُ، يَطْمُسُ ويَطْمِسُ، وطَمَسْتُهُ طَمْساً: مَحَوْتُهُ، وطَمَسْتُ الشيءَ: اسْتَأصَلْتُ أثَرَهُ"[4]، نحو قول الله تعالى﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ﴾

---

[1] ينظر: إعجاز الكلمة في القرآن الكريم؛ وجه غير مسبوق في إعجاز الكلمة المفردة، حسام هاشم(البيطار)، ط1، دار مجدلاوي، عمان- الأردن: 2005م، ص91.

[2] لا بد من التمييز بين اغرورق العين بالدمع وفيضانها منه؛ فالأولى امتلاؤها بالدمع من دون الوصول إلى درجة التأثر التي تسمح بتساقط الدموع، لذلك يقال(اغرورقت عين فلان) أي امتلأت بالدموع ولكنها لم تسقط، والثانية الفيض، ولا يكون إلا نتيجة امتلاء العين بالدموع، تماما مثلما نملأ كوبا إلى النهاية فيزيد ويفيض.

[3] ينظر: تفسير الشعراوي، 3340/6.

[4] القاموس المحيط، ص812، مادة(طمس). وينظر: تصحيح الوجوه والنظائر، ص317.

[المرسلات:8]، وقوله عَزَّ وجَلَّ﴿رَبَّنَا ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ﴾ [يونس: من الآية88]، "أي: امسَخْها"[1]، وفي العموم فإن "طَمْسَ الشيء ذهابُه عن صورته"[2]، أو إهلاك الصورة التي بها الشيء[3].

وقد ورد هذا اللفظ في القرآن الكريم للدلالة على تعطيل جارحة الرؤية(العين) عقابا أو تهديدا للظالمين؛ ومن الدلالات التي ذكرت للطمس في قوله تعالى﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبۡلِ أَن نَّطۡمِسَ وُجُوهٗا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ﴾ [النساء: من الآية47]، محو تخطيط الوجه وصورته، أو تنكيس الوجوه إلى الخلف أي قلبها وتغييرها[4].

وأما صفة طمس العين في قوله تعالى ﴿وَلَوۡ نَشَآءُ لَطَمَسۡنَا عَلَىٰٓ أَعۡيُنِهِمۡ﴾ [يس: من الآية66]، فهي "تَعْفِيَةُ شق العين حتى تعود ممسوحة"[5]، وقد يكون الطمس بمعنى محق البركة من الشيء وإذهابها[6]، أو إتلاف الشيء عينه أو إهلاكه[7]، نحو قوله تعالى﴿رَبَّنَا ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ﴾ [يونس: من الآية88]، فهذا "دعاء من موسى، دعا على فرعون وملئه أن يغير أموالهم عن هيئتهان ويبدلها إلى غير الحال التي هي بها"[8].

---

[1] كتاب العين، 221/7، مادة(طمس)، باب (السين والطاء والميم معهما)

[2] لسان العرب، 126/6، مادة(طمس).

[3] تفسير الشعراوي، 6170/10.

[4] ينظر: الكشاف، 518/9-519.

[5] المصدر نفسه، 24/4، وينظر 439/4.

[6] ينظر: تصحيح الوجوه والنظائر، ص317.

[7] ينظر: التحرير والتنوير، 270/11.

[8] تفسير الطبري، 237/4.

إن الدلالات المذكورة آنفا للفظ(الطمس) محسوسة، "ويحتمل أن يكون الطمس مجازاً على إزالة ما به كمال الإنسان من استقامة المدارك، فإنّ الوجوه مجامع الحواسّ، وقد يطلق الطمس مجازاً على إبطال خصائص الشيء المألوفة منه، ومنه طمس القلوب، أي إبطال آثار التميّز والمعرفة منها"[1].

- **التغطية:** الغِطَاءُ في اللغة هو "ما تغطيت به أو غَطَّيْتَ به شيئاً، والجميعُ الأغطيةُ"[2]، وقد ذكر لفظ(غطاء) في آيتين من كتاب الله تعالى فقط؛ في قوله تعالى﴿ٱلَّذِينَ كَانَتۡ أَعۡيُنُهُمۡ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكۡرِي﴾ [الكهف: من الآية101]، حيث استعير لفظ(غطاء) "لِعدم الانتفاع بدلالة البصر على تفرد الله بالإلهية، وحرف (في) للظرفية المجازية، وهي تَمكُّن الغطاء من أعينهم بحيث كأنها محوية للغطاء، و(عن) للمجاوزة، أي عن النظر فيما يحصل به ذكري"[3].

وأما في قوله تعالى﴿لَّقَدۡ كُنتَ فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا فَكَشَفۡنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلۡيَوۡمَ حَدِيدٞ﴾ [ق:22]، فقد "جعلت الغفلة كأنها غطاء غطى به جسده كله، أو غشاوة غطى بها عينيه فهو لا يبصر شيئا، فإذا كان يوم القيامة تيقظ وزالت الغفلة عنه وغطاؤها، فيبصر ما لم يبصره من الحق، ورجع بصره الكليل عن الإبصار لغفلته، حديدا لتيقظه"[4]، وأما دلالة كشف الغطاء في الآية فهي "تمثيل لحصول اليقين بالشيء بعد إنكار وقوعه، أي كَشَفْنَا عنك الغطاء الذي كان يحجب عنك وقوع هذا اليوم بما فيه، وأسند الكشف إلى الله تعالى لأنه الذي أظهر لها

---

[1] التحرير والتنوير، 79/5.

[2] تهذيب اللغة، 152/8، مادة(غطى) كتاب(معتل حرف العين)

[3] التحرير والتنوير، 42/16.

[4] الكشاف، 386/4.

أسباب حصول اليقين بشواهد عَيْن اليقين، وأضيف (غطاء) إلى ضمير الإنسان المخاطب للدلالة على اختصاصه به، وأنه مما يعرف به"[1].

- **الكَفّ**: الكف من ناحية الإسمية كفّ اليد[2]، قال الأَعشى:

يَداكَ يَدا صِدْقٍ، فكفٌّ مُفِيدةٌ *** وأُخرى إذا ما ضُنَّ بالمال تُنْفِق **(الطويل)**[3]

وهو من ناحية الفعلية الدَّفع والصَّرف؛ تقول: كففته عنه، أي دفعته وصرفته[4]، أو هو الجمع[5]، وهو من ناحية الصِّفة العمى[6] وذهاب البصر، و" المكفوف: الضَّرير، والجمع: المكافِيفُ، وقد كُفَّ بصرُه وكَفَّ بصرُه كَفّاً: ذهَب"[7].

وجاء فعل (الكف) مقترنا بجارحة اليد نحو قوله تعالى﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم﴾ [الفتح: من الآية24][8]، "أي قضى بينهم وبينكم المكافَّة والمُحَاجَزَة"[9]، وذكر غير مقترن بالجارحة في قوله تعالى ﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [المائدة: من

---

[1] التحرير والتنوير، 309/26.

[2] ينظر: كتاب العين، 282/5. باب (الكاف والفاء)

[3] ديوان ميمون بن قيس(الأعشى)، شرح و تقديم: مهدي محمد ناصر الدين، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان: 2003م، ص121. والبيت من قصيدة مطلعها: أَرِقْت وما هذا السُّهادُ المُؤَرِّق * وما بِيَ مِن سُقْمٍ وما بِيَ مَعْشَقُ

[4] ينظر: القاموس المحيط، ص1139، مادة(كفف).

[5] ينظر: لسان العرب، 301/9، مادة(كفف).

[6] القاموس المحيط، ص1139، مادة(كفف).

[7] لسان العرب، 303/9، مادة(كفف).

[8] اقرأ المعنى نفسه في قوله تعالى: في [النساء:77]، وفي [النساء:91].

[9] الكشاف، 341/4.

الآية110]، والفعل(كَفَفْتُ) هنا له عند كثير من المفسرين دلالة الدَّفْع والصَّرْف[1] وهي دلالة عامة كما يظهر، وعند بعضهم له دلالة العِصْمَةِ التي للأنبياء[2].

وما يلاحظ على فعل(الكف) في الآيات التي اقترن فيها بجارحة اليد أنه كف خاص متعلق بالقتال الذي كان دائرا بين المسلمين وكفار قريش ومن عاونهم، ولكنه في سورة المائدة يبدو متعدِّدا؛ كفٌّ لأيدي بني إسرائيل عن قتل سيدنا عيسى (عليه السلام)، وكفٌّ لألسنتهم عن الطعن فيه وفي رسالته، وكفٌّ لأبصارهم عن تتبعه؛ خصوصا حينما هموا بقتله[3].

إن واقعة محاولة قتل سيدنا عيسى عليه السلام تشبه في بعض تفاصيلها محاولة مشركي قريش قتل سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) في أثناء عزمه على الهجرة، حيث نجَّاه الله منهم بتعطيل أبصارهم في أثناء خروجه من بيته، وهذا فيما يبدو كفٌّ لهم مثل كفِّ بني إسرائيل عن إلحاق الأذى بسيدنا عيسى (عليه السلام) "حين هموا بقتله"[4]، حيث(شُبِّهَ لَهُمْ)، فخلَّصه الله تعالى منهم، حيث رفعه إلى السماء"[5]، وقد أخبرنا الله تعالى بذلك فقال ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء: من الآية157].

---

[1] ينظر: الكشاف، 691/1، و أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ص 195.

[2] ينظر: التحرير والتنوير، 102/7

[3] ينظر: الكشاف، 578/1.

[4] المصدر نفسه، 691/1.

[5] التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن حسين القرشي(الفخر الرازي)، ط3، دار إحياء التراث العربي، بيروت– لبنان: دت، ج12/ ص127.

والتشبيه الوارد في الآية له دلالات المنع والصرف والتخليص التي للفظ (كفف)، وله دلاله كَفُّ البصر وإذهابه، حيث أن الله تعالى صرف اليهود عن قتل سيدنا عيسى عليه السلام بصرف عيونهم عن اقتفاء أثره، و منعها من إدراك التشابه الحاصل بينه وبين من شبِّه به.

- **ابْيِضاض العين:** أُطلق وصف البياض في القرآن الكريم على الجوارح؛ كجارحة العين، وجارحة اليد نحو قوله تعالى﴿ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴾ [الأعراف:108]، وعلى وجوه المؤمنين يوم القيامة نحو قوله تعالى﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ [آل عمران: من الآية106]، وعلى بداية زوال ظلمة الليل و "أول بياض النهار الظاهر المستطير في الأفق المنتشر"[1] وهو الفجر، نحو قوله﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ [البقرة: من الآية187]، وعلى الطريق الظاهرة نحو قوله﴿ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴾ [فاطر: من الآية27]، وعلى الحور العين نحو قوله﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ [الصافات:49]، وعلى شراب المؤمنين في الجنة﴿ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴾ [الصافات:46].

وقد ذكر بياض العين للدلالة على العمى في قوله تعالى﴿وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ [يوسف:84]، حيث دل بياض عينِ سيدنا يعقوب (عليه السلام) على عمى أو ضعف بصر، ناتج عن محق سواد عينه من كثرة بكائه من الحزن على سيدنا يوسف(عليه السلام)[2].

---

[1] تفسير القرطبي؛ 196/3.

[2] ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ص333.

– **القُـرَّةُ والقرار**: ورد هذان اللفظان المتعلقان بجارحة العين في القرآن الكريم في المواضع الآتية:

– قال تعالى ﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا﴾ [مريم: من الآية26].

– قال تعالى ﴿ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾ [طه: من الآية40].

– قال تعالى ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ﴾ [الفرقان: من الآية74].

– قال تعالى ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾ [القصص: من الآية13].

وأصل لفظ (القُرَّةُ) في اللغة (القرُّ) وهي البرودة، ولذلك يقال: " قَرَّتِ العَيْن تَقَرُّ قُرَّةً؛ نقيض سخنت"[(1)]، ويقال: " قَرَّ القِدْرَ: صَبَّ فيها ماءً بارداً، وقَرَّت عَيْنُهُ تَقَرُّ، بالكسر والفتح، قَرَّةً، وتُضَمُّ، وقُرُوراً: بَرَدَتْ، وانْقَطَعَ بُكاؤُها، أوْ رَأتْ ما كانَتْ مُتَشَوِّقةً إليه"[(2)]، كما يقال: "أَبرد اللهُ دَمْعَتَه لأَن دَمْعَة السرور باردة، وأَقَرَّ الله عينه: مشتق من القَرُور وهو الماء البارد، وقيل أَقَرَّ اللهُ عينك: أَي صادفت ما يرضيك فتقرّ عينك من النظر إِلى غيره"[(3)].

ويشترك لفظ (القُرَّة) اشتقاقيا مع لفظ (القرار) الدال على الثبوت والجمود[(4)]، لأن "العين إذا رأت ما يسر النفس سكنت إليه من النظر إلى غيره"[(5)].

[(1)] كتاب العين، 21/5. باب (القاف مع الراء)

[(2)] القاموس المحيط، ص1041، مادة(قرر).

[(3)] لسان العرب، 86/5، مادة(قرر).

[(4)] معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص300.

[(5)] أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي(**البيضاوي**)، دط، مكتبة الجمهوري العربية، مصر: دت، ص417 .

ب/ البناء الحقلي للمفاهيم المتعلقة بحقل لفظ آلية الرؤية (بصر):

بعد أن عرضنا بناء الحقل المفهومي المتعلق بآلة الرؤية، نتطرق في هذا المبحث إلى الحقل المفهومي المتعلق بلفظ (بصر) وهومن ألفاظ آلية الرؤية، وآلية الرؤية –كما وضحنا في المخطط الذي في نهاية الفصل الأول– تتشكل من ثلاثة ألفاظ؛ (رأى) و(نظر) و(بصر)، ولابد من التنبيه إلى أن ما يزعم من ترادف بينها ليس صحيحا، بسبب التعبير القرآني عن دور كل لفظ في مراحل وظيفة الرؤية، و"لعل القرينة المؤكدة لذلك قوله تعالى جامعا هذه الأفعال الثلاثة في سورة الأعراف﴿وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ [الأعراف: من الآية198]" [(1)].

إن لفظ(بصر) له في القرآن الكريم دلالتان عامتان؛ الأولى تعبر عن آلة الرؤية، وهي جارحة العين في حال قيامها بوظيفة الإبصار، والثانية تعبر عن وظيفة آلة الرؤية، وقد اقترنت بهذا اللفظ ألفاظ من المستوى الثاني فقط(من خارج الحقل الرئيسي)، عن طريق الإسناد أو الإضافة أو الوصف، كما هو مبين في الجدول الآتي:

المستوى الأول
/
المستوى الثاني
التقليب/الانقلاب/ الحدة/ الإرجاع/الزيغ **الصرف/التزليق/ الغض/الأخذ** **الخطف/الإذهاب/ الطبع/التغشية/ التسكير**

[(1)] الإعجاز البياني في القرآن الكريم؛ دراسة نظرية تطبيقية في الآيات المحكمات، عمار(**ساسي**)، ط، عالم الكتب الحديث، إربد– الأردن: 2007، ص442.

ب-1/ دلالات ألفاظ المستوى الثاني:

- **التقليب والانقلاب:** لمادة (قلب) دلالات كثيرة منها التَّحويل والتصريف؛ تقول: "قَلَبَه يَقْلِبُه: حَوَّلَه عن وجْهِه، وقَلَبَ الشيءَ: حَوَّلَه ظَهْراً لِبَطْنٍ، وتَقَلَّبَ في الأُمورِ: تَصَرَّفَ كيفَ شاءَ"[1]، والتقليب يكون في الأمور المعنوية كما في المحسة، فله إذن دلالة النظر العقلي والاحتيال، لذلك يقال: "قَلَّبَ الأُمورَ بَحَثَها ونَظَر في عَواقبها، ورجل قُلَّبٌ يَتَقَلَّبُ... أَي مُحتالٌ بصير بتَقْليبِ الأُمور"[2]. وقد ورد ذكر مادة (قلب) في كثير من المواضع في القرآن الكريم، وسيكون تركيزنا على ما اتصل منها بلفظ آلية الرؤية(بصر).

ورد ذكر (تقليب البصر) في قوله تعالى﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام: من الآية110]، ومعنى(وَنُقَلِّبُ) "أي نطبع على قلوبهم وأبصارهم فلا يفقهون ولا يبصرون الحق كما كانوا عند نزول آياتنا، أو لا يؤمنون بها لكونهم مطبوعا على قلوبهم"[3]، ولهذا اللفظ أيضا دلالة التعطيل التي تقارب دلالة الطبع، حيث تتعطل أبصار الكافرين عن إدراك دلائل آيات الله، وله دلالة التقليب الحسية للأفئدة والأبصار في نار جهنم، كناية عن تقليب أجسادهم كلها[4].

وأما (انقلاب البصر) فقد ذكر في قوله تعالى﴿ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [الملك:4]، ولفظ (يَنقَلِبْ) هنا له علاقة دلالية بفعل الرجوع (ارْجِعِ)، واختير بدلا عنه

---

[1] القاموس المحيط، ص1082، مادة(قلب).

[2] لسان العرب، 685/1، مادة(قلب).

[3] الكشاف، 58/2.

[4] ينظر: التحرير والتنوير، 441/7-442.

على منهج العدول أو الإيثار، يقال: "انقلب إلى أهله، أي رجع إلى منزله، قال تعالى﴿وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ﴾ [المطففين:31]، وإيثار فعل (ينقلب) هنا دون (يرجع) لئلا يلتبس بفعل (ارجع) المذكور قبله"[1].

وقد حاول الزمخشري رفع الالتباس الدلالي بين اللفظين فقال: "فإن قلت: فما معنى (ثم ارجع)؟ قلت: أمره أن يرجع البصر، ثم أمره بأن لا يقتنع بالرجعة الأولى وبالنظرة الحمقاء، وأن يتوقف بعدها ويَجِمَ بصره، ثم يعاود ويعاود، إلى أن يحسر بصره من طول المعاودة، فإنه لا يعثر على شيء من فطور"[2]، إذن فالوجوم هو الدلالة الإضافية لفعل (ينقلب) بالمقارنة بفعل(يرجع).

- **الإرجاع:** تجمع كتب اللغة على أن دلالة الرجوع الأصلية هي المآب إلى الموضع الذي خرج منه الراجع، و"يستعمل مجازاً في نهاية الشيء وغايته وظهور أثره"[3]، نحو قوله تعالى﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ﴾ [البقرة: 210]، فقوله(وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ) أي: "وإلى الله يؤول القضاء بين خلقه يوم القيامة، والحكم بينهم في أمورهم التي جرت في الدنيا"[4].

وتشتق من مادة(رجع) صيغ كثيرة، منها فِعْلُ الرُّجوع (رَجَعَ)، الذي قد يكون لازِما، نحو قولك: رجع محمد إلى أهله، أو قد يكون قاصراً ومتعدياً إلى مفعول بمعنى: أَرْجَعَ[5]، ومن

---

[1] التحرير والتنوير، 20/29.

[2] الكشاف، 576/4-577.

[3] التحرير والتنوير، 287/2.

[4] تفسير الطبري، 569/1.

[5] ينظر: التحرير والتنوير، 18/29.

المشتقات أيضا الرَّجع والرَّجعة: أي المرة الواحدة[1]؛ قال تعالى﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ [ق:3]، ومنها الرُّجعى[2]؛ قال تعالى﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰ﴾ [العلق:8]، وتقول: رجعت الكتاب إلى الخزانة، ومنها الاسترجاع[3] وهو قولك: إنا لله وإنّا إليه راجعون.

وأما رَجْعُ البصر في قوله تعالى ﴿فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ [الملك: من الآية4]، فهو تكريره، وفِعل ارجع هنا "فعل أمر من (أرجَعَ) المتعدي، والرَّجع يقتضي سبق حلول بالموضع، فالمعنى: أعِد النظر، وهو النظر الذي دل عليه قوله سبحانه ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾، أي أعد رؤية السماوات وأنها لا تفاوت فيها، إعادة تحقيق وتبصر، كما يقال: أعِدْ نَظَراً"[4].

– **الزَّيْـغ:** وردت مادة (زاغ) في ثمانية مواضع من كتاب الله تعالى، نحو قوله﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً﴾ [آل عمران:8]، وجاءت مقترنة بلفظ(بصر) في أربعة مواضع؛ منها قوله تعالى﴿وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأحزاب: من الآية10].

والزيغ في اللغة الميل عن الاستواء إلى الانحراف[5]؛ تقول: "زاغَ يَزِيغُ زَيْغاً وزَيَغاناً وزُيُوغاً وزَيْغُوغةً، وأَزَغْتُه أَنا إزاغةً، وهو زائِغٌ من قوم زاغةٍ"[6]، وزيغ البَصَرُ كَلله[7]، أو "أن لا يرى

---

[1] ينظر: كتاب العين، 225/1، مادة(رجع)، باب (العين الراء والجيم معهما)

[2] ينظر: الكشاف، 777/4.

[3] ينظر: كتاب العين، 266/1، مادة(رجع)، باب (العين الراء والجيم معهما)

[4] المصدر نفسه، 18/29، مادة(زيغ)، باب (الغين والزاي)

[5] ينظر: معجم العين، 434/4، مادة(زيغ)، باب(الغين والزاي)، والتحرير والتنوير، 280/21.

[6] لسان العرب، 432/8، مادة(زيغ).

[7] ينظر: القاموس المحيط، ص583، مادة(زيغ).

ما يتوجه إليه، أو أن يريد التوجه إلى صوب فيقع إلى صوب آخر من شدة الرعب والانذعار"[1].

ومعنى الزيغ في قوله تعالى ﴿ أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ [ص:63]، ميل الأبصار عن المرئيات أمامها فلا تقتحمها، ويراد بالاستفهام عنه الازدراء والتحقير[2]، "أي مالت أبصارنا عن جهتهم فلم تنظرهم... فيكون المعنى: أكان تحقيرنا إياهم في الدنيا خطأ، وكنّى عنه باتخاذهم سخرياً، لأن في فعل (أَتَّخَذْنَٰهُمْ) إيماء إلى أنهم ليسوا بأهل للسخرية، وهذا تَنَدُّمٌ منهم على الاستسخار بهم"[3].

- **الصَّـرف:** الصرف في اللغة المنع، و"رَدُّ الشيء عن وجهه؛ صَرَفَه يَصْرِفُه صَرْفاً فانْصَرَفَ، وصارَفَ نفْسَه عن الشيء صَرفَها عنه"[4] أي منعه عنه، وفي قوله تعالى﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ [الأعراف: من الآية146]، **أي** سأمنعهم فهمها، والإيمان بها، والانتفاع منها[5]، وقد ذكرت مادة (ص ر ف) في تسعة وعشرين موضعا من القرآن الكريم، بدلالات مختلفة، منها الدفع[6]، والظهور[7]، والتبيين[8]، والقَلْبُ[1]، والترديد والتكرير[2]، والطَّبع[3]، والتوبة، والحيلة[4].

---

[1] التحرير والتنوير، 280/21.

[2] ينظر: الكشاف، 103/4. والقرطبي: 234/18.

[3] التحرير والتنوير، 293/23. وينظر: القرطبي: 234/18.

[4] لسان العرب، 189/9، مادة(صرف).

[5] ينظر: تفسير القرطبي، 331/9.

[6] ينظر: الكشاف، 10/2 و 458/2.

[7] ينظر: المصدر نفسه، 24/2.

[8] ينظر: م ن، 55/2.

وقد اقترن لفظ الصرف بلفظ آلية الرؤية(بصر) في آية واحدة من القرآن الكريم، وهي قوله تعالى﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾ [الأعراف: من الآية47]، ومعنى﴿صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ﴾ "أي أنهم لم يَصْرِفوا أبصارهم لأن المسألة ليست اختيارية؛ لأنهم يكرهون أن ينظروا لهم لأنهم ملعونون، وكأن في﴿صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ﴾ لونا من التوبيخ لأهل النار"[5].

- **التَّزليق:** التّزْليق هو "تَمليسُكَ الموضعَ حتى يَصيرَ كالمَزْلقة، وإن لم يَكن فيه ماءٌ"[6]، و(الزَّلَق) بفتحتين "زَلل الرجل من مَلاَسَةِ الأرض من طين عليها أو دهن"[7]، ويطلق كل ما يشتق من هذا اللفظ "على السقوط والاندحاض على وجه الكناية"[8]، وبهذه الدلالة وردت هذه المادة مقترنة بمادة (بصر) في قوله تعالى﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ﴾ [القلم:51]، أي "أنهم من شدّة تحديقهم ونظرهم إليك شزرا بعيون العداوة والبغضاء، يكادون يزلقون قدمك أو يهلكونك، من قولهم: نظر إليّ نظرا يكاد يصرعني، ويكاد يأكلني، أي: لو أمكنه بنظره الصرع أو الأكل لفعله"[9]، وقد قرئ أيضا : ليزهقونك، من زهقت نفسه وأزهقها"[10].

---

(1) ينظر: الكشاف، 107/2.

(2) ينظر: المصدر نفسه، 112/2، و669/2، و 692/2.

(3) ينظر: م ن، 158/2.

(4) ينظر: م ن، 271/3.

(5) تفسير الشعراوي، 4151/7.

(6) تهذيب اللغة، 327/8، مادة(زلق)، باب (القاف والزاي).

(7) التحرير والتنوير، 107/29-108.

(8) المصدر نفسه، 107/29-108.

(9) الكشاف، 597/4.

(10) المصدر نفسه، 597/4.

وقد جعل الإزلاق بالأبصار على وجه الاستعارة المكنية، حيث "شبهت الأبصار بالسهام، ورمز إلى المشبه به بما هو من روادفه؛ وهو فعل (يزلقونك)"[1]، إذ أن النظر إلى الشيء أو الشخص بالبصر بغرض الإزلاق، فيه حركة التتبع، وكذلك يفعل العائن[2].

- **الحِدَّةُ:** أصل الحدة في السيف؛ يقال: "استَحَدَّ الرجلُ واحتَدَّ حِدَّةً فهو حديد"[3]، ويكون ذلك في اللِّسَنِ، والفَهْمِ، والغَضَبِ[4]، فأما مثال الحدة في اللسن فنحو قوله تعالى﴿فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ﴾ [الأحزاب: من الآية19]، وأما الحدة في الفهم فيقال: رجل حاد الذهن؛ أي شديد الفهم.

وقد اقترن لفظ (بصر) بلفظ (حديد) في القرآن الكريم مرة واحدة فقط، وذلك في قوله تعالى﴿لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: الآية22]، "أي قوي نافذ يرى ما كان محجوبا عنك"[5]، ومن دلالة لفظ (حَدِيدٌ) أيضا (الحد) المتعارف عليه بأنه فصل ما بين شيئين[6]، فكأنما يدل كشف الغطاء فيه على الفصل بين الغفلة والانتباه، حيث "جُعلت الغفلة كأنها غطاء غطى به جسده كله، أو غشاوة غطى بها عينيه فهو لا يبصر شيئا، فإذا كان يوم القيامة تيقظ وزالت الغفلة عنه وغطاؤها، فيبصر ما لم يبصره من الحق، ورجع بصره الكليل عن الإبصار لغفلته، حديدا لتيقظه"[7].

---

[1] التحرير والتنوير، 29/107-108.

[2] ينظر: تهذيب اللغة، 327/8، مادة(زلق)، باب (القاف والزاي).

[3] كتاب العين، 19/3، مادة(حد)، باب (الحاء مع الدال).

[4] ينظر: القاموس المحيط، ص270، مادة(حدد).

[5] تفسير القرطبي، 446/19.

[6] ينظر: كتاب العين، 19/3، مادة(حد)، باب (الحاء مع الدال).

[7] الكشاف، 386/4، وينظر: التحرير والتنوير، 309/26.

– **الغَضُّ:** الغَضُّ في اللغة الوضع والنقص والخفض والكف[1]، تقول:"غَضَّ طَرْفَه وبَصره، يَغُضُّه غَضّاً وغِضاضاً وغَضاضةً، فهو مَغْضُوضٌ وغَضِيضٌ؛ كفَّه وخَفَضَه وكسره، وقيل هو إذا دانى بين جفونه ونظر، وقيل: الغَضِيضُ الطَرْفِ المُسْتَرْخي الأَجفانِ"[2]، والغَضَاضَة: هي الذِّلَّة والمَنْقَصَةُ[3]، قال جرير:

فَغُضَّ الطرف إنك من نمير *** فلا كعبا بلغت ولا كلابا **(الوافر)**[4]

وفعل الغض يتعلق إما بالبصر نحو قوله تعالى﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ [النور: من الآية30]، أو يتعلق بالصوت البشري، نحو قوله تعالى ﴿وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾ [لقمان: من الآية19]، أي: "انقص منه، أي: لا تتكلف رفع الصوت وخذ منه ما تحتاج إليه، فإن الجهر بأكثر من الحاجة تكلف يؤذي. والمراد بذلك كله التواضع"[5]، ونظير لك قوله تعالى﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى﴾ [الحجرات: من الآية3].

ومعنى غض البصر هو خفض حركته نحو الأدنى، وعدم رفعها أو تشخيصها[6]، أو صَرْفُه عن التَّحديق وتَثْبِيتِ النَّظَر[7]، ك عنترة:

---

[1] الإعجاز البياني في القرآن الكريم، ص437.

[2] لسان العرب، 197/7، مادة(غضض).

[3] ينظر: القاموس المحيط، ص951، مادة(غضض).

[4] ديوان النقائض؛ نقائض جرير والفرزدق، أبو عبيدة معمر التيمي البصري **(المثنى)**، ط1، دار صادر، بيروت، لبنان:1998م، مجلد1، ص369. والبيت من قصيدة مطلعها: أَقِلّي اللّوْمَ عاذلَ وَالعِتابَا * وقولي، إنْ أصَبتُ، لقَد أصَابَا.

[5] تفسير القرطبي، 483/16.

[6] ينظر: الإعجاز البياني في القرآن الكريم، ص437.

[7] ينظر: التحرير والتنوير، 204/18.

وأغض طرفي حين تبدو جارتي *** حتى يواري جارتي مأواها **(الكامل)**[1]

وفي قوله﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ ﴾ [النور: من الآية31] أمر بغض البصر أعقب بيان حكم وآداب الاستئذان، فمن آداب دخول بيت من البيوت الاستئذان ثم غض البصر عن خباياه وعن ما فيه من نسوةٍ، كما أن مجالسة امرأة يستوجب الاقتصار على الكلام وغض البصر، إلا النظر الذي يعْسُرُ صَرْفُه، ولذلك جيء في الآية بحرف(من) الذي هو للتبعيض، إيماءً إلى أن الغَضَّ التَّام لا يُمْكِن[2]، و قد "بدأ بالغض قبل الفرج، لأن البصر رائد للقلب، كما أن الحمى رائد الموت"[3].

وفي آية غض البصر التي في سورة النور، بعدان مهمان، بعد إيماني شرعي، وبعد علمي، حيث أن حواس الإدراك عند الإنسان كثيرة، غير أن هناك حواس لها أثر في النفس البشرية، كإدراك حلاوة طعم شيء، أو كراهة شيء آخر، وهذا الذي سميناه –في حديثنا عن لفظ(الدمع)– بالنزوع الذي يتبع الوجدان الذي يتبعه الإدراك، والإدراك والوجدان مباحان إلا في مجال الأنوثة، غير أن فعل النزوع لا يمكن ضبط النفس فيه، ولذلك فالشريعة تتدخل فيه من البداية، فتمنع الإدراك، لأنه خطير في مسألة الجنس، والإنسان فيه بين كبت ينتج عنه قهر وألم، أو ضعف يؤدي إلى انتهاك أعراض الناس، وهذا هو المقصد من مسألة غض البصر[4].

---

[1] ديوان **(عنترة)**، د و تح: محمد سعيد مولوي، دط، دار المكتب الإسلامي، القاهرة، مصر: دت، ص308.

[2] ينظر: التحرير والتنوير، 203/18.

[3] تفسير القرطبي، 209/15.

[4] تفسير الشعراوي، 3339/6–3340. بتصرف.

– **الأَخْذُ:** الأخذ في اللغة التناول[1]، أو حَوْزُ الشيء وتَحْصيلُه[2]؛ إما بطريقة التناول؛ نحو قوله تعالى﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأۡخُذَ إِلَّا مَن وَجَدۡنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذٗا لَّظَٰلِمُونَ﴾ [يوسف:79]، أو بطريقة القهر؛ نحو قوله تعالى﴿ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞ﴾ [البقرة: من الآية255]، وهو خلاف العطاء[3]، وقد ذكرت مادة (أخذ) في مائة وستة وثلاثين موضعا من القرآن الكريم، بصيغ متعددة، ودلالات مختلفة، منها دلالة (العقاب)[4]؛ نحو قوله تعالى﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ﴾ [هود:102]، و"هذا تحذير من الله لهذه الأمة أن يسلكوا في معصيته طريق من قبلهم من الأمم الفاجرة، فيحل بهم ما حل بهم من المثلات"[5]، ومنها دلالة (العمل)؛ نحو قوله تعالى ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ﴾ [البقرة: من الآية63] [6]، أي: "خذوا ما افترضناه عليكم في كتابنا من الفرائض، فاقبلوه، واعملوا باجتهاد منكم في أدائه، من غير تقصير ولا توان"[7].

أما أخذ البصر فهو إعماؤه، نحو قوله تعالى﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمۡعَكُمۡ وَأَبۡصَٰرَكُمۡ﴾ [الأنعام: من الآية46][8]، و"هو هنا مجاز في السلب والإعدام ... لأنّ الله هو معطي السمع والبصر، فإذا أزالهما كانت تلك الإزالة كحالة أخذ ما كان أعطاه، فشبّهت هيئة إعدام الخالق بعض

---

[1] ينظر: القاموس المحيط، ص36، مادة(أخذ).

[2] ينظر: معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص14.

[3] ينظر: لسان العرب، 472/3، مادة(أخذ).

[4] ينظر: تفسير القرطبي؛ 207/11.

[5] تفسير الطبري، 310/4.

[6] ينظر: البرهان في علوم القرآن، 186/4.

[7] تفسير الطبري، 234/1.

[8] ينظر: الكشاف، 24/2.

مواهب مخلوقه بهيئة انتزاع الآخذ شيئاً من مقرّه؛ فالهيئة المشبّهة هنا عقلية غير محسوسة، والهيئة المشبّهة بها محسوسة"[1].

- **الخَطْفُ:**

يجمع اللغويون على أن دلالة الخطف هي "الأَخْذُ في سُرْعةٍ واسْتِلابٍ"[2]، ولذلك "سمي الطير خطافا لسرعته"[3]، ومن صيغه (الخطف) و(التَّخَطُّف) ويمكن التفريق بينهما فنقول"(خَطِفَ) بالكسر لما تكرر، ويكون من شأن الخاطف الخَطْفُ، و(خَطَفَ) بالفتح حيث يقع الخطف من غير من يكون من شأنه الخطف بكلفة، وهو أبعد من(خَطَفَ) بالفتح؛ فإنه يكون لمن اتفق له على تكلف ولم يكن متوقعا منه، ويدل عليه أن (فَعِلَ) بالكسر لا يتكرر كـ(عَلِمَ) و(سَمِعَ)، و(فَعَلَ) لا يشترط فيه ذلك كـ(قَتَلَ) و(ضَرَبَ)؛ قال تعالى﴿ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ ﴾ [الصافات: من الآية10]، فإن شغل الشيطان ذلك"[4].

ونجد في تعبير خطف البرق للبصر في قوله﴿ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ﴾ [البقرة: من الآية20] "معنى النكاية بهم والتسلط عليهم ما ليس في (يذهب)؛ إذ هو مجرد الاستلاب"[5]، ذلك" أن الرعد والبرق الواقعين في الهيئة المشبه بها هما رعد وبرق بلغا منتهى قوة جنسيهما، بحيث لا يمنع قصيف الرعد من إتلاف أسماع سامعيه، ولا يمنع وميض البرق من إتلاف أبصار

---

[1] التحرير والتنوير، 7/233-234.

[2] لسان العرب، 75/9، مادة(خطف). وينظر: الكشاف، 86/1، ومعجم مفردات ألفاظ القرآن، ص116.

[3] تفسير القرطبي؛ 335/1.

[4] البرهان في علوم القرآن، 4/97-98.

[5] التحرير والتنوير، 263/18.

ناظريه، إلا مشيئة الله"[1]، إذن فالخطف "يعني أن الذي يخطِف لا ينتظر الإذن، والذي يتم الخطف منه لا يملك القدرة على منع الخاطف"[2].

– **الإذهاب:** لفظ (ذَهَبَ) في اللغة بمعنى سار أو مرَّ، وله معنى الإزالة أيضا[3]، ومشتقاته كثيرة الورود في القرآن الكريم، وهو يستعمل في الأعيان القائمة بأنفسها، عكس لفظ(مضى) الذي يستعمل للأعيان والأحداث كلتيهما[4]؛ "يقال ذهب في الأعيان، ومضى في الأزمان، ولهذا يقال: حكم فلان ماض، ولا يقال: ذاهب؛ لأن الحكم ليس من الأعيان"[5].

وقد اقترن لفظ(ذهب) بلفظ (بصر) في قوله تعالى﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: من الآية20]، "فالمعنى لو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم بزيادة ما في البرق والرعد من القوة، فيفيد بلوغ الرعد والبرق قرب غاية القوة، ويكون لقوله﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ موقع عجيب"[6].

ولفظ(أبصارهم) قد تتعدى دلالته إلى معنى(البصائر)؛ قال البيضاوي:"... على أنه تعالى جعل لهم السمع والأبصار ليتوسلوا بها إلى الهدى والفلاح، ثم إنهم صرفوها إلى الحظوظ

---

[1] التحرير والتنوير، 322/1.

[2] تفسير الشعراوي، 180/1.

[3] ينظر: القاموس المحيط، ص475، مادة(ذهب).

[4] ينظر: معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص356.

[5] البرهان في علوم القرآن، 96/4.

[6] التحرير والتنوير، 323/1.

العاجلة، وسدوها عن الفوائد الآجلة، ولو شاء الله لجعلهم بالحالة التي يجعلونها لأنفسهم، فإنه على ما يشاء قدير"[1].

- **الطَّبْعُ:** الطَّبْع في اللغة "الوسَخُ الشّديد على السَّيف، والطَّبْعُ: الختم على الشيء، والطّابَعُ: الخاتَمُ، وطَبَعَ الله الخَلْقَ: خَلَقَهُم"[2]، ومن دلالاته أيضا الصيغة والمثال[3].

وفي سورة النحل اقترن لفظ (طبع) بالجوارح الثلاثة؛ القلب والسمع والبصر، قال الله تعالى﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ﴾ [النحل:108]، ويكون الطبع هنا "بحرمانهم الانتفاع بوسائلها؛ من النظر الصادق في دلائل الوحدانية، ومن الوعي لدعوة الرسول والقرآن المنزّل عليه، ومن ثبات القلب على حفظ ما داخله من الإيمان، حيث انسلخوا منه بعد أن تلبّسوا به"[4].

ورأى بعض المفسرين كالزمخشري والبيضاوي(ت791هـ) وابن عاشور، أن الختم في قوله تعالى﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ ﴾ [البقرة: من الآية7]، وقوله ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ وَقَلۡبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةٗ ﴾ [الجاثية: من الآية23]، له دلالة واحدة مع الطبع[5]، وإن كان ظاهر الآية لا يدل على أن (الأبصار) مخصوصة بالختم[6]، ذلك "أن الختم غير موصوفة

---

[1] أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ص17.

[2] كتاب العين، 22/2-23، مادة(طبع)، باب (العين والطاء والباء معهما)

[3] ينظر: القاموس المحيط، ص790، مادة(طبع).

[4] التحرير والتنوير، 297/14.

[5] ينظر: الكشاف، 586/1 و 48/1 -49-50، والتحرير والتنوير، 17/6-18 و 254/1.

[6] ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ص11.

به العيون في شيء من كتاب الله، ولا في خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا موجود في لغة أحد من العرب"[1].

ورأى بعضهم أن لفظ (طبع) في الآيتين بمعنى التطبُّع على الشيء؛ أي التخلُّق به، كما يمكن اعتبار الختم هو شدة الطبع ومبلغه، فكأنما هو مَنْعُ ما أُحْكِمَ غَلْقُهُ مِن أنْ يُفْتَح، قال ابن عاشور في بيان ذلك: "والختم حقيقته السد على الإناء والغلقُ على الكتاب بطين ونحوه مع وضع علامة مرسومة في خاتَم ليمنع ذلك من فتح المختوم، فإذا فُتح علم صاحبه أنه فتح لفسادٍ يظهر في أثر النقش"[2]، و"تسمّى الآلة الواسمة طابعاً بفتح الباء فهو يرادف الخَتْم"[3].

إن القرآن الكريم يستعمل لفظي(الطبع) و(الختم) من قبيل المجاز؛ "لأن حقيقة الختم والطبع إنما هو فعل ما يصير به القلب مطبوعا مختوما"[4]، فكما أنه لا يوجد ختم ولا تغشية على الحقيقة[5] في قوله تعالى﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ ﴾ [البقرة: من الآية7] وإنما هو من باب المجاز، فإن الطبع كذلك مستعار بطريق المجاز؛ قال ابن عاشور: "والطّبع: مستعار لمنع وصول الإيمان وأدِلّته، على طريقة تشبيه المعقول بالمحسوس"[6].

– **التَغْشِيـة:** تكون التغشية بالغشاوة والغشاء أي الغطاء؛ تقول: "غَشَّيْت الشيءَ تَغْشِية إذا غَطَّيْتـه، وعلـى بَصَـره وقَلْبِـه غَشْـوٌ، وغَشْـوةٌ، وغُشْـوة، وغِشْـوة، وغِشـاوةٌ، وغَشَـاوَة، وغُشـاوةٌ،

---

[1] تفسير الطبري، 101/1.

[2] التحرير والتنوير، 254/1،

[3] المصدر نفسه، 17/6–18.

[4] تفسير القرطبي؛ 285/1.

[5] ينظر: الكشاف، 48/1،. وتفسير القرطبي، 284/1.

[6] التحرير والتنوير، 297/14، وينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ص11.

وغاشِيةٌ"[1]، ولفظ الغشاوة على وزن فِعالة، و"كل ما كان مشتملاً على الشيء فهو مبنيٌّ على فِعالَةٍ نحو الغِشاوة، والعِمامة، والعِصابة"[2].

وقد وردت مشتقات مادتي (غ ش و) أو (غ ش ي) في كثير من المواضع في القرآن الكريم للدلالة على معنى التغطية؛ منها الغاشية، وهي يوم القيامة، نحو قوله تعالى ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ﴾ [الغاشية:1][3]، أو العذاب، نحو قوله تعالى ﴿ أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ ﴾ [يوسف: من الآية 107][4]، ومنها الغِشْيانُ: وهو "إتيان الرجل المرأة، والفعلُ غَشِيَ يَغْشى"[5] نحو قوله تعالى﴿فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ﴾ [الأعراف: من الآية189]، ومنها الاستغشاء نحو قوله تعالى ﴿ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ ﴾ [نوح: من الآية7]؛ تقول: استغشى الرجل ثوبه، أي: تغطَّى به.

واقترن لفظ التغشية (غشاوة) بلفظ(بصر) مجموعا للدلالة على أن تعامي القلب عن قضية الإيمان مآله عمى يصيب البصائر فلا ترى آيات الإيمان[6]، وذلك في قوله تعالى﴿وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ﴾ [البقرة: من الآية7]، وورد في آية واحدة مع فعل الإبصار المنفي(يبصرون) في قوله تعالى﴿ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ [يس:9]، ونجد فعل التغشية هنا (فَأَغْشَيْنَٰهُمْ) حاصلا إثر وجود هؤلاء الكفار بين سُدَّيْن يحرمانهم من التأمل

---

[1] لسان العرب، 126/15، مادة(غشي).

[2] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3] ينظر: معجم العين، 429/4، مادة(غشي)، باب (الغين والشين).

[4] ينظر: لسان العرب، 127/15، مادة(غشي).

[5] كتاب العين، 429/4، مادة(غشي)، باب (الغين مع الشين).

[6] ينظر: تفسير الشعراوي، 145/1.

والتبصر الحاصلين عن النظر في آيات الله[1]، وهذه الآية ترسم لنا مشهدا فريدا تتجسد فيه الحالة النفسية صورة حسية؛ فالمكذبون بآيات الله كأن حاجزا يمنعهم قسرا عن النظر، ويحول بينهم وبين الهدى والإيمان، ويغطي أبصارهم فلا يبصرون بها[2].

– **التَّسكير:** السُّكْر في اللغة نقيض الصحو، وهو أنواع[3]؛ فمنه السَّكَرُ وهو الخَمْرُ، "نَبيذٌ يُتَّخَذُ من التمرِ والكَشُوثِ، وكلُّ ما يُسْكِرُ"[4] نحو قوله تعالى﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ ﴾ [النساء: من الآية43]، ونحو قوله﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلۡأَعۡنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنۡهُ سَكَرٗا وَرِزۡقًا حَسَنًاۗ ﴾ [النحل: من الآية67]، ومنه سَكْرَةُ الموت؛ أي غَشْيَتُه على الحقيقة[5]، أو "شدته وغلبته على فكر الإنسان"[6]، نحو قوله تعالى ﴿وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ﴾ [ق: من الآية19] ، وقد يراد بالسُّكْر الغواية[7]، أو الضلالة[8]؛ نحو قوله سبحانه تعالى﴿ لَعَمۡرُكَ إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾ [الحجر:72].

وأما تسكير الأبصار الوارد في قوله تعالى﴿ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتۡ أَبۡصَٰرُنَا بَلۡ نَحۡنُ قَوۡمٞ مَّسۡحُورُونَ ﴾ [الحجر:15]، فمردُّه إلى ما توهمه المُعْرِضون المكذبون من أن محمدا (صلى الله عليه وسلم)

---

[1] ينظر: الكشاف، 5/4. وتفسير القرطبي: 285/1.

[2] ينظر: تفسير الشعراوي، 2960/5.

[3] ينظر: كتاب العين، 309/5، مادة(سكر)، باب (الكاف والسين والراء معهما).

[4] القاموس المحيط، ص625، مادة(سكر).

[5] ينظر: كتاب العين، 309/5، مادة(سكر)، باب (الكاف والسين والراء معهما).

[6] تفسير الطبري، 7/ 98.

[7] ينظر: الكشاف، 285/2.

[8] تفسير الطبري، 487/4.

ساحر، خيَّل إليهم أشياء غير حقيقية؛ فباتت أبصارهم حائرة كما يحار السكران، محبوسة عن الإبصار[1]، كأنما سُدَّت[2].

ج/ البناء الحقلي للمفاهيم المتعلقة بحقل ألفاظ طرائق الرؤية والترائي وآثارهما:

في القرآن الكريم يتوزع نوع آخر من أنواع ألفاظ الرؤية غير مرتبط بحاسة الرؤية ولا بآلياتها، ويمكن تقسيمه إلى ثلاث مجموعات دلالية؛ الأولى تدل على طريقة مخصوصة في الرؤية(رؤية بصرية أو علمية)، والثانية تدل على كيفيات تجلي المرئيات للرائي، والثالثة تدل على هيأة نفسية حاصلة عن رؤية المرئيات، وبعض ألفاظ هذه المجموعات ينتمي إلى المستوى الأول، وبعضها الآخر ينتمي إلى المستوى الثاني.

ج-1/ ألفاظ الرؤية الدالة على طرائق الرؤية(رؤية بصرية أو علمية): هذا الحقل المفهومي يحتوي على ألفاظ تدل على طريقة خاصة في الرؤية.

المستوى الأول
- الاطلاع -الإهطاع- الثَّقْف
المستوى الثاني
- الإيجاد- العثور - الإحساس

ج-1-1/ دلالات ألفاظ المستوى الأول:

- **الاطِّلاع:** لفظ (اطلع) من ألفاظ الرؤية الذي يستعمل مجازاً في رؤية الشيء الذي لا يراه أحد[3]، وأما الاطلاع في اللغة فهو "الإشراف على الشيء ورؤيته من مكان مرتفع، لأنه

---

[1] ينظر: الكشاف، 573/2.

[2] ينظر: التحرير والتنوير، 26/14.

[3] ينظر: المصدر نفسه، 282/15.

افتعال من طَلَع؛ إذا ارتقى جَبلا، فصيغ الافتعال للمبالغة في الارتقاء، وضُمِّنَ معنى الإشراف فَعُدِّيَ بـ(على)"[1]، ويسمى المكان الذي يتم منه الاطِّلاع المُطَّلَعُ بالتشديد أو بالتخفيف[2].

وقد استعمل فعل الاطلاع في آيات كثيرة من القرآن الكريم بدلالات مختلفة، منها الارتقاء بالرؤية البصرية نحو قوله تعالى﴿فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ [غافر: من الآية37]، ومنها الإشراف نحو قوله تعالى﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ [مريم:78]، أي "أأشرف على عالم الغيب فرأى مالاً وولداً معَدّيْنِ له حين يأتي يوم القيامة، أو: فرأى ماله وولده صائرين معه في الآخرة"[3]

- الإهطاع:

هو أن تقبل على الشيء ببصرك لا ترفعه عنه[4]، أو "تديم النظر إليه لا تطرف"[5]، ولهذا اللفظ معاني أخرى تصاحب هيأة الرؤية هذه، منها الإسراع[6]، ومدُّ العنُق[7]، "كالمتختل، وهي هيئة الخائف"[8]، والتَّحْمِيجُ وهو "إدامةُ النظر مع فتح العيْنَيْنِ"[9]، وقد ذكر

---

[1] التحرير والتنوير، 282/15.

[2] لسان العرب، 235/8، مادة(طلع). وينظر التحرير والتنوير، 160/16.

[3] التحرير والتنوير، 160/16. وينظر: أسباب النزول، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي(**النيسابوري**)، دط، دار الفكر، بيروت– لبنان: 1994م، ص169.

[4] ينظر: كتاب العين، 101/1، مادة(هطع)، باب (باب العين والهاء والطاء)

[5] الكشاف، 563/2.

[6] ينظر: معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص393، وتفسير الطبري، 461/4.

[7] ينظر: القاموس المحيط، ص1354، مادة(هطع).

[8] التحرير والتنوير، 246/13.

[9] لسان العرب، 372/8، مادة(هطع).

هذا اللفظ في مواضع من القرآن الكريم نحو قوله تعالى ﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾ [إبراهيم:43].

- الثَّقْفُ:

هذا اللفظ من ألفاظ هيآت الرؤية أيضا، معناه حِذْقُ الشيء والظفر به مصادفة[1]، "يقال: ثقفت كذا إذا أَدْرَكْتَهُ ببصرك؛ لِحِذْقٍ في النظر، ثم يُتَجَوَّز به، فيستعمل في الإدراك وإن لم تكن معه مثاقفة"[2]، ويقال: "رجل ثقف لقف: إذا كان محكما لما يتناوله من الأمور"[3]، كما يحمل لفظ(الثقف) دلالة الإيجاد والإدراك بالبصر دون قصد نحو قوله تعالى﴿ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ ﴾ [البقرة: من الآية191]، فمعنى (حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ) "حيث وجدتموهم في حل أو حرم"[4]، وهذا أمر بقتل من يعثر عليه من المشركين سواء كان في ساحة القتال أو لم يكن فيها[5]، ويسمى الأسْرُ ثِقافاً، لأن الأسير يتمكن منه، ويتصرف فيه بشدَّة[6]، نحو قوله تعالى﴿أَيْنَمَا ثُقِفُوٓاْ أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقْتِيلًا ﴾ [الأحزاب: من الآية61]، والأخذ هنا بمعنى الإمساك والقبض، أي الأسر[7].

---

(1) ينظر: تهذيب اللغة، 81/9، مادة (ثقف)، باب (القاف والثاء). ومعجم مفردات ألفاظ القرآن، ص62.

(2) معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص62.

(3) تفسير القرطبي؛ 242/3.

(4) الكشاف، 236/1.

(5) ينظر: التحرير والتنوير، 201/2.

(6) المصدر نفسه، 55/4.

(7) ينظر: الكشاف، 230/2، والتحرير والتنوير ، 110/22.

ج-1-2/ دلالات ألفاظ المستوى الثاني:

- **الإيجاد:** لفظا الإيجاد والوجود من مادة(وج د) وهو من الألفاظ المتعلقة بالرؤية البصرية، تقول: "وجَد مطلوبه والشيء يَجِدُه وُجُوداً ويَجدُه"[1]، ويرى الراغب الأصفهاني أن الوجود ينقسم -بحسب أدوات الإدراك - إلى أضرب شتى؛ "وجود بإحدى الحواس الخمس؛ نحو وجدت زيدا، ووجدت طعمه، ووجدت صوته، ووجدت خشونته، ووُجُودٌ بقوة الشهوة... ووُجود بقوة الغضب... ووجود بالعقل، أو بواسطة العقل، ومن أمثلة الوجود المتعلق بالرؤية البصرية قوله تعالى﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ ﴾ [التوبة: من الآية5]، أي حيث رأيتموهم[2]، وهذا وجود متعلق بالبشر.

وأما الوجود في حقه سبحانه وتعالى، في نحو قوله﴿وَمَا وَجَدۡنَا لِأَكۡثَرِهِم مِّنۡ عَهۡدٖۖ وَإِن وَجَدۡنَآ أَكۡثَرَهُمۡ لَفَٰسِقِينَ ﴾ [الأعراف: من الآية102]، فهو مجاز في العلم، لأن الله منزه عن الوصف بالجوارح والآلات[3].

- **العثور:** لفظ(العثُور) من مادة(ع ث ر)، وحقيقته في أصل الوضع السقوط أو الكبو[4]، واستعمل مجازا للدلالة على اِطِّلاع الرجل على شيء لم يطلع عليه غيره[5]؛ يقال: "عَثَر على الأَمر يَعْثُرُ عَثْراً وعُثُوراً اطّلع، وأَعْثَرْتُه عليه أَطلعته"[6]، نحو قوله تعالى﴿ فَإِنۡ عُثِرَ عَلَىٰٓ

---

[1] لسان العرب، 445/3، مادة(وجد).

[2] ينظر: معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص398، وتفسير الطبري، 82/4.

[3] ينظر: المصدر نفسه، الصفحة نفسها، والتحرير والتنوير، 32/9.

[4] ينظر: لسان العرب، 539/4، مادة(عثر).

[5] كتاب العين، 105/2، مادة(عثر)، باب (باب العين والثاء والراء معهما) .

[6] لسان العرب، 540/4، مادة(عثر).

أَنَّهُمَا ٱسۡتَحَقَّآ إِثۡمٗا ﴾ [المائدة: من الآية107]، أي: "فإن اطلع عَلى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْماً، أي فعلا مَا أوجب إثما"[1].

وفي تعليل الاستعمال المجازي للفظ العثور في قوله تعالى﴿وَكَذَٰلِكَ أَعۡثَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ لِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ ﴾ [الكهف: من الآية21] قال الإمام **المطرزي**(1143م – 1213م): "لما كان كل عاثر ينظر إلى موضع عثرته ورد العثور بمعنى الاطلاع والعرفان، فهو في ذلك مجاز مشهور بعلاقة السببية وإن أوهم ذكر اللغويين له أنه حقيقة في ذلك"[2].

– **الإحساس:** الإحساس في اللغة هو "العلم بالحواسِّ، وهي مَشاعِرُ الإنسان؛ كالعين والأُذن والأَنف واللسان واليد، وحَواسُّ الإنسان المشاعر الخمس؛ وهي الطعم، والشم، والبصر، والسمع، واللمس"[3]، تقول: "أَحْسَسْتُ من فُلانٍ أمراً، أي رأيتُ"[4]، نحو قوله تعالى﴿ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هَلۡ تُحِسُّ مِنۡهُم مِّنۡ أَحَدٍ أَوۡ تَسۡمَعُ لَهُمۡ رِكۡزَۢا ﴾ [مريم: 98]، فمعنى الإحساس هنا هو الإدراك بحاسة البصر، "أي: لا ترى منهم أحداً"[5].

ولما كان البصر من أقوى حواس الإدراك عند الإنسان، فإن الله تعالى ذكر هذا اللفظ للدلالة على العلم الحاصل من الرؤية، في قوله ﴿ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ

---

[1] الكشاف، 668/1، وينظر: تفسير الطبري، 196/3.

[2] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الفضل شهاب الدين محمود ابن عبد الله الحسيني (الألوسي)، دط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان: دت، ج15/ص232.

[3] لسان العرب، 49/6–50، مادة(حسس). وينظر: معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم، ص89.

[4] كتاب العين، 15/3، مادة(حس)، باب (الحاء مع السين)

[5] التحرير والتنوير، 178/16. وينظر نفس المعنى أيضا في تفسير قول الله تعالى للآية [الأنبياء:12]، في: 25/17. وينظر: تفسير الطبري: 181/5.

أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ [آل عمران: من الآية52]، أي: "فلما علم منهم الْكُفْرَ علما لا شبهة فيه، كعلم ما يدرك بالحواس"[1].

وفي القرآن الكريم اشتقاقات أخرى لمادة(ح س)، منها التحسس، وهو طلب المعرفة والشدة فيه[2]، ومثله التجسس[3]، ومنها الحَسُّ: وهو القتل، أو القتل الذريع [4].

ج-2/ حقل ألفاظ طرائق الترائي: هذه المجموعة من الألفاظ تدل على كيفية(طرق) تجلي المرئي لدى الرائي، وهذه الألفاظ هي:

المستوى الأول
- الظهور- البزوغ- الطلوع - العرض- التجلي
المستوى الثاني
- الجهر

ج-2-1/ دلالات ألفاظ المستوى الأول:

- **الظُّهور:** أصل ظهور الشيء حصوله على ظهر الأرض، فلا يخفى، ولذلك يقال: بطُنَ الشيء إذا صار في بُطنان الأرض فيخفى، ثم استعمل لفظ(ظهر) في كل بارز مُبْصَر بالبصر والبصيرة[5]، نحو قوله تعالى﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ﴾ [الروم: من الآية41].

---

[1] الكشاف، 365/1. وينظر المعنى نفسه في تفسير قول الله تعالى للآية[الأنبياء:12] في الكشاف، 105/3.

[2] ينظر: المصدر نفسه، 500/2. والتحرير والتنوير، 45/13.

[3] ينظر: لسان العرب، 50/6، مادة(حسس).

[4] ينظر: الكشاف، 427/1، والتحرير والتنوير، 127/4.

[5] ينظر: معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص239.

وقد وردت مادة(ظ هـ ر) في القرآن الكريم في بدلالات كثيرة، منها الظهيرة، وهو وقت صلاة الظُّهر، وسميت بذلك لأنها أظهر الصلوات[1]؛ قال تعالى﴿وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ﴾ [النور: من الآية58]، ومنها الظُّهورُ؛ وهو"الظَّفَرُ بالشَّيء؛ نحو قوله تعالى﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴾ [التوبة:33]، والاطِّلاع عليه؛ نحو قوله تعالى ﴿أَوِ ٱلطِّفۡلِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يَظۡهَرُواْ عَلَىٰ عَوۡرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ﴾ [النور: من الآية31]، وقوله﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الجن:26]، يقال: ظَهَرْنا على العدوّ، والله أظهرنا عليه، أي أَطْلَعَنا"[2].

ومن المشتقات أيضا المُظاهَرَة، والظَّهير؛ وهي المعاونة[3]؛ "يقال: بعير ظهير، أي قوي على الرحلة، مُثِّلَ المُعِين لأحدٍ على عمل بحال من يُعطيه ظهره يحمل عليه، فكأنّه يعيره ظهره، ويعيره الآخر ظهره، فمن ثَمّ جاءت صيغة المفاعلة، ومثله المعاضدة مشتقّة من العَضد، والمساعدة من الساعد، والتأييد من اليد، والمكاتفة مشتقّة من الكتف، وكلّها أعضاء العمل"[4]؛ نحو قوله تعالى﴿ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ﴾ [الإسراء:88].

– **البُزُوغ:** البزوغ، والبزغ، والتبزيغ، من أصل واحد؛ وهو"تشريط (شقُّ) شَعْر الدابة بمِبْزَغٍ من حديدٍ"[5]، فيبزغ دمها: أي يسيل[1]، قال الطِّرمَّاح يصف ثوراً يطعن الكلابَ بِقَرْنيةِ:

---

[1] ينظر: كتاب العين، 37/4، مادة(ظهر)، باب (الهاء والظاء والراء معهما)

[2] المصدر نفسه، الصفحة نفسها. وينظر: الكشاف، 265/2 و 346/4، والتحرير والتنوير، 355/28.

[3] ينظر: الكشاف، 287/3، والطبري: 65/5، والتحرير والتنوير، 113/10.

[4] التحرير والتنوير، 113/10.

[5] كتاب العين، 385/4، مادة(بزغ)، باب (الغين والزاي والباء معهما)

يُساقِطُها تَتْرَى بِكُلِّ خَمِيلَةٍ *** كبَزْغ البِيَطْر الثَّقْفِ رَهصَ الكَوادن **(الطويل)** [2]

وقد استعمل هذا اللفظ من طريق الاستعارة للدلالة على كل شيء يطلع من شق، فيظهر للعيان، ولذلك يقال: "بَزغَ نابٌ البعير: طَلَعَ، وقيل ابتدأَ في الطُّلوع، وابْتَزَغَ الربيعُ: أَي جاء أَوَّلُه"[3].

وقد ورد هذا اللفظ في آيتين متواليتين من سورة الأنعام بمعنى الطلوع[4]، وهما قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ * فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ [الأنعام: الآيتان77-78]؛ والبزوغ والأفول في الآيتين يشكلان مشهد انتقال من حال إلى حال، ولكن احتج على المشركين بالأفول لأنه أظهر، لأنه "انتقال مع خفاء واحتجاب"[5]، عكس الأفول الذي هو انتقال من حال خفاء واحتجاب إلى ظهور وتجلي للشيء بحيث تراه العين بوضوح.

- **الطُّلـوع:** لقد أشرنا في مبحث سابق إلى أن لفظ (الاطلاع) يدل صفة لهيئة الرؤية، وأما(الطلوع) -الذي هو مصدر لفعل (طلع)، من قولنا" طَلَعَتِ الشمس والقمر والفجر، والنجوم تَطْلُعُ طُلُوعاً ومَطْلَعاً ومَطْلِعاً، فهي طالِعةٌ"[6]- فهو يدل على صفة لطريقة تجلي المرئي، نحو قوله تعالى﴿ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ ﴾ [الكهف: من الآية17].

---

[1] ينظر: معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص39.

[2] ديوان (الطرماح)، تح: عزة حسن، ط2، دار الشروق العربي، بيروت، لبنان:1994م، ص279. والبيت من قصيدة مطلعها: أَسَاءَكَ تَقْوِيضُ الخَلِيطِ المُبَايِنِ * نَعَمْ، والنَّوَى قَطَّاعَةٍ لِلْقَرائِنِ.

[3] لسان العرب، 418/8، مادة(بزغ).

[4] تفسير الطبري، 289/3.

[5] الكشاف، 41/2.

[6] لسان العرب، 235/8، مادة(طلع).

والرسم التوضيحي الموالي يبين الفروق بين ألفاظ (الاطلاع) و(الطلوع) و(المطَّلَع) و(المَطْلِع):

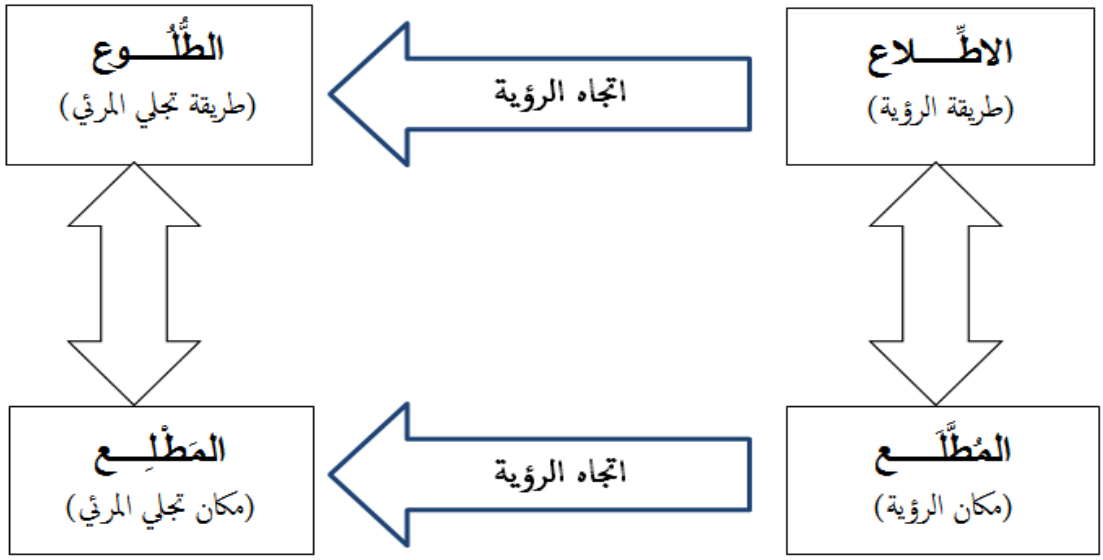

يسمى المكان الذي يطْلِع منه الشيء المَطْلِعُ، قال الله تعالى﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطۡلِعَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَطۡلُعُ عَلَىٰ قَوۡمٖ لَّمۡ نَجۡعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتۡرٗا ﴾ [الكهف:90]، ويطلق اسم (الطَّلْع) على أول ما يبدو من الشجر المثمر، ومفرده طَلْعَة[1]، وقد ذكر طلع النخل في قوله تعالى﴿وَمِنَ ٱلنَّخۡلِ مِن طَلۡعِهَا قِنۡوَانٞ دَانِيَةٞ ﴾ [الأنعام: من الآية99]، والقنو "وعاء عرجون التّمر الّذي يبدو في أوّل خروجه؛ يكون كشكل الأترُجَّة العظيمة مغلقاً على العرجون، ثمّ ينفتح كصورة نعلين فيخرج منه العنقود مجتمعاً، ويسمّى حينئذٍ الإغريض، ثمّ يصير قِنْوا"[2].

- **العَرْض:** العَرْض في أصل الاستخدام اللغوي يكون في الأجسام[3]، وهو خلاف الطول[1]، كقولنا: عَرَضْتُ الشيء، أي أبديت عَرْضَه، و في القرآن الكريم قد تستعار مادة (عرض)

---

[1] ينظر: كتاب العين، 12/2، مادة(طلع)، باب (العين والطاء واللام معهما)

[2] التحرير والتنوير، 400/7-401، وينظر: الكشاف، 328/3.

[3] معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص248.

لغير الأجسام، للدلالة على الإعراض، وهو: "الانصراف عن شيء"[2]، كأنَّ من ينصرف عن شيء يُظْهِرُ عَرْضَه[3]، نحو قوله تعالى﴿ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ﴾ [الإسراء: من الآية83]، وقد تستعار للدلالة على الإقبال على الدعاء والمداومة عليه والإكثار منه، نحو قوله تعالى﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ﴾ [فصلت: من الآية51]، و"يعني بالعريض: الكثير"[4]، كما استعير الغِلَظُ للدلالة على شدة العذاب نحو قوله تعالى﴿وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ [هود: من الآية58][5]، وقد تستعار دلالة العرض للتمثيل؛ نحو قوله تعالى﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ ﴾ [الأحزاب: من الآية72] [6].

وأما العرض في الرؤية البصرية فهو "إحضار شيء لآخر ليختاره"[7]؛ تقول: "عَرَضْتُ الجند عرض العين، أي أمررتهم علي لأنظرَ ما حالهم"[8]، نحو قول ربنا﴿ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴾ [ص:31].

وقد استعمل فعل العرض المتعلق بالرؤية البصرية من قبيل التهكم، كما في قوله﴿ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا﴾ [الكهف:100]، حيث استعمل عرض جهنم " في إبرازها حين يشرفون

---

[1] ينظر: كتاب العين، 271/1، مادة(عرض)، باب (العين والضاد والراء معهما). و لسان العرب، 165/7، مادة(عرض).

[2] التحرير والتنوير، 14/25.

[3] ينظر: معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص248.

[4] تفسير الطبري، 476/6.

[5] ينظر: الكشاف، 205/4.

[6] ينظر: التحرير والتنوير، 125/22-126.

[7] المصدر نفسه، 125/22.

[8] كتاب العين، 271/1، مادة(عرض)، باب (العين والضاد والراء معهما)

عليها وقد سيقوا إليها فيعلمون أنها المهيأة لهم، فشبه ذلك بالعرض تهكماً بهم، لأنّ العرض هو إظهار ما فيه رغبة وشهوة"[1].

- **التجلي**: التجلي في اللغة من (الجلو) وأصله" الكشف الظاهر"[2]، وإزالة الحجاب[3]، قال تعالى﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾[الليل: 2]، أي ظهر، وقولنا: "الله يجلي الساعة: يظهرها، وتجلى كذا: علاه، والشيءَ: نظر إليه"[4].

والتجلي في قوله تعالى﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ [الأعراف: من الآية 143] "مجاز، ولعله أريد به إزالة الحوائِل المعتادة التي جعلها الله حجاباً بين الموجودات الأرضية وبين قوى الجبروت التي استأثر الله تعالى بتصريفها على مقاديرَ مضبوطة ومتدرجة في عوالم مترتبة ترتيباً يعلمه الله... فتلك الإزالة هي التي استعير لها التجلي المسندُ إلى الله تعالى تقريباً للإفهام، فلما اتصلت قوة ربانية بالجبل تُماثل اتصال الرؤية اندّك الجبل"[5]، وتقدير المعنى: " فلما اطَّلع الرب للجبل"[6].

ج-2-2/ دلالات ألفاظ المستوى الثاني:

- **الجَهْر**: الجهر هو العلانية وظهور الشيء بإحدى الحاستين، حاسة البصر أو حاسة السمع[7]، و"الجهر بالقراءة: إنما هو إظهارها"[8]، وعكس الجهر السرُّ؛ قال تعالى﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ

---

[1] التحرير والتنوير، 42/16. وينظر الكشاف، 749/2.

[2] معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص73.

[3] ينظر: التحرير والتنوير، 93/9.

[4] القاموس المحيط: ص233، مادة(جلي)

[5] التحرير والتنوير، 93/9.

[6] تفسير الطبري، 495/3.

[7] ينظر: كتاب العين، 388/3، مادة(جهر)، باب (الهاء والجيم والراء معهما)، ومعجم مفردات ألفاظ القرآن، ص78.

[8] تفسير القرطبي، 114/2.

وَجَهۡرَكُمۡ وَيَعۡلَمُ مَا تَكۡسِبُونَ ﴾ [الأنعام: من الآية3]، أو (الخفاء) كما جاء في قوله سبحانه﴿إِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ وَمَا يَخۡفَىٰ﴾ [الأعلى: من الآية7]، أي: "وما يخفى منه فلم تظهره مما كتمته"[1]، غير أن المخافتة صفة لقوة الجهر، وهما(أي الجهر والمخافتة) "صفتان تعتقبان على الصوت لا غير"[2].

ويقال للجهر المرتبط بالرؤية البصرية الجهرة؛ "يقال: جَهَرْتُ الشيء إذا كشفته، وجَهَرْتُه واجْتَهَرْته: أَي رأَيته بلا حجاب بيني وبينه"[3]، نحو قول الله تعالى﴿وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةً ﴾ [البقرة: من الآية55]، والجَهْرَةُ "مصدر من قولك: جهر بالقراءة وبالدعاء، كأنّ الذي يرى بالعين جاهر بالرؤية، والذي يرى بالقلب مخافت بها، وانتصابها على المصدر لأنها نوع من الرؤية؛ فنصبت بفعلها كما تنصب القرفصاء بفعل الجلوس، أو على الحال بمعنى ذوي جهرة"[4].

وأما الجهر المرتبط بحاسة السمع، فهو" قوة صوت الناطق بالكلام"[5]، نحو قوله تعالى﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴾ [الحجرات: من الآية2]، وقوله﴿وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا وَٱبۡتَغِ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلٗا ﴾ [الإسراء: من الآية110].

---

[1] تفسير الطبري، 506/7.

[2] الكشاف، 700/2.

[3] لسان العرب، 149/4، مادة(جهر).

[4] الكشاف، 141/1.

[5] التحرير والتنوير، 238/15.

ج-3/ حقل الألفاظ الدالة على آثار الرؤية والترائي: هذه الألفاظ تدل على الآثار المترتبة عن رؤية الناظر إلى الموجودات سواء كانت محسوسة أو معنوية، وسواء كانت تلك الآثار معنوية، أو نفسية أو فيزيولوجية، وتلك الألفاظ هي:

المستوى الأول
- الإيناس- الشخوص- اللَّمح
المستوى الثاني
- الإدراك- الخشوع- البريق- الشهادة- الخسوء- الحسور - المد - التعدية - الخيانة - التلذذ

ج-3-1/ دلالات ألفاظ المستوى الأول:

- **الإيناس:** قد ورد التعريف بهذا اللفظ في الفصل الأول.

- **الشُّخوص:** الشُّخُوصُ في اللغة هو "السَّيْرُ من بَلَدٍ إلى بلدٍ"[1]، واستعمل هذا الانتقال من مكان إلى مكان آخر مجازا للدلالة على انتقال البصر من رؤية شيئ إلى رؤية شيئ آخر والتوقف عنده، ولذلك يرى صاحب كتاب العين أن شخوص البصر إلى السماء هو ارتفاعه إليها[2]، مع فتح العَيْنَيْن، وعدم طرفهما[3].

إن من أسباب شخوص البصر الانزعاج من الخوف[4]، ولذلك ورد هذا اللفظ في القرآن الكريم لتصوير أحوال الكافرين والظالمين يوم القيامة؛ ففي قوله تعالى ﴿وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [الأنبياء: من الآية97]، وقوله﴿وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ

---

[1] ينظر: لسان العرب، 46/7، مادة(شخص).

[2] ينظر: كتاب العين، 165/4، مادة(شخص)، باب (الخاء والشين والصاد معهما)

[3] ينظر: القاموس المحيط، ص672، مادة(شخص).

[4] ينظر: لسان العرب، 46/7، مادة(شخص).

شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ [الأنبياء: من الآية97]؛ خصص شخوص الأبصار بالكافرين لبيان صفات الجبن والهلع والغيظ التي تنتابهم يوم القيامة[1].

وأما قوله تعالى﴿ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعۡمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمۡ لِيَوۡمٖ تَشۡخَصُ فِيهِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴾ [إبراهيم:42]، فتدل فيه جملة (تَشۡخَصُ فِيهِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ) على شخوص عموم أبصار الناس ومنهم الظالمون، بحيث لا تقرّ في أماكنها من هول ما ترى من مشاهد يوم القيامة ومن أحوال الكافرين[2].

– **اللَّمح:** اللَّمْح واللَّمْحةُ في اللغة هي النَّظْرة[3]، أو اخْتَلَاسُ النَّظَرَ[4]، و"الملامِحُ: المشابِهُ، وما بَدَا من مَحاسِنِ الوَجْهِ ومساوِيهِ"[5] ، وقد عبر القرآن الكريم عن السرعة بلمح البصر، نحو قوله تعالى ﴿وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ ﴾ [القمر:50]، قال الزمخشري:"﴿وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ ﴾ إلا كلمة واحدة سريعة التكوين﴿كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ ﴾ أراد قوله كن، يعنى أنه إذا أراد تكوين شيء لم يلبث كونه"[6].

وقد أجاز المفسرون في تشبيه (اللمح بالبصر) بقروب الساعة في قوله تعالى﴿وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ أَوۡ هُوَ أَقۡرَبُۚ﴾ [النحل: من الآية77]، "أن يكون وجهُ الشّبه السرعة؛ أي سرعة الحصول عند إرادة الله، أي ذلك يحصل فَجْأة بدون أمارات كقوله تعالى﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ

---

[1] ينظر: الكشاف، 324/4، والطبري، 281/5.

[2] ينظر: المصدر نفسه، 563/2، وينظر التحرير والتنوير، 246/13.

[3] ينظر: كتاب العين، 243/3، مادة(لمح)، باب (الحاء واللام والميم معهما)

[4] ينظر: القاموس المحيط، ص1187، مادة(لمح).

[5] المصدر نفسه، الصفحة نفسها، مادة(لمح).

[6] الكشاف، 441/4، وينظر: تفسير الطبري، 542/4.

ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَاۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّيۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقۡتِهَآ إِلَّا هُوَۚ ثَقُلَتۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَا تَأۡتِيكُمۡ إِلَّا بَغۡتَةٗۗ ﴾ [الأعراف: من الآية187]"[1].

ج-3-2/ دلالات ألفاظ المستوى الثاني:

- **الإدراك:** إن حقيقة الإدراك هي الإحاطة[2] و"الوصول إلى المطلوب، ويطلق مجازاً على شعور الحاسّة بالمحسوس أو العقل بالمعقول،... تشبيهاً لآلة العلم بشخص أو فرس وصل إلى مطلوبه، تشبيهَ المعقول بالمحسوس، ويقال: أدرك فلان ببصره وأدرك بعقله، ولا يقال: أدرك فلان، بدون تقييد، واصطلح المتأخّرون من المتكلّمين والحكماء على تسمية الشعور العقلي إدراكاً"[3].

والبصر أداة من أدوات الإدراك لأنه يحيط بتفاصيل الأشياء المبصرة[4]، وهو آلة لها قانون خاص بها، يخضع للسنن الطبيعية في الخلق، بأن ينعكس الضوء من المرئي إلى الرائي ويحدده، ولهذا القانون حدود معلومة، تعجز عندها الأبصار البشرية عن إدراك الظواهر فوق الطبيعية والغيبية، كإدراك ذاته سبحانه، قال تعالى﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ [الأنعام:103]، "وهو غير معنى قوله ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ٢٣﴾ [القيامة:الآيتان22-23]، فإن أهل الجنة ينظرون بأبصارهم يوم القيامة إلى الله، ولا يدركونه بها"[5]، لذلك "فلو أن الأبصار تدرك ذات الله لحددته، وأصبح من يراه قادرا عليه،

---

[1] التحرير والتنوير، 230/14.

[2] ينظر: تفسير الشعراوي، 3841/6.

[3] التحرير والتنوير، 414/7.

[4] ينظر: المصدر نفسه، 414/7.

[5] تفسير الطبري، 319/3.

ولصار مقدورا له؛ لأنه دخل في إدراكه؛... والقادر لا ينقلب مقدورا أبدا، إذاً فمن عظمته أنه لا يُدْرك"[1].

وقد جاءت الآية الكريمة الآنفة الذكر لتنفي الإلهية عن الأصنام التي هي مُدْرَكَةٌ من البشر بفعل تجسيمها المادي[2]، ولتنبه إلى قضية رؤية الله تعالى، التي ينكرها نفاة الرّؤية، كالمعتزلة، "لأنّ للأمور الآخرة أحوالاً لا تجري على مُتَعَارَفِنَا... والخلاف في رؤية الله في الآخرة شائع بين طوائف المتكلّمين؛ فأثبته جمهور أهل السنّة لكثرة ظواهر الأدلّة من الكتاب والسنّة، مع اتّفاقهم على أنّها رؤية تخالف الرّؤية المتعارفة"[3].

وخلاصة هذه المسألة أن "الله يُرى ولا يُدرك، ولا يحاط به لكمال عظمته،... وأنه لكمال عظمته لا يُدرك بحيث يُحاط به، فإن الإدراك هو الإحاطة بالشيء، وهو قدر زائد على الرؤية، كما قال تعالى﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ * قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴾ [الشعراء: الآيتان61-62]، فلم ينف موسى عليه السلام الرؤية، ولكنه نفى الإدراك"[4].

- **الخُشُـوع:** الخشوع في اللغة هو تخصيص جوارح البدن بالخضوع[5]، والضَّراعة[6]، والتذلل[1]، لقوله تعالى﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴾ [المؤمنون: 2]، والقلب هو موضع الخشوع

---

[1] تفسير الشعراوي، 3841/6.

[2] ينظر: التحرير والتنوير، 413/7-414.

[3] المصدر نفسه، 415/7.

[4] المسائل الاعتزالية في تفسير الكشاف للزمخشري، في ضوء ما ورد في كتاب الانتصاف لابن المنيَّر؛ عر ونق: صالح بن غرم الله (الغامدي)، ط1، دار الأندلس، حائل، المملكة العربية السعودية:1998م، ص279.

[5] ينظر القاموس المحيط، ص371، مادة(خشع).

[6] قال الراغب: "والضراعة أكثر ما تستعمل فيما يوجد على الجوارح، والضراعة أكثر ما تستعمل فيما يوجد في القلب"، معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص113.

والضراعة[2]، قال تعالى﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الحديد: من الآية16].

ويكون خشوع الصوت بخَفْضِه وخفوته من شدة الفزع[3]؛ نحو قوله تعالى﴿ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴾ [طه: من الآية108]، وأما في البصر فيكون برميه إلى الأرض مع طأطأة الرأس[4]، كناية عن الذل والانخذال، لأن الذل والعزة تظهران في عيون صاحبيهما[5]، نحو قوله تعالى﴿خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ [القمر:7]، وقد يعبر عن الأبصار بالوجوه كناية عن أصاحبها[6] نحو قوله تعالى﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ﴾ [الغاشية:2]، أي: "ذليلة"[7].

– **البريق:** البريق في العربية هو اللمعان والتَّلأْلُؤُ[8]، وبهذا اللفظ يوصف كل ما يلتمع نحو البصر فيقال: "بصر بَرِقٌ، كأنه من قولك(بَرِقَ بصره) فهو بَرِقٌ أي بَهَتَ، فهو فَزِعٌ مبهوت، ومن قَرَأ (بَرَقَ) يقول: تراه يلمع من شدة شخوصه ولا يطرف"[9]، ولذلك أسند فعل البريق إلى البصر في قوله تعالى﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ﴾ [القيامة:7] من باب المجاز العقلي، وكناية عن الفزع

---

(1) ينظر: الكشاف، 201/4، والتحرير والتنوير، 296/30.

(2) ينظر: معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص113.

(3) الكشاف، 88/3–89.

(4) ينظر: كتاب العين، 112/1. باب (العين والخاء والشين).

(5) الكشاف، 432/4.

(6) ينظر: التحرير والتنوير، 295/30.

(7) تفسير الطبري، 509/7.

(8) ينظر: القاموس المحيط، ص98، مادة(برق).

(9) كتاب العين، 156/5، مادة(برق)، باب (القاف والراء والباء معهما). وينظر: معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص38.

والرعب[1]، قال الزمخشري:"﴿بَرِقَ ٱلۡبَصَرُ﴾ تحيَّر فزعا، وأصله من برق الرجل إذا نظر إلى البرق فدهش بصره، وقرئ(بَرَقَ) من البريق، أي لمع من شدة شخوصه"[2].

– **الشهادة:** الشهادة والشهود في اللغة الحضور مع المشاهدة والإدراك[3]، إما بالبصر أو بالبصيرة، وهناك فرق بينهما يتمثل في كون(الشهود) مقترنا بالحضور المجرد نحو قوله تعالى﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ ﴾ [البقرة: من الآية185]، أما الشهادة التي هي قول صادر عن علم حاصل بالبصر أو بالبصيرة نحو قوله تعالى﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ ﴾ [البقرة: من الآية143]، فهي مع المشاهدة أولى، وقوله تعالى﴿ وَجَعَلُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمۡ عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ إِنَٰثًاۚ أَشَهِدُواْ خَلۡقَهُمۡۚ سَتُكۡتَبُ شَهَٰدَتُهُمۡ وَيُسۡـَٔلُونَ﴾ [الزخرف:19]، يعني مشاهدة البصر[4].

ويتعدى هذا اللفظ من الاستعمال بدلالته الأصلية الوضعية وهي الحاضر، إلى الاستعمال المجازي فيما يلازمه الحضور أو كناية عنه، مصداقا لقول الله تعالى﴿وَأَشۡهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعۡتُمۡۚ﴾ [البقرة: من الآية282] [5].

ومن مشتقات مادة(ش هـ د) الشاهد، وهو اسم يطلق على المُخْبِرُ بالأمرِ الواقعِ كما وقع[1]، وفي تفسير معنى الشهادة في قول الله تعالى﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ

---

[1] ينظر: التحرير والتنوير، 344/29.

[2] الكشاف، 660/4.

[3] ينظر: تفسير القرطبي؛ 163/3.

[4] معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص201، وينظر لسان العرب، 239/3، مادة(شهد).

[5] ينظر: التحرير والتنوير، 339/1.

شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ﴾ [البقرة:143]؛ قال الشيخ **محمد رشيد رضا(1865م/1935م):** "فإن الشاهد على الشيء لابد أن يكون عارفا به، ومن كان متوسطا بين شيئين فإنه يرى أحدهما من جانب وثانيهما من الجانب الآخر، وأما من كان في أحد الطرفين فلا يعرف حقيقة حال الطرف الآخر، ولا حال الوسط أيضا"[(2)].

ومن المشتقات أيضا لفظ(الشهيد)، على وزن (فَعِيلٌ)، وهو من أبنية المبالغة، ويدل على مطلق الصفة أو الفعل، ولذلك فهو اسم من أسماء الله تعالى؛ معناه الأَمين في شهادته، أو الذي لا يَغيب عن عِلْمه شيء[(3)]، أو"العالم بالأمور المشاهدة"[(4)]، أو "الشهيد للمُحق على المبطل، فهو كناية عن النصير والحاكم؛ لأن الشهادة سبب الحكم"[(5)]، قال تعالى﴿كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ﴾ [الأحقاف: من الآية8]، أي: "كفى بالله شاهدا علي وعليكم"[(6)]، كما يطلق اسم(الشهيد) أيضا على المقتول في سبيل الله.

– **الخسوء:** من دلالات (الخسوء) في اللغة البعد، تقول: "اخْسَأْ عني واخْسَأ إليك"[(7)]، أي : ابتعد، ومن دلالاته أيضا الخيبة، والخائب هو " الذي لم يجد ما يطلبه"[(8)]، وأما خسوء

---

(1) ينظر: التحرير والتنوير، 214/15.

(2) تفسير المنار، محمد (رشيد رضا)، ط2، دار المنار، القاهرة:1947م، ج2، ص4.

(3) ينظر لسان العرب، 240/3–241، مادة(شهد).

(4) التحرير والتنوير، 25/28.

(5) المصدر نفسه، 214/15.

(6) تفسير الطبري، 9/7.

(7) كتاب العين، 288/4–289، مادة(خسأ)، باب (الخاء والسين و واياء معهما)

(8) التحرير والتنوير، 20/29.

البصر فهو كَلَلُه؛ يقال: "خَسَأَ بصَرُه يَخْسَأُ خَسْأً وخُسُوءاً إذا سَدِرَ وكَلَّ وأَعيا"[1]، وقد ورد لفظ (الخسوء) في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم[2] للدلالة على معاني الذل والانزجار[3] والإبعاد من رحمة الله[4].

وورد لفظ (الخسوء) بدلالات الكلل والخيبة مقترنا بلفظ آلية الإبصار(بصر) في قوله تعالى﴿ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٞ﴾ [الملك:4]، "أي يرجع البصر غير واجد ما أُغْري بالحرص على رؤيته بعد أن أدام التأمل والفحص، حتى عيي وكلّ، أي لا تجدْ بعد اللَّأْي فطوراً في خلق الله"[5]، ويدعم معاني الخسوء في هذه الآية لفظ (يَنقَلِبۡ)" أي: إن رجعت البصر وكررت النظر لم يرجع إليك بصرك بما التمسته من رؤية الخلل وإدراك العيب، بل يرجع إليك بالخسوء والحسور، أي بالبعد عن إصابة الملتمس، كأنه يطرد عن ذلك طردا بالصَّغَار والقماءة، وبالإعياء والكلال لطول الإجالة والترديد"[6].

– **الحسور**: لمادة (حسر) مشتقات ودلالات كثيرة،منها التَّحَسُّر، وهو الندم والتَّلَهُّفُ[7]، نحو قوله تعالى ﴿يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ﴾ [يس: من الآية30]، والانقطاع والإعياء؛ "تقول: حَسَرَتِ الدابّة وحَسَرَها بُعْدُ السير فهي حسير ومحسورة وهُنَّ حَسْرَى... وحَسِرَتِ العَيْن أيْ: كَلَّتْ، وحَسَرَها

---

[1] لسان العرب، 65/1، مادة(خسأ).

[2] المواضع هي قوله تعالى: في [البقرة:65]، و[الأعراف:166]، و[المؤمنون:108].

[3] ينظر: الكشاف، 204/3.

[4] ينظر: المصدر نفسه، 147/1.

[5] التحرير والتنوير، 20/29.

[6] الكشاف، 576/4.

[7] ينظر: تفسير الطبري، 274/6.

بُعْدُ الشيء الذي حَدَّقَتْ نحوه"[1]، نحو قوله تعالى﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ [الإسراء:29].

وأما حسور البصر فهو كلله وانقطاع نظره من طول مَدًى وما أَشبه ذلك[2]، وقد ورد هذا الوصف بلفظ للبصر في نفس الآية التي وُصِف فيها بالخسوء، ؛ قال تعالى﴿ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [الملك:4].

– **المَدُّ:** أصل دلالة لفظ(المدُّ) في اللغة الجَرُّ[3]، وقد بين الراغب ألأصفهاني أن هناك فرقا بين لفظي(مَدَّ) و(أَمَدَّ)؛ فالمد يستعمل كثيرا في المكروه نحو قوله تعالى﴿وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴾ [مريم: من الآية79]، أي: "ونزيده من العذاب في جهنم"[4]، وأما الإمداد(من الفعل أَمَدَّ) فأكثر ما يستعمل في المحبوب نحو قوله تعالى﴿وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [الطور:22][5]، باستثناء لفظ(يمده) في قول الله تعالى﴿وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ ﴾ [لقمان: من الآية27]، فإنه "من قولهم: مدَّهُ نَهْرٌ آخر"[6].

وأما مد البصر فهو طموحه إلى الشيء[7]، وفي التنزيل﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [طه: من الآية131]، أي: "نظر عينيك، ومدّ النظر: تطويله، وأن لا يكاد

---

[1] كتاب العين، 133/3، مادة(حسر)، باب (الحاء والسين والراء معهما)

[2] لسان العرب، 188/4، مادة(حسر).

[3] ينظر: معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص352.

[4] تفسير الطبري، 176/5.

[5] ينظر: المصدر نفسه، الصفحة نفسها، والبرهان في علوم القرآن، 98/4.

[6] معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص352.

[7] ينظر: القاموس المحيط، ص1211، مادة(مدد).

يرده استحسانا للمنظور إليه وإعجابا به، وتمنيا أن يكون له، كما فعل نظارة قارون حين قالوا﴿يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٖ﴾ [القصص: من الآية79]"[1].

- **التَّعْدِيـة:** التعدية في اللغة هي المُجَاوَزَةُ؛ قال الخليل: "عدّى تَعْدِيَةً، أي: جاوز إلى غيره... وتقول للنّازل عليك: عدِّ عنّي إلى غيري، وعَدِّ عن هذا الأمر، أي دعْهُ وخذ في غيره... وتعدّيتُ المفازَةَ، أي جاوزتُها إلى غيرها، وتقول للفعل المجاوِز: يتعدّى إلى مفعولٍ بعد مفعول"[2].

وقد استعمل لفظ (عدا) مقترنا بجارحة الرؤية(العين) استعمالا مجازيا بصيغة الكناية للدلالة على معنى الانصراف في قوله تعالى﴿وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ [الكهف: من الآية28]، حيث عُدِّيَ لفظ (عدا) بـ(عن)، لتضمين (عدا) معنى (نبا) و(علا)، في قولك: نَبَتْ عنه عينُه، وعَلَتْ عنه عينُه، إذا اقتحمته ولم تعلق به، فإن قلت: أيُّ غرض في هذا التضمين؟... قلت الغرض فيه إعطاء مجموع معنيين، وذلك أقوى من إعطاء معنى فذّ، ألا ترى كيف رجع المعنى إلى قولك: ولا تقتحمهم عيناك مجاوزتين إلى غيرهم؟... لأن معناه: فعدِّ همك عما ترى، نهى رسول اللّه (صلى اللّه عليه وسلم) أن يزدري بفقراء المؤمنين، وأن تتبو عينه عن رثاثة زيهم، طموحا إلى زيِّ الأغنياء وحسن شارتهم"[3].

- **الخِيانَـة:** لفظ الخيانة من مادة(خون)، ومنه(الخَوْنُ)، وهو "أن يُؤْتَمَنَ الإنْسانُ فلا يَنْصَحَ،... فهو خائِنٌ، وخائِنَةٌ، وخَؤُونٌ، وخَوَّانٌ. والخَوْنُ: الضَّعْفُ، وفَتْرَةٌ في النَّظَرِ، ومنه:

---

[1] تفسير الكشاف، 97/3.

[2] كتاب العين، 215/2. باب (العين والدال و واي معهما).

[3] تفسير الكشاف، 717/2-718.

خائنُ العَيْنِ، للأسَدِ"[1]، وأما خائنَةُ الأعْيُنِ فهي مسارقة النظر إلى ما لا يحل، أو النظر بريبَةٍ[2].

والخيانة والنفاق عند الراغب الأصفهاني لهما دلالة واحدة، إلا أن الخيانة عنده "تقال اعتبارا بالعهد والأمانة، والنفاق يقال اعتبارا بالدين، ثم يتداخلان، فالخيانة مخالفة الحق بنقض العهد في السر، ونقيض الخيانة: الأمانة"[3].

وقد ارتبط لفظ (الخيانة) بلفظ (عين) في موضع واحد من القرآن الكريم، وذلك في قوله تعالى﴿ يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ﴾ [غافر:19]، قال الزمخشري في تفسير معنى(خائنة الأعين): "الخائنة: صفة للنظرة، أو مصدر بمعنى الخيانة، كالعافية بمعنى المعافاة، والمراد: استراق النظر إلى ما لا يحل، كما يفعل أهل الريب، ولا يحسن أن يراد (الخائنة من الأعين)، لأن قوله وَما تُخْفِي الصُّدُورُ لا يساعد عليه"[4]، و(الخائِنةُ) من المصادر التي جاءت على لفظ الفاعلة كالعاقبة[5].

– **التَّلَذُّذُ:** اللذة في اللغة" نقيض الأَلم، واحدة اللذان... واللَّذّة، واللَّذَادَةُ، واللَّذِيذُ، واللَّذْوَى، كله الأَكل والشرب بِنَعْمَةٍ"[6]، وقد عرفها **الشريف الجرجاني(ت816هـ/1413م)** بأنها: "إدراك

---

[1] القاموس المحيط، ص405، مادة(خون).

[2] ينظر: كتاب العين، 309/4، مادة(خون)، باب (الخاء والنون و واي معهما).

[3] معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص123.

[4] تفسير الكشاف، 159/4، وينظر: تفسير الطبري، 418/6.

[5] لسان العرب، 145/13، مادة(خون).

[6] المصدر نفسه، 506/3، مادة(لذذ).

المُلائم من حيث أنه ملائم؛ كطعم الحلاوة عند حاسة الذوق، والنور والبصر، وحضور المَرْجُوِّ عند القوة الوهمية، والأمور الماضية عند القوة الحافظة تلتذ بتذكرها"[1].

وقد اقترنت جارحة الرؤية (عين) بلفظ(لذ) في القرآن الكريم، وذلك في قوله تعالى﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ﴾ [الزخرف: من الآية71]،"وهذا حَصْرٌ لأنواع النعم، لأنها إما مشتهاة في القلوب، وإما مستلذة في العيون"[2]، وبذلك يتعدَّى التعبير القرآني(وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ) اللَّذَّة الناتجة عن الأكل والشرب إلى اللذَّة النفسية في القلب التي تكون العين مدخلا لها.

بعد فرغنا من عرض الدلالات التي على أساسها كان تصورنا لبناء حقل دلالي قرآني، من خلال الحقل النموذجي؛ حقل ألفاظ الرؤية، سنتطرق في الفصل التالي إلى بيان خاصية التبئير الدلالي التي تتمتع بها الألفاظ داخل الحقل الدلالي.

---

[1] التعريفات، ص175.

[2] الكشاف، 263/4 .

الفصل الثالث

إسهام التكرار اللفظي في التبئير الدلالي للكلمة القرآنية

ا- تحديد مفهومي الموقع والموضع.

ب- محددات تموقع وتموضع للمفردة في النص القرآني.

ج- إسهام التكرار اللفظي في التبئير الدلالي للكلمة القرآنية.

ا/ تحديد مفهومي الموقع والموضع:

للكلمة أو الوحدة اللغوية مواضع خاصة في التركيب اللغوي، فإن هي خالفت تلك المواضع لغير ضرورة عد الكلام قبيحا أو ملحونا، ومن ثمة كان لمصطلح الموضع أهمية كبرى على المستويين النحوي والدلالي.

يعرف **جون لاينز** موضع(sense) كلمة ما بأنه" مكانها في نظام من العلاقات التي تترابط بها مع كلمات أخرى"[1]، وتختلف طبيعة الموضع باختلاف طبيعة العلاقات، ولذلك نميز بين نوعين أساسيين هما الموضع النحوي والموضع الدلالي، بناء على شرطي الدلاليين في نظرية الحقول الدلالية بعدم إغفال السياق الذي ترد فيه الكلمة، واستحالة دراستها مستقلة عن تركيبها النحوي، وللتفريق بين الموضعين نصطلح على تسمية الموضع الدلالي بالموقع.

بحث عبد الرحمن الحاج صالح في التراث العربي عن مفهوم الموضع عند علماء العربية، وتساءل: "هل هو مجرد موضع الوحدة اللغوية في مدرج الكلام أو شيء أكثر من ذلك تجريدا؟ وهل يوجد الآن في علوم اللسان الحديثة أو(اللسانيات) شيء يماثل هذا المفهوم العربي العام أو يقاربه؟"[2]

وقد دار نقاش ضمني ردحا من الزمن بين اللغويين والأصوليين حول مصطلحي الموضع والموقع، حين تناولوا العلاقة بين اللفظ والجملة أو التركيب(النظم)، وقد حاول عبد القاهر الجرجاني أن يفصل في هذه القضية الجدلية، حيث لخص وجه الإشكال بقوله: "وجملة

---

[1] علم الدلالة، جون لاينز، ص46.

[2] عبد الرحمن **(الحاج صالح)**، بحوث ودراسات في اللسانيات الحديثة، دط، موفم للنشر، الجزائر:2012م، ج2/ص9-10.

الأمر أن ههنا كلاما حسنه للفظ دون النظم وآخر حسنه للنظم دون اللفظ، وثالثا قد أتاه الحسن من الجهتين ووجبت له المزية بكلا الأمرين"[1].

وبعد مناقشة الرأي الثالث انتصر الجرجاني إلى أثر النظم(التركيب النحوي) في وسم الكلام بالحسن بقوله: "والإشكال في هذا الثالث وهو الذي لا تزال ترى الغلط قد عارضك فيه وتراك قد حفت فيه على النظم فتركته وطمحت ببصرك إلى اللفظ وقدرت في حسن كان به وباللفظ أنه للفظ خاصة وهذا هو الذي أردت حين قلت لك إن في الاستعارة ما لا يمكن بيانه إلا من بعد العلم بالنظم والوقوف على حقيقته"[2]، فلكأنه أراد القول إن اللفظ لابد له- لكي ينصبغ الكلام بالحسن- أن يجتمع له موضع نحوي وموقع دلالي (سياقي).

ويفرق عبد الرحمن الحاج صالح بين المصطلحين الاثنين، حيث يرى أن "موقع الوحدة اللغوية في مدرج الكلام غير موضعها"[3]، والدليل على عدم تطابق الموقع المحصل المحسوس للوحدة والموضع عند النحاة العرب حسبه"هو تمييزهم بين حالة الوحدة التي هي عليه في اللفظ وما ينبغي أن تكون عليه بحسب ما يقتضيه القياس أو الباب" [4]؛ فالكلمة قد تتخذ موضعا نحويا يقتضيه نظام التركيب النحوي، ولكنها لا تؤدي الغرض الدلالي الذي ينبغي أن تؤديه في السياق، لأن موقعها غير مناسب، وقد يتطابق الموضع النحوي مع الموقع السياقي، فيحققان الدلالة المطلوبة[5]، ذلك أن "لفظة (موقع) عامة واعتبارية في نفس

---

[1] دلائل الإعجاز، ص99-100.

[2] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3] بحوث ودراسات في اللسانيات الحديثة، 11/2.

[4] المصدر نفسه، 12/2.

[5] م ن، ص ن.

الوقت، قد تشغل بكلمة واحدة أو بأكثر من كلمة، كما قد يكون العنصر الكلامي الشاغل لهذا الموقع طرفا في الإسناد أو غير طرف"[1].

ب/ محددات تموقع وتموضع المفردة في النص القرآني:

تختلف محددات التموضع عن محددات التموقع؛ فالتموضع باعتباره خاضعا لقواعد التركيب، له محددات غير محددات التموقع الخاضع للسياق الدلالي الذي جيء باللفظة لتسهم في بنائه، لذلك يمكن اعتبار محددات التموضع نحوية ومحددات التموقع دلالية(سياقية)، ومصطلح الموقع أعم من مصطلح الموضع.

ما يهمنا أكثر في هذا المبحث هو مواقع الألفاظ لا مواضعها، وبذلك نرى أنه يمكن تقسيم مواقع اللفظ القرآني حسب ثلاث مستويات هي:

1/ التموقع في مستوى الآية أو المقطع.

2/ التموقع في مستوى السورة.

3/ التموقع في مستوى النص القرآني العام.

إن تموقعات الألفاظ تخضع لعدة أساليب، من أبرزها التكرار ذو السمة التبئيرية، ولذلك سنتناول في هذا الفصل بإذن الله تعالى مفهوم التكرار الحقلي ثم مفهوم التبئير الدلالي على التوالي.

---

[1] "جملة الموقع النحوي الواحد عند سيبويه"، محمود شرف الدين، مجلة اللسان العربي، مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي بالرباط، المغرب: دت، مج16، ج1، ص21.

ب-1/ التكرار الحقلي:

ب-1-1/ التعريف اللغوي للتكرار: التِّكرار مصدر من مادة (كرَّر) أي (ردد) أو (أعاد)، وهو عند البصريين (تَفعال) بـ فتح التاء خلاف (تفعيل)، أما الكوفيون فهو عندهم من (فَعَّل)، والألف عوض من الياء في التفعيل[1]، والتكرار وهو الرجوع ، "يقال: كرّه وكرّ بنفسه، والكرّ: مصدر كرّ عليه يكرّ كرّا، و كرورا وتكرارا: عطف، وكرّ منه: رجع، وكرر الشيئ وكرّره: أعاده مرة بعد أخرى"[2].

وإلى هذا الرأي ذهب **الفيروز آبادي**(729هـ/ 817هـ)، حيث ركز على معنى الإعادة الناجمة عن التكرار، بقوله: " **كَرَّ** عليه كرًّا وكُرورا وتَكرارا: عطف، وعنه: رجع، فهو كرَّارٌ، ومِكرٌّ، و **كرّره** تكريرا وتَكرارا و تَكِرَّة، كتَحِلَّة، و **كركره:** أعاده مرة بعد أخرى"[3]، و"التكرير هو مثالٌ أوّلٌ لقولهم(كرر تكريرا: ردَّد وأعاد) والتكرار فيه هو بنية مبالغة وتكثير، وهو من باب ما تكثر فيه المصادر... فصار بناؤه بناء آخر على غير ما يجب، كالتَّهدار والتِّلعاب والتَّصفاق"[4].

ب-1-2/ التعريف الاصطلاحي للتكرار: تفطن العلماء القدامى إلى أسلوب التكرار، وله عندهم تعاريف اصطلاحية عدة تتفق على كونه "الإتيان بشيء مرة بعد أخرى"[5]، وقد عرَّفوه

---

[1] لسان العرب، مادة (كرر).

[2] المصدر نفسه، مادة(كرر).

[3] القاموس المحيط، ص1123، مادة(كرر)

[4] المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، أبو محمد القاسم (**السجلماسي**)، تح: علال الغازي، ط1، مكتبة المعارف، الرباط- المغرب: 1980م، ص 476.

[5] التعريفات، ص64.

عموما بأن "يأتي المتكلّم بلفظ ثم يعيده بعينه، سواء أكان اللفظ متّفق المعنى أو مختلفًا، أو يأتي بمعنى ثم يعيده، وهذا من شرطه اتّفاق المعنى الأول والثاني"[1].

وقد رد ابن قتيبة على الذين يطعنون بوجود التكرار في القرآن الكريم، مبينا أنه من أساليبه الفعالة المبينة لمعانيه، حيث قال: "... وكان يبعث إلى القبائل المتفرقة بالسور المختلفة، فلو لم تكن قصص الأنبياء مثناة ومكررة لوقعت قصة موسى إلى قوم، وقصة عيسى إلى قوم، وقصة نوح إلى قوم، وقصة لوط إلى قوم"[2].

ولعل أسلوب التكرار من تمام التيسير على الناس في قراءة القرآن وتذاكره بينهم، حيث "أدرج الحكيم الرحيم أكثر المقاصد القرآنية في أكثر سور؛ لا سيما الطويلة منها، حتى صارت كل سورة قرآنًا صغيرًا، فسهّل السبيل لكل أحد، دون أن يحرم أحدًا، فكرّر التوحيد والحشر وقصة موسى عليه السلام"[3].

أما السجلماسي فقد توسع في مبحث التكرار، حيث قسمه إلى قسمين، ولكل قسم مصطلح خاص؛ أما الأول فهو تكرار اللفظ بلفظ وسماه المشاكلة، وأما الثاني فهو تكرار المعنى بمعنى مثله وسماه المناسبة [4].

---

[1] الفوائد المشوقة إلى علوم القرآن، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر **(ابن القيم إمام الجوزية)**، دط، مكتبة الهلال، بيروت– لبنان: دت، ص159.

[2] تأويل مشكل القرآن، أبو محمد عبد الله بن عبد المجيد بن مسلم **(ابن قتيبة)** الدينوري، ط3، المكتبة العلمية، بيروت– لبنان: 1981م، ص23.

[3] رسائل النور2(المكتوبات)، بديع الزمان سعيد **(النورسي)**، تر: إحسان قاسم الصالحي، ط3، دار الكتب المصرية، مدينة نصر– القاهرة: 20012م، ص268.

[4] ينظر: المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، ص 476–477.

ووافق المُحدُثون القدامى في تعريفهم للتكرار، وعَدُّوه نمطا من أنماط التأليف اللغوي، الذي يقصد به التضخيم والتفخيم والتوكيد[1]، وقسَّموه على حسب مستويات التحليل الأسلوبي إلي تكرار صوتي(تكرار حرف)، وتكرار معجمي(تكرار كلمة)، وتكرار معنوي أو تركيبي(تكرار جملة أو آية بأكملها).

ب-2/ أهمية ظاهرة التكرار في القرآن الكريم:

للتكرار من خلال الأنواع الثلاثة المذكورة آنفا فوائد جمة، لعل أهمها هو تأكيد الأمر وتقريره في النفس، والتنبيه، والتذكير بالكلام السابق، وهذا ما يدعو إلى القول بأنه ظاهرة ملحّة في البنية القرآنية، تفرضها بلاغته، وإننا هنا سنهتم أساسا بالتكرار المعجمي، لعلاقته بموضوع بحثنا.

يؤدي الموقع دورا هاما في تحديد دلالات الكلمات المكررة، لأنه "أصل التميز والتجدد والاستقلال الدلالي، فلكل موقع أثر في خصوصية المعنى تماما كما هو ملحوظ في الكون المرئي، فكما جعل الله للشمس في السماء بروجا،... وللقمر منازل، وللنجوم مواقع، لكل موقع منها أثر في تجديد الحياة وتميزها، فكذلك جعل للكلم مواضع يجب أن تعتبر وتقدَّر، وإلا لكان الزلل والانحراف، وقد ذم الله قوما ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [النساء: من الآية46]، وفي آية أخرى﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [المائدة: من الآيتين 13، و41]"[2].

---

[1] الخطاب النفسي في القرآن الكريم، كريم حسين ناصح (**الخالدي**)، ط1، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان- الأردن: 2007م، ص209.

[2] ظاهرة التكرار في القرآن الكريم: أغراض وأسرار، مصطفى بن حبيب (**شريقن**)، ط1، دار الكفاية، الجزائر: 2014م، ص65.

والقول بوجود أسلوب التكرار في القرآن لا يعني ضيق الحقول الدلالية فيه، أو عجزا عن استعمال ألفاظ أخرى، كلا، بل إن من بلاغة التعبير القرآني تحاشي التكرار، "حتى إذا دعت إليه الحاجة صار لازبا، ويصبح العدول عنه جفاء في العبارة وقصورا في البلاغة، ويكفيك شاهدا أنه كرِّر الاسم الظاهر خمس مرات متواليات في سورة (الناس)، من أولها إلى آخرها، ولم يعدل السياق إلى الإضمار، ولم يأنف القرآن من ذلك، مع كون اللفظة المكررة فاصلة للسورة، وهي محل بروز اللفظ وظهوره وتضخيم موقعه"[1].

إن للقرآن الكريم "معجم قولي الخاص، و"داخل هذا المعجم كلمات بعينها تتكرر وإن بنسب متفاوتة"[2]، وهذا التفاوت في نسب التكرار ليس اعتباطيا، كما أن المعجم القرآني لا يستعمل كل مفردات الحقل الدلالي المتوفرة في المعجم اللغوي، بل يتخير المفردات وفق منهج يتيح إبلاغ المعاني المراد إبلاغها.

والخطاب القرآني لا يعرف التكرار المعنوي(التركيبي) المطلق مادامت الكلمة المكررة تتواجد في مواقع مختلفة، تُكسب من خلالها- مع أخواتها- التعابيرَ معاني جديدة، وكما ينتفي الترادف الكلي بين الألفاظ، فإنه يكاد ينتفي التكرار الكلي للمعاني في نص فني، "فالكلمة الثانية لا تحمل معنى الأولى، وإلا كان ذلك تحصيل حاصل ولكن الكلمة الثانية تحمل معنى إضافيا هو مبرر وجودها، وهو معنى التأكد أو التعصب أو التركيز، وما إلى ذلك من المعاني المقدرة في ذهن المتلقي"[3].

---

[1] ظاهرة التكرار في القرآن الكريم: أغراض وأسرار، ص73.

[2] الحجاج في القرآن الكريم، ص48.

[3] تحليل الخطاب الشعري، نور الدين **(السد)**، مجلة اللغة والأدب، ع8، الجزائر: 1996م، ص108.

ب-3/ التكرار الحقلي: نعبر بمصطلح التكرار الحقلي هنا، عن تكرار ألفاظ الحقل الدلالي، أو تكرار استعمال حقل دلالي في القرآن الكريم باعتباره نصا واحدا، أو بين السور باعتبارها مستقلة بحيثيات (خصائص) معينة؛ كالطول والقصر، وأسباب النزول، والترتيب في المصحف، أو الترتيب حسب النزول، وغيرها من الاعتبارات التي تؤخذ في البحث الدلالي.

إن ما يلحظ في النص القرآني بروز بعض الحقول، وفي الحقل الواحد يغلب لفظ أو مجموعة من الألفاظ على بقية ألفاظ الحقل الأخرى، وتختلف نسبة التكرار بالنسبة للحقل وألفاظه، إما باعتبار السور أو باعتبار النص ككل، ومن هنا وجب البحث عن ملمح تشكيل حقل دلالي في النص القرآني من خلال ظاهرة التكرار اللفظي(المعجمي).

ولما كان للتكرار أثرا بارزا في المستويات اللسانية، فقد انتبه الباحثون إلى أن "التحليل الألسني يعطي أهمية قصوى للفظ المكرر في النصوص، ويسمى تلك الألفاظ (الكلمات المفاتيح)، وهي تخص الكلمات التي يصل معدل تكرارها في العمل الأدبي إلى نسبة أعلى مما هي عليه في اللغة العادية؛ أي أنها تتمتع بمعدل تكراري لدى الكاتب تفوق نسبتها لدى غيره من معاصريه، فتصبح تلك الكلمات ذات طابع شخصي يميز صاحب النص"[1].

كنا فيما سبق قد قلنا بأن مما يعول عليه في معرفة الألفاظ الأساسية وغير الأساسية -أثناء بناء حقل دلالي- هو معرفة نسب تواترها(تكرارها)، أما مصطلح (الكلمات المفاتيح) الذي يشترك دلاليا مع مصطلح (الألفاظ الأساسية) فهو مرتبط بمصطلح (التبئير الدلالي) الذي سنتناوله في المبحث الثاني من هذا الفصل، أما في هذا البحث فنهدف إلى محاولة

---

[1] ظاهرة التكرار في القرآن الكريم: أغراض وأسرار، ص69.

تجلية ملامح التكرار في النص القرآني من خلال القيام بعملية إحصائية لبعض ألفاظ الحقل النموذجي؛ حقل ألفاظ الرؤية، وفهم بعض أسرار تلك التكرارات.

ب-4/ الانسجام في التكرار الحقلي:

نعيد فنذكر بأننا نفرق بين نوعين من التكرار؛ تكرار أسلوبي(موضعي)، وتكرار حقلي (موقعي)؛ فأما الأول فيتعلق بالميزة الأسلوبية لتكرار لفظ بعينه في مواضع تركيبية متعددة، وأما الثاني فهو تكرار لفظ في مواقع نصية قد لا يكون بينها رابط أسلوبي متعلق بالتكرار في حد ذاته من غير التذكير والتوكيد، كتكرار ألفاظ الأعلام في كثير من السور القرآنية، وهذا ما يمكن الاصطلاح عليه بمصطلح التواتر، وهو مصطلح عام لتكرار الشيء ولو لم يكن في تكراره خصائص مميزة مدركة.

إن تكرار(تواتر) لفظة أو مجموعة من الألفاظ الخاصة بحقل ما في الخطاب القرآني يسهم في انسجامه العام، وهذا الانسجام لا يمكن أخذ تصور بشأنه إلا بعد ملاحظة دقيقة لخريطة التكرارات(التواترات) في النص القرآني ككل.

ب-5/ تكرار أسماء الأنبياء في القرآن الكريم: من الأمثلة الواضحة عن الحقول الدلالية التي تتسم فيها الألفاظ بسمة التبئير الدلالي من خلال التكرار؛ حقل أسماء الأنبياء[1]، وهو حقل يندرج ضمن حقل الأعلام، والجدول الآتي يبين عدد تكرارات كل اسم في النص القرآني:

---

[1] ينظر: الأعلام في القرآن الكريم، الطالب: أحمد مصلح حسين دريدي، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، إشراف: أ.د/ يحي جبر، 2000م.

	الأسماء	عدد التكرارات	
1	موسى	136	
2	إبراهيم	69	
3	يعقوب	16	59
	إسرائيل	43	
4	نوح	43	
5	عيسى	25	36
	المسيح	11	
6	يوسف	27	
7	لوط	27	
8	آدم	25	
9	هارون	19	
10	سليمان	17	
11	إسحاق	17	
13	إسماعيل	12	
14	المسيح	11	
15	شعيب	11	
16	داود	10	
17	هود	10	
18	صالح	9	
19	يحي	8	
20	زكريا	7	
21	الأسباط	4	
22	أيوب	4	
23	يونس	4	
24	لقمان	2	

25	إلياس	2
26	إدريس	2
27	اليسع	2
28	ذو الكفل	2

سيلفت انتباه القارئ للقرآن الكريم أن نسبة التكرار العالية لاسم النبي موسى (عليه السلام) وذلك راجع لكون النص القرآني قد كرر الحديث عن قصة سيدنا موسى وقومه في كثير من السور، وللحاجة بين الفينة والأخرى عرض وبناء المفاهيم القرآنية.

ونرى من جهة الناحية التواصلية المباشرة في النص القرآني، "أن موسى(عليه السلام) يحتل في القرآن مكانة غير اعتيادية، إذ يبدو أنه من بين كل الرسل الذين عرفوا بهذه الصفة في القرآن، قد سمح له بأن يتمتع بامتياز خاص بهذا الشأن، فقد كلم الله موسى مباشرة، وعلى نحو استثنائي تمام"[1].

وفي الجدول الآتي سنقوم بإحصاء عام لتكرار لفظ الرؤية(رأى)، الذي يعتبر لفظا أساسيا في حقل ألفاظ الرؤية، ويشكل نسبة تكرار كبيرة في النص القرآني، مع التعرض لأهم الدلالات التي دعت لتكرار تلك الألفاظ.

[1] بين الله والإنسان في القرآن، ص255.

ب-5/ تكرار صيغ مادة(رأى) في القرآن الكريم:

الرقم	السورة	رأى رءا رأت	رأيتَ رأيتُم رأيتُ رأينَ	رأوا	ترى تَرى تُري ترون	نرى نُري	يرى يُرى يراكم يرون/يروا يره	أرأيتم أرأيت	ألم تر ألم تروا ألم يروا	أفلم يروا	أولم أولا أفلا	أرى أري أرينا	أرنا أرني أرونـي	رأي	تراءى تراءت	الرؤيا رؤيا	أراكم أراه	يريكم يريهم يُري
2	البقرة			1		2	2		3				2					2
3	آل عمران		1				1		1					1			1	
4	النساء		1						5				1				1	
5	المائدة				4													1
6	الأنعام	3	1		3	2	1	3	1			1					1	
7	الأعراف			1	4	2	3		1			1	1					1
8	الأنفال				2							1			1		1	2
9	التوبة				2		2				1							
10	يونس			1		1	2	2										
11	هود	1				4		3				1		1			2	
12	يوسف	2	3	1	1	3						3				4		
13	الرعد				1	1					1							1
14	إبراهيم				1				3									

16	النحل	2			1			1		2							
17	الإسراء					1			1	1							
18	الكهف	1			4			1									
19	مريم			1	2			1									
20	طه	1	1		1	1				1	2						
21	الأنبياء	1								1	1						
22	الحج				3			3									
23	المؤمنون				1	1											
24	النور				1			2									
25	الفرقان	1		1		1	3	1	1			1					
26	الشعراء						1	2	1	1			1				
27	النمل	3			1			1			1						1
28	القصص	1		1		1		2									
29	العنكبوت									2							
30	الروم			1	1					1							1
31	لقمان				1			3				1					1
32	السجدة				1					1							
33	الأحزاب	1	1		1												
34	سبأ			1	2		1		1			1					
35	فاطر	1			1			1	1			1					
36	يس							1		1							

37	الصافات	1		1	1								1			1	
38	ص				1												
39	الزمر			3	1				1	1							
40	غافر			2	1				1			2					2
41	فصلت				1					1			1				
42	الشورى			1	3												
43	الزخرف				2												
45	الجاثية				1					1							
46	الأحقاف			1						2	2		1			1	
47	محمد		1									1					
48	الفتح				1								1				
52	الطور										1						
53	النجم	3								2	3						
54	القمر										1						
56	الواقعة									4							
57	الحديد				1	1											
58	المجادلة								3								
59	الحشر		1						1								
62	الجمعة			1													
63	المنافقون		2														
67	الملك			1	2					2			1				

68	القلم			1													
69	الحاقة				2												
70	المعارج					1	1										
71	نوح							1									
72	الجن			1													
76	الإنسان		3			1											
79	النازعات					2										1	
81	التكوير	1															
83	المطففين			1													
89	الفجر							1									
90	البلد					1											
96	العلق	1				1	3										
99	الزلزلة					3											
102	التكاثر				1												
105	الفيل							1									
107	الماعون						1										
108	الكوثر				1												
110	النصر		1														

من خلال الجدول الإحصائي نلاحظ أن نسبة تكرارات مادة (رأى) في النصف الأول من القرآن الكريم، أقل منها في النصف الثاني، كما أننا نجد تلك التكرارات قد تركزت في (15)خمسة عشر سورة من بين سبعة عشر(17) في النصف الأول(عدا سورتي الفاتحة والحجر)، وفي(58) ثمان وخمسين سورة من بين سبع وتسعين(97) سورة في النصف الثاني، أي أن ثلثي سور القرآن الكريم قد ذكرت فيهما صيغة من صيغ لفظ الرؤية (رأى)، وهذا دليل على القيمة الاستعمالية العالية لهذا اللفظ مقارنة بالألفاظ الأخرى من حقلها الدلالي كما سنرى لاحقا.

	عدد التكرارات
النصف الأول	**126**
النصف الثاني	**195**
المجموع	**321**

ب-6-1/ دلالات تكرار مادة رأى في القرآن الكريم:

لا شك في أن النص القرآني يهدف إلى بيان قضية أساسية رئيسية هي توحيد الله تعالى وإثبات ألوهيته وربوبيته، وهذا الهدف الكريم يستعمل لتحقيقه كل الأساليب اللغوية والبيانية، ويدخل تحت الموضوع الرئيسي المراد تحقيقه مواضيع لا حصر لها، متشعبة ومتشابكة ومتداخلة، لا يمكن الحديث عن إحداها بمعزل عن الأخرى، وذلك التشعب يفرض تكرار المواضيع وبالتالي تكرار الألفاظ، وهذه هي طبيعة هذا الكتاب المعجز، "لأنه كتاب ذكر، وكتاب دعاء، وكتاب دعوة، يكون تكراره أحسن وأبلغ، بل ألزم، وليس كما ظنه القاصرون؛

إذ الذكر يكرر، والدعاء يردد، والدعوة تؤكد، إذ في تكرير الذكر تنوير، وفي ترديد الدعاء تقرير، وفي تكرار الدعوة تأكيد"[1].

واستعمال مادة (رأى) في مواطن كثيرة من القرآن، جاء للحاجة إليه في تبيان مقاصده، فالنص القرآني يلح على الإنسان على أن يستعمل الجوارح التي تعينه على (الرؤية) الكلية لهذه الرسالة، ليخرجه من الظلمات(العمى وعدم وضوح الرؤية) إلى النور الذي هو شرط من شروط الرؤية؛ رؤية حسية للخلق تعين على استجلاء عظمة الخالق وتدبيره لحركتهم، ورؤية قلبية لجواهر القضايا الإيمانية، ورؤية منامية تستجلي الغيبيات بتقدير العزيز الحكيم.

إن مشتقات مادة(رأى) في القرآن الكريم كثيرة، يمكن إجمال دلالاتها في جانبين رئيسيين؛ الجانب الحسي الفيزيولوجي، والجانب المعنوي؛ فالجانب الحسي الفيزيولوجي هو النظر بجارحة العين، والمعنوي هو النظر العقلي والقلبي، وهذا ما يتفق عليه المعجميون القدامى، كابن منظور الذي عرف الرؤية وعرض مشتقات مادة(رأى) بقوله: "الرُؤْيَةُ: النَّظَرُ بالعَيْنِ وبالقَلْبِ"[2].

وبخصوص الرؤية الحسية والرؤية العقلية، فقد فرق علماء العربية بينها بالتعدية؛ فقالوا بتعدي الرؤية بالعين إلى مفعول واحد[3]، وتعدي الرؤية بمعنى العلم والرَّأي والرَّوية إلى مفعولين؛ "فإذا عدي رأيت بـ(إلى) اقتضى معنى النظر المؤدي إلى الاعتبار نحو قوله

---

[1] رسائل النور2(المكتوبات)، ص267.

[2] القاموس المحيط، ص480، مادة(رأي)

[3] ينظر: لسان العرب، 291/14، مادة(رأي).

سبحانه﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ [الفرقان: من الآية45]، ونحو قوله﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ [النساء: من الآية105]؛ أي بما علمك"[1].

وقد بين الراغب الأصفهاني ذلك الفرق ببيان تلك الدلالات، فالرأي هو "اعتقاد النفس أحد النقيضين عن غلبة الظن؛ وعلى هذا قوله﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ﴾[آل عمران: من الآية13]، أي يظنونهم بحسب مقتضى مشاهدة العين مثليهم، تقول (فعل ذلك رأي عيني)، والروية والتروية: التفكر في الشيء والإمالة بين خواطر النفس في تحصيل الرأي"[2].

ويمكن للدلالتين؛ الرؤية الحسية والرؤية العلمية أن تجتمعا في آية واحدة عن طريق التخصيص؛ نحو في قوله تعالى﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة: من الآية55]، حيث أن" الذي يرى بالعين جاهرٌ بالرؤية، والذي يرى بالقلب مُخافِتٌ بها، وانتصابها على المصدر لأنها نوع من الرؤية"[3]، والظاهر في الآية الكريمة أن" كلمة (نرى) تطلق ويراد بها العلم، ولكن جاءت كلمة (جهرة) لتنفي العلم فقط، وتطالب بالرؤية مجهورة واضحة يدركونها بحواسهم، وهذا دليل على أنهم متمسكون بالمادية التي هي قوام حياتهم"[4].

كما اتفق المعجميون القدامى على سبب تخفيف همزة(رأى) في المضارع والمستقبل في قولنا: أَرَى ويَرَى ونرَى وتَرَى، وردوها إلى كثرة الاستعمال، فجعلوا الهمزةَ تُعاقِب؛ أي أنهم

---

[1] معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص139.

[2] المصدر نفسه، ص139.

[3] الكشاف، 141/1.

[4] تفسير الشعراوي، 346/1.

"جعلوا همزة المتكلم في (أَرَى) تُعاقِبُ الهمزةَ التي هي عين الفعل وهي همزةُ (أَرْأَى) حيث كانتا همزتين، وإن كانت الأُولى زائدةً والثانية أَصليةً، كأَنهم إنما فرُّوا من التقاء همزتين وإن كان بينهما حرف ساكن وهي الراء، ثم أَتْبعوها سائرَ حروفِ المضارعة فقالوا: يَرَى ونَرَى وتَرَى، كما قالوا أَرَى"[1]، نحو قوله تعالى ﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ... ﴾ [سبأ: من الآية6]، وقوله﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً ﴾ [البقرة: من الآية55]، وقوله﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا...﴾ [مريم: من الآية26]، وقوله﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ﴾ [المائدة: من الآية62]، وقوله﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴾ [النمل:20]، والأمثلة حول هذه الصيغ من كتاب الله كثيرة.

وعلى كل فإن فعل(رأى) "يحمل دلالة النظر والإبصار بالعين أو بالبصيرة، كما يحمل إلى جانبها معاني كثيرة منها الظن والاعتقاد والرؤية، والفعل (رأى) من الأفعال الجامعة للعديد من المعاني"[2]، التي يتفق علماء العربية على اجتماعها في الدلالة العامة وهي إدراك المرئي، وقد عدد كثير منهم مراتب هذا الإدراك في القرآن الكريم إلى[3]:

- **إدراك بالحاسة وما يجري مجراها:** نحو قوله تعالى﴿ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴾ [التكاثر:7]، وأما قوله﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التوبة: من الآية105]، فإنه مما أجري مجرى الرؤية الحاسة، والحاسة لا تصح على الله تعالى.

---

[1] لسان العرب، 292/14، مادة(رأي).

[2] الإعجاز البياني في القرآن الكريم، ص442.

[3] ينظر: معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص139.

- **إدراك بالعقل:** في قوله تعالى﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴾ [النجم:11]، وعلى ذلك حمل قوله﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴾ [النجم:13].

- **إدراك بالتفكر:** نحو قوله تعالى﴿فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ﴾ [الأنفال: من الآية48].

- **إدراك بالوهم والتخيل:** نحو (أرى أن زيدا منطلق)، ونحوه قوله تعالى﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾ [الأنفال:50].

ب-6-2/ دلالات بعض مشتقات مادة (رأى):

- **الإراءة:** نحو قوله تعالى﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ ﴾ [فصلت: من الآية53]، والإراءة قد تكون حسية بالجارحة، وقد تكون منامية نحو قوله تعالى﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ﴾ [الأنفال: من الآية43].

- **التَّرائي:** التَّرَائِي هو "تفاعُلٌ من الرؤية؛ يقال(تَراءَى القومُ) إذا رَأَى بعضُهُم بعضاً، و(تَراءى لي الشيءُ) أَي ظَهَر حتى رَأَيْته... والأَصل في تَراءَى تَتَراءَى، فحذف إحدى التاءين تخفيفاً، ويقال (تَراءَينا فلاناً)، أَي تَلاقَيْنا فَرَأَيْتُه ورَآني"[(1)]، كما في قوله تعالى﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴾ [الشعراء:61]، أي تقاربا وتقابلا حتى صار كل واحد منهما بحيث يتمكن من رؤية الآخر، ويتمكن الآخر من رؤيته"[(2)].

[(1)] لسان العرب، 296/14، مادة(رأي).

[(2)] معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص140.

- **الرياء:** عرَّف ابن منظور الرِّياء فقال: "وراءَيْت الرجلَ مُراآةً ورِياءً: أَرَيْته أَنِّي على خلاف ما أَنا عليه... وفلان مُراءٍ، وقومٌ مُراؤُونَ، والإسم: الرِّياءُ؛ يقال: فَعَلَ ذلك رِياءً وسُمْعَةً، وتقول من الرِّياء (يُسْتَرْأَى فلانٌ) كما تقول يُسْتَحْمَقُ ويُسْتَعْقَلُ. ويقال راءَى فلان الناسَ يُرائِيهِمْ مُراآةً، ورایاهم مُراياةً على القَلْب بمعنىً"[1].

وقد جاء في بيان مفهوم الرياء في تفسير قوله تعالى﴿ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ [النساء: من الآية142]، أن "المؤمن يرتاح عندما يؤدي الصلاة، أما المنافق فهي عملية شاقة بالنسبة إليه،... فهم يقيمون الصلاة ظاهريا أمام الناس، ليخدعوا المسلمين وليشاهدهم غيرهم وهم يصلون، وفي الصلاة التي يراؤون بها الناس لا يقولون كل المطلوب منهم لتمامها، يقولون فقط المطلوب قوله جهرا"[2].

- **الرؤيا:** وهي "ما يُرى في المنام"[3]، وقد روي عن بعض العرب تليينهم للهمزة فيقولون: رُويا، ومنهم من يحولها فيجعلها ياءً، ثمّ يكسر فيقول: (رأيت رِيّا حسنةً)[4]، و"ورأَى في منامه رُؤْيا على (فُعْلى) بلا تنوين، وجمعُ الرُّؤْيا (رُؤىً) بالتنوين مثل رُعىً"[5].

وقد تكرر لفظ (الرؤيا) في سبع مواضع من القرآن الكريم بصيغة المفرد، دلالة على التمييز والوضوح والصفاء، وكلها في الرؤية الصادقة، منها خمس مرات للأنبياء[6]، ومرتان

---

[1] لسان العرب، 296/14، مادة(رأي).

[2] تفسير الشعراوي، 2741/5.

[3] معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص140.

[4] ينظر: كتاب العين، 307/8، مادة(رأي)، باب (اللفيف من الراء).

[5] لسان العرب، 297/14، مادة(رأي).

[6] في [يوسف:5]، و[الإسراء:60]، و[الصافات:105]، و[الفتح:27].

لغيرهم[1]، كما دلت بعض مشتقات لفظ (رأى) على الرؤيا فوردت بصيغ (أرى) و(رأيت) و(أرينا) و(يُرِي)، نحو قوله تعالى﴿ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبۡعَ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖۖ﴾ [يوسف: من الآية43].

ورد في القرآن الكريم لفظ(الحُلم) للدلالة أيضا على معنى الرؤية المنامية؛ فقد جاء في القاموس المحيط: "الحُلْمُ، بالضم وبضمتينِ: الرُّؤْيا، جمع: أحْلامٌ، حَلَمَ في نَوْمِه واحْتَلَمَ وتَحَلَّمَ وانْحَلَمَ. وتَحَلَّمَ الحُلْمَ: اسْتَعْمَلَهُ. وَحَلَمَ به، وَحَلَمَ عنه: رَأى له رُؤْيا، أو رآهُ في النَّوْمِ"[2]، قال تعالى﴿قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَامٖۖ وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ﴾ [يوسف:44].

وورد لفظ(الحلم) مجموعا على (أحلام) في ثلاث مواضع من القرآن الكريم؛ في (يوسف:44)، وفي (الأنبياء:5)، وفي (الطور:32)، حيث يدل لفظ (الأحلام) في الآيتين الأولى والثانية على الرؤى المنامية المشتتة المشوشة، والهواجس المختلطة، وقد عبر عنها القرآن بلفظ (أضغاث)[3]، وأما الآية الثالثة فيدل اللفظ فيها على ذوي العقول[4].

- **الرِّئي:** وردت هذه الكلمة في قوله تعالى ﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هُمۡ أَحۡسَنُ أَثَٰثٗا وَرِءۡيٗا﴾ [مريم: 74]، وقد قرئ هذا اللفظ على أوجه عدة؛ منها: "رِءْياً: وهو المنظر والهيئة، فِعْل بمعنى مفعول، من رأيت، وريئا: على القلب كقولهم راء في رأى، و(ريا)، على قلب الهمزة ياء

---

[1] وهي رؤيا صاحب يوسف في السجن، ورؤيا الملك، في [يوسف:36]، و[يوسف:43].

[2] القاموس المحيط، ص316، مادة(حلم).

[3] قال الزمخشري: "أضْغاثُ أَحْلامٍ: تخاليطها وأباطيلها، وما يكون منها من حديث نفس أو وسوسة شيطان. وأصل الأضغاث: ما جمع من أخلاط النبات وحزم، الواحد: ضغث، فاستعيرت لذلك"، الكشاف، 474/2.

[4] ينظر: الكشاف، 413/4، والتحرير والتنوير، 64/27.

والإدغام"[1]، وكل هذه الأوجه تدل على الرؤية البصرية، إذ تجمع بين حسن مظهر الإنسان، وبين ما يلفته ذلك المظهر الحسن من رؤية الناس إليه، حتى صار مشهورا عندهم بأنه "أحسن مَرِئِيّاً، أي منظراً وهيئة"[2].

ج/ إسهام التكرار في التبئير الدلالي للكلمة القرآنية:

ج-1/تعريف التبئير الدلالي:

ج-1-1/ لغة: لفظ (البُؤْرَة) عربي فصيح، معناه: الحُفْرَة أو المركز، ومشتقاته: بأرَ، يبأرُ، بُؤرَةً ، وبَأَّرَ، تَبَأّر؛ وفي " بَأَرْتُ الشَّيء وابْتَأَرْتُه وائتبرته، لغات، أي: خَبَأْته. وفي الحديث: إنّ عبداً لَقيَ الله ولم يَبْتَئِرْ خيراً. وبَأَرْتُ بُؤْرَةً، أي: حفيرةً فأنا أَبْأَرُها بأراً، وهي حفيرةٌ صغيرةٌ للنّار تُوقَدُ فيها... والبَئّار أيضاً: حافر البئر" [3].

ج-1-2/ اصطلاحا: المقصود بالتبئير(Focalisation) هو أن تجعل عنصرا من عناصر كلامك بؤرةً في الكلام (Focus)، وقد استُعمل هذا المصطلَح (البؤرة أو التبئير) بادئ الأمر في اللسانيات التّداوليّة، ثم انتقل إلى ميدان الرواية والنقد الروائي.

وقد كان أحمد المتوكّل أول من ترجم مصطلح (البؤرةُ) ترجمةٌ عربيّة، ثمّ لقي هذا المصطلح قبولا لدى الدارسين اللسانيين، فشاعَ بينهم وانتشرَ.

ومصطَلَح التبئير يعنِي- لدى النقاد الروائين- زاويةَ الرؤية أو وجهَةَ نظرِ المُلاحِظ في روايَةِ القصّة، هذه الرؤية التي تتسم حسب **جيرار جونيت** (Gérard Genette) بدرجات من

---

[1] ينظر: الكشاف، 37/3.

[2] التحرير والتنوير، 154/16.

[3] كتاب العين، مادة(بأر)، باب (الراء والباء و ايء معهما).

التجريد التي تتجنب بصورة خاصة التضمين المرئي لوجهة النظر، وقد استعمل الناقدان **كلينث بروكس**(Cleanth Brooks)**(1994/1906)**، **وروبرت وارين**(Robert Penn Warren) **(1989/1905)** مصطلح بؤرَة السّرد كمفهوم إجرائي لتحليل البنية السّردية للروايَة.

إننا في هذا البحث سوف نستعير هذا المصطلح لنستعمله بشكله اللساني الذي يرى في المفردة المعجمية حمولة قيمية معنوية، تؤهلها لأن تكون بؤرة التركيز والثقل في حقلها، ويمكن وصف الكلمة البؤرة بوصف آخر هو الكلمة الأساسية أو الكلمة الشاهدة.

إن المفردة البؤرة تكتسب ميزة التبئير من ذلك التزاحم الذي ينشأ بينها وبين مفردات حقلها المعجمي، حيث تسعى كل مفردة إلى ضمان مكان مميز في الخطاب الملفوظ، تستأثر به، وتقصي من خلاله صويحباتها عنه، وكما رأينا في المبحث الأول فإن التكرار من الأساليب المسهمة في إضفاء سمة التبئير على المفردة، حيث تزاحم المفردة بقية الكلمات بكثرة التكرار(التواتر) في الخطاب، لاحتياجه لها، للقيام بوظائف بلاغية ودلالية مختلفة، مما يجعلها ظاهرة بقوة، مشكلة بذلك بؤرة دلالية مميزة فيه.

ج-2/ خصائص المفردة-البؤرة:

لم يفت العلماءَ المسلمين القدامى الاهتمامُ بوظائف الكلمة المفردة، والتأكيد على دور التركيب في ذلك، فقد كانت أغلب بحوثهم البلاغية تدور في مستواهما (المفردة والتركيب)، ولا أدل على ذلك الاهتمام من المعارك التي دارت بين النقاد والبلاغيين بشأن اللفظ والمعنى، حيث تجلت بوضوح من خلال آراء **الجاحظ** و**قدامة بن جعفر**(ت337 هـ)، و**أبي هلال العسكري**، و**ابن الأثير**(ت637 هـ)، و **التهانوي**، و**ابن سيده** (ت458 هـ).

إن أول من خاض معارك النقاش في قضايا اللفظ والمعنى المعتزلة والمتكلمون؛ حيث قالوا باستقلال اللفظ عن المعنى، وانتهت تلك النقاشات والمدارسات في عهد القاضي عبد الجبار بخضوعهم لفكرة الجمع بين اللفظ والمعنى؛ أي بين الدال والمدلول، وقد حدد عبد القاهر الجرجاني العلاقة بينهما وعللها بقوله: "... لأن اللغة تجري مجرى العلامات والسمات، ولا معنى للعلامة أو السمة حتى يحتمل الشيء ما جعلت العلامة دليلاً عليه"[1].

وقد أكد **ابن الأثير**(544هـ-606هـ) في مقدمة حديثه عن البلاغة، على دور الكلمة في الأغراض البلاغية، وعلى أهمية الكلمة في الصناعة اللفظية التي يحتاجها الخطباء والشعراء، حيث يرى أن صاحب هذه الصنعة يحتاج إلى ثلاثة أشياء؛ أما الأولى فهي اختيار الألفاظ المفردة كما تتخير اللآلئ المبددة قبل النظم، وأما الثانية فهي اختيار الموضع الملائم لها مع أخواتها في النظم كما يتشكل العقد المنظوم، وأما الثالثة فهي تعيين الأغراض المقصودة من الكلام كما تعين مواضع العقد التي تجلب حسن الهيئة، وهذه الأشياء الثلاثة هي التي يراد بها مصطلح البلاغة [2].

إن الغرض من الكلام المنظوم، شعرا كان أم نثرا، في رأي ابن الأثير، متعلق في المقام الأول بوظيفة اللفظة اللغوية التي ينتقيها صاحب الصنعة اللفظية؛ حيث تكون النواة الأساسية المستخدمة في التأثير والإقناع، خصوصا إذ تنوعت أساليب التلقي والتأويل لدى جمهور المتلقين للخطاب.

---

[1] أسرار البلاغة، ص266.

[2] ينظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين (ابن الاثير)، تق وتع: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دط، دار نهضة مصر، القاهرة– مصر: دت، ص163.

في هذا الإطار يمكننا النظر إلى الأهمية التي تكتسيها المفردة في الخطاب من زاويتين؛ الأولى متعلقة بالوظائف الفردية في إطار الموضع الدلالي الذي احتلته من الخطاب، كوظيفة الحجاج مثلا، والثانية متعلقة بتصدر المشهد في الحقل الدلالي الذي تنتمي إليه، كسمة التبئير الدلالي التي تسهم في تسليط الضوء على معاني دلالية محددة متعلقة بالمعنى العام للحقل الدلالي، وجعلها بؤرة(مركز) الخطاب، ومن أمثلة المفردات ذات التبئير الشديد في القرآن الكريم مفردات(الله) و(الإنسان) و(الإيمان) و(الكفر) و(الحق) و(الباطل)، وغيرها.

ولابد أن تتوفر في المفردة خصائص رئيسية حتى تتسم بسمة التبئير، فليست كل الألفاظ في الخطاب ذات طبيعة تبئيرية، ومن ثم ليس لكل مفردات الحقل اللغوي سمة التبئير، حيث يسهم الأسلوب والسياق اللغوي بقسط وافر في تشكيل تلك السمة.

إن سمة التبئير قد تنتج أحيانا من كون المفردة ذات وظيفة حجاجية؛ فالمفردة- البؤرة حين تستمد تلك الخصائص من طبيعتها اللغوية ومن تداولها في الخطاب" تجعلها مؤهلة لتكون ذات صبغة حجاجية... وإنَّ لها في الخطاب بناء على تلك الخصائص حركة تقصي فيها غيرها، وتعوضه، وتحل محله، ليكون الخطاب أوغل في الحجاج، وأذهب في الإقناع"[1].

ج-2-1/ الخصائص الاقتضائية (اللغوية): يتفق الأصوليون والمناطقة والنحاة واللسانيون المحدثون على أن المقتضى(Présupposé) من (ضرورة اللفظ)[2]، حيث أنه" المضمون الذي تبلغه الجملة بكيفية غير صريحة"[3]، وقد ساق الشريف الجرجاني مثالا لذلك في

---

[1] الحجاج في القرآن، ص74.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص88.

[3] التداولية اليوم؛ علم جديد في التواصل، آن(**روبول**) وجاك موشلار، تر: سيف الدين دغفوس و محمد الشيباني، ط1، دار الطليعة، بيروت- لبنان: 2003م، ص47.

تفسير قوله تعالى في كثير من الآيات﴿تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾فقال: "... وهو مقتضٍ شرعا لكونها مملوكة؛ إذ لا عتق فيما لا يملكه ابن آدم، فيزاد عليه ليكون تقدير الكلام: فتحرير رقبة مملوكة"[1]، وهذه الإشارة إلى حصول المقتضى بين مستويين في الخطاب، عبر عنها عبد القاهر الجرجاني بمصطلحي (المعنى) و(معنى المعنى)، إذ" تعني بالمعنى المفهومَ من ظاهر اللفظ، والذي تصل إليه بغير واسطة، وبمعنى المعنى أن تعقل من اللفظ معنىً، ثم يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر" [2].

إن إدراك العلماء المسلمين القدامى لثنائية (وضوح/ غموض) "كان دعما قويا لحصر المجال الإدراكي للحدث الدلالي في كل مستوياته الظاهرة والباطنة، وهو الأمر الذي أدى إلى آليات كافية لتغطية جميع أنماط التلقي، سواء أكان ذلك بالوقوف على الظاهر بآلية التفسير، أم بالوقوف على الخفي بآلية التأويل"[3]، وذلك من خلال الدراسات التي شملت المستويين الرئيسيين؛ مستوى اللفظ المفرد، و مستوى الجملة.

وقد أشار الكثير من الدارسين الغربيين المعاصرين إلى المستويين الصريح والضمني في الخطاب، حيث قدم **غرايس**(H.P.Grice)(1975) نظريته المحادثية، التي تدور حول قواعد التواصل الكلامي، الخاضع لمبدأين؛ الأول عامٌّ هو مبدأ التعاون[4]، والثاني هو المُسَلَّماتٍ

---

[1] التعريفات، ص238.

[2] دلائل الإعجاز، ص263.

[3] "الدلالة بين ضرورة النص وإمكان التأويل؛ مقاربة لسانية لآليات القراءة وثقافة المقروء في التراث العربي"، أحمد **(حساني)**، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، العدد3، السنة2، جوان2006م، ص110.

[4] ينظر: التداولية اليوم، ص55-56.

الحوارية(الاستلزام الخطابي)[1] ؛ حيث إن المقتضى يظهر جليا في التفاعل القولي بين الأطراف المشاركة في المحادثة[2].

ولتوضيح طبيعة تلك المعاني، نأخذ مثالا من القرآن الكريم، وهو قوله تعالى﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ﴾ [الحاقة: الآية8]، حيث يتشكل المعنى الصريح للآية من ضم محتواها القضوي، إلى قوتها الإنجازية(التساؤل عن إمكانية وجود باقية لعاد وثمود)[3]؛ فالأول متعلق بالدلالة، وهو مجموع دلالات عناصرها(وجود باقية لعاد وثمود)، والثاني حرفي تؤشر عليه أداة الاستفهام(هل).

أما المعنى الضمني للآية فيتألف من معنيين جزئيين؛ أولهما عرفي وهو الاقتضاء، أي اقتضاء وجود باقية لعاد وثمود، وأما الثاني فهو تخاطبي استلزامي، وهو تقرير أن ليس لعاد وثمود باقية بسبب إهلاكم، ودليل ذلك قوله تعالى﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهۡلَكَ عَادًا ٱلۡأُولَىٰ * وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبۡقَىٰ﴾ [النجم: الآيتان50-51].

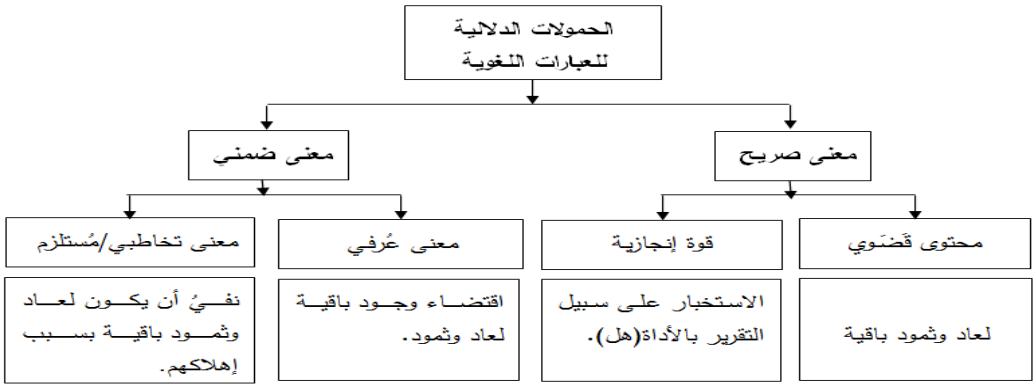

---

[1] ينظر: التداولية اليوم، 56-57.

[2] الحجاج في القرآن، ص88.

[3] ننبه إلى أن الاستفهام محال على الله تعالى، وإنما ذاك استخبار على معنى التقرير. ينظر: التداولية عند العلماء العرب: دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، مسعود(**صحراوي**)، ط1، دار التنوير، الجزائر: 2008م، ص204.

بعد أن بينا مفهوم الاقتضاء في مستوى الجملة، نأتي الآن إلى بيان وجود مقتضى دلالي للكلمة– وهو ما يهمنا في هذا المبحث– حيث أشار الأستاذ صولة إلى هذه القضية، قائلا بإمكانية نشوء المقتضى من الدلالة المعجمية التي للكلمة (المفردة)، فنبه بذلك إلى وجود كلمات لها في ذاتها مقتضى، حتى إذا ما أقحمت في تراكيب كانت هي المسؤولة عن ظهور المقتضى فيها(أي في التراكيب) انطلاقا من معناها المعجمي[1].

إن من نتائج تأملات العلماء المسلمين القدامى لطبيعة العلامة اللسانية، إدراكهم إن حصول الدلالة يكون بسبيلين اثنين؛ "أحدهما سبيل المنطوق، والآخر سبيل المفهوم"[2]، ولذلك قالوا بثنائية أخرى متعلقة بمقتضى اللفظ، وهي ثنائية(منطوق / مفهوم)، ولذلك نجد عبد القاهر الجرجاني يفرق بين ضربين من الكلام؛ "ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، وذلك إذا قصدت أن تخبر عن(زيد) مثلا بالخروج على الحقيقة، فقلت: خرج زيد... وعلى هذا القياس، وضرب آخر أنت لاتصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، ولكن يدلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة، ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض"[3]، فهناك الدلالات الداخلية المستنتجة من المنطوق، وهناك الدلالات الخارجية التي" تُدرك بمعزل عن دلالة المنطوق؛ فهي حكم عقلي يصل إلى الذهن بإعمال الفكر في الإحالات القائمة على العلاقات التلازمية التي تحدد المقصود من خطاب معين"[4].

---

[1] ينظر: الحجاج في القرآن: ص88.

[2] "الدلالة بين ضرورة النص وإمكان التأويل"، ص111.

[3] دلائل الإعجاز، ص262.

[4] "الدلالة بين ضرورة النص وإمكان التأويل"، ص113–114.

وتكاد ثنائية (منطوق/ مفهوم) عند الأصوليين "تكون موافقة لثنائية (دلالة تصريحية/ دلالة حافة) عند اللسانيين، ووجه القرابة بينهما أن المنطوق والدلالة التصريحية (أي الدال والمدلول) يتخذان مادتهما من اللغة، في حين أن المفهوم والدلالة الحافة ليسا من اللغة"[1].

ومن الدلالات القوية على غنى القرآن الكريم بثنائية (منطوق/مفهوم) في المستويين اللفظي والتركيبي، هو تفريق العلماء بين مفهومي التفسير والتأويل؛ إذ يكون التفسيرُ "لبيان المقصود من انتظام العلامات اللسانية في سياق معين... وأما التأويل فهو إجراء آخر يسترفده المتلقي عندما يعسر عليه الإمساك بالغرض من الخطاب"[2].

وما ينبغي التنبيه عليه أثناء دراسة المقتضى الذي للكلمة القرآنية، هو أن معاني الكلمات ليست كلها ذات مقتضى معجمي، ولذلك يجب تدبر معناها، بغض الطرف عن المعاني العقدية الملابسة لها، إذ أن محتوى المقتضى المعجمي يقبع تحت المحتوى الملفوظ المنطوق، كما أن من شأن المقتضى المعجمي أن يَسِمَ الملفوظ الذي حمله بميسم دلالي وحجاجي خاص[3].

ومن الأمثلة البارزة على ثنائية(مفهوم/ منطوق) نورد الآن مثالا للفظ من حقل ألفاظ الرؤية، وهو لفظ(الأكمه) في قوله تعالى﴿ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ ﴾ [آل عمران: من الآية49]، وفي قوله﴿ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ﴾ [المائدة: من الآية110]، فلقد كان إبراء الأكمه أحد معجزات سيدنا عيسى (عليه السلام)، والكمه من جنس من العمى، فلم استعمل لفظ (الكمه) ولم يستعمل لفظ (العمى)؟

---

[1] الحجاج في القرآن، ص264.

[2] "الدلالة بين ضرورة النص وإمكان التأويل"، ص117.

[3] الحجاج في القرآن، ص89-90.

لقد اختلف اللغويون في دلالة لفظ (الكمه)؛ هل يكون خِلْقةً أم حادِثاً بعد بَصَرٍ؟، ولكن أكثرهم ذهب إلى أنه يكون خلقة، وذلك ما يدل عليه سياق الآية، ففيها بيان على معجزة من معجزات سيدنا عيسى(عليه السلام)، التي يراد منها أن الكمه من جنس العمى الذي يعجز البشر عن مداواته، فتكون دلالة الكمه – والله أعلم– أقرب إلى العمى الحادث خِلقة، لأنه لو كان حادثا بعد بصر لكان له مسبب، ولو كان كذلك لكانت للبشر قدرة على مداواته بالاستعانة بالوسائل العلمية، وقد تواترت الأخبار ببراعة قوم سيدنا عيسى(عليه السلام) في الطب، فجاءت هذه المعجزة موافقة لسنن معجزات الأنبياء، تحديا لأقوامهم في جنس ما برعوا فيه.

إن الدلالة المعجمية لـ(الكمه) في الآيتين هي العمى الذي يولد به الإنسان، وبما أن لفظ (الأكمه) يحمل سمات دلالية إضافية عن لفظ(الأعمى)، يمكننا استخلاص المقتضى المعجمي وهو: إن هذا النوع من العمى يستحيل البرء منه لحدوثه خلقة، وهذا ما أشار إليه أغلب المفسرين، بقولهم أن إبراء الأكمه معجزة تحدى بها سيدنا عيسى(عليه السلام) قومه البارعين في صنعة الطب، وهي بذلك دليل على صدق نبوته.

من خلال المثال السابق نرى أن في اللغة كلمات تحمل في ذاتها مقتضى معجميا، من غير أن يزودها به السياق الذي تستخدم فيه، بل الأمر على العكس من ذلك فهي التي تجعل للسياق وقعا معنويا متميزا [1]، وعلى اعتبار اللغة التي نستعملها في حياتنا اليومية ذات وظيفة حجاجية في جميع مستوياتها، سواء في النصوص، أو التراكيب، أو الجمل، أو

[1] ينظر: الحجاج في القرآن، ص71.

حتى الكلمة المفردة[1]، فإن المقتضى يعتبر وسيلة حجاجية فعالة نقدم من خلالها المعلومات التي نريد فرضها على المخاطَبين، سواء أكان ذلك المقتضى نابعا من الوحدة المعجمية نفسها أو من التركيب[2]، وهو بذلك يسم الكلمة بميسم التبئير، حيث يجعلها بؤرة الخطاب، ومركز الثقل الدلالي فيه.

من الأمثلة كذلك على الكلمة- البؤرة ذات الوظيفة الحجاجية، كلمتا (رب) و(الله) في الحوار الذي دار بين سيدنا إبراهيم عليه السلام والنمرود في الآية(258) من سورة البقرة، حيث بدأ سيدنا إبراهيم عليه السلام المرحلة الأولى من حوار المحاججة للدلالة على عجز الناس عن خلق الحياة وإعادة البعث[3] -والخلق من صفات الربوبية- باستعمال كلمة(رب)؛ حيث قال﴿ رَبِّيَ ٱلَّذِى يُحۡىِۦ وَيُمِيتُ﴾، أما في المرحلة الثانية فقد استعمل كلمة(الله) حين قال﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِى بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ﴾ ليجري مع النمرود المدعي للألوهية على عادة المتعاندين في تقابل الأفعال(إذا كنت إلها كما تدعي فهات ما يوافق طبعك في معاندة الله الإله الواحد، المستحق للعبادة) إن الله يأت بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب؟

ومن جهة حجاجية أخرى فإن سيدنا إبراهيم عليه السلام "لما وصف ربه تعالى بما هو صفة له من الإحياء والإماتة- لكنه أمر له حقيقة ومجاز- قصد إبراهيم عليه السلام إلى

---

[1] ينظر: "العبقرية الحجاجية في اللغة العربية، من خلال دراسة تداولية لسانية لسورة الإخلاص"، عز الدين **(الناجح)**، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، العدد6، السنة الثالثة، ديسمبر 2007م، ص175.

[2] ينظر: الحجاج في القرآن، ص89.

[3] ينظر: التحرير والتنوير، 33/3.

الحقيقة، وفزع نمرود إلى المجاز، وموَّه على قومه، فسلَّم له إبراهيم تسليم الجدل، وانتقل معه من المثال، وجاءه بأمر لا مجاز فيه"[1].

إن الانتقال من الاستدلال بالخلق والبعث، إلى الاستدلال بالتصرف في المخلوقات وتنظيم شؤونها- وإن كان للحوار هدفا واحدا- هو الذي يفسر انتقال سيدنا إبراهيم عليه السلام من استخدام كلمة (رب) إلى استخدام كلمة(الله)، وهما كلمتان ليستا مترادفتين كما هو معلوم، وهذه خاصية من خصائص النص القرآني، حيث أن" الخطاب إذ يعمد إلى اختيار كلمة دون أخرى مما يُرادفها أو يُظن أنه يُرادفها، إنما يرمي إلى مزيد من التأثير في ذهن المتلقين على أساس أن الكلمة المختارة أعلق بعالم خطابهم، وأمضى أثرا فيه بما لها من زوائد معنوية جاءتها من اللغة أو الاستعمال، أو منهما معا"[2].

ج-2-2/ الخصائص التداولية: إن الكلمة – بعد وضعها- تُلقى في حلبة الصراع اليومي، فإذا ما فرضت وجودها ضمن القاموس اللغوي بإثبات حضورها الحضاري، من خلال الاستعمال الدائم في مختلف مجالات الحياة، وحضورها التاريخي عبر الأجيال المتعاقبة، اكتسبت إذ ذاك صفتين؛ صفة البنية النحوية العامة الملائمة لاستعمالها، وصفة المخزون الدلالي المتأتي من الاستعمال المتواصل[3].

إذن فتداول لفظ ما أو تكراره- الذي يمر حتما بعملية التسييق- من المعايير الأساسية التي يحتكم إليها في معرفة المفردة- البؤرة أو المفردة البارزة أو الشاهدة [4]، و"يقوم أساسا

---

[1] تفسير القرطبي: 290/4.

[2] الحجاج في القرآن، ص73-74.

[3] ينظر: المرجع نفسه، ص72.

[4] الظاهرة الدلالية عند علماء العربية القدامى حتى نهاية القرن الرابع الهجري، صلاح الدين (زرال)، ص211.

على الإحصاء، ويسمى معيار(Battig) و(Montageue) ويقوم على تكليف عدد من الأشخاص بأن يكتبوا – في وقت زمني محدد– أكبر عدد من الكلمات الواقعة تحت صنف معين... وترتب المفردات حسب نسبة ترددها، فالمفردات الأكثر ترددا تكون أكثر بروزا"[1].

إن عملية (التسييق) عامل مسهم في تداول الكلمة، وفي التغيير الذي يلحق دلالتها القرآنية، فالقرآن أعاد إنتاج كثير من الدلالات الجديدة من خلال عملية التسييق حيث أدخل عليها التغييرات التي يقتضيها خطابه، ليس اضطرارا لنفاد المعجم اللغوي، بل لبعث الحيوية في استعمال الألفاظ(العربية والمعربة)، ولذلك فموقع الكلمة من اللغة من جهة، وموقعها من التداول من جهة أخرى لهما تأثير في وظيفتها الدلالية، إلى جانب توخي معاني النحو في ترتيب نفوس الكلم، ومراعاة المعنى المعجمي والسياق بأنواعه.

ج–3/ التبئير الدلالي لثنائية(أعمى/بصير) في القرآن الكريم:

يعد لفظ (العَمَى) ومشتقاته من أكثر ألفاظ حقل الرؤية بروزا في القرآن، لأنه يسهم في بيان جوهر الرسالة الربانية الفاصلة بين العمى والإبصار بوجهيهما الحسي والمعنوي؛ تعطُّلُ جارحة الرؤية عن النظر الحسي، وتعطل القلب عن النظر العقلي.

وأصل دلالة لفظ(العمى) من السِّتر والتغطية[2]؛ يقال: "السحاب العماء، لأنه يستر السماء، وعمي الرجل كأنه سترت عنه المرئيات"[3]، ومنه كان اتفاق اللغويين على تعريف

---

[1] علم الدلالة، أحمد مختار عمر، ص107.

[2] ينظر: تصحيح الوجوه والنظائر، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سعيد(**العسكري**)، تح وتع: محمد عثمان معلق، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة– مصر:2007م، ص338.

[3] المصدر نفسه، ص338.

لفظ (العمى) بأنه ذهاب البصر، أو هو ذهابه كله[1]، وذهب بعضهم إلى أن نعت (العمى) لا يقع على عين واحدة، لأنه ذهاب البصر من العينين كلتيهما[2].

وقد انسحبت دلالة عمى العين على القلب، وفُرِّقَ بينهما بالنعت؛ فيقال: "(قَومٌ عَمُون) من عَمَى القَلْب، وفي هذا الصدد يُقال (ما أعماه)، ولا يُقال من عَمَى البَصر(ما أعماه) لأنّه نَعْتٌ ظاهرٌ تُدركُه الأبصارُ"[3].

ولهذا اللفظ اشتقاقات كثيرة، منها "عَمِي، كَرَضِيَ، وعَمَى: ذهبَ بَصَرُهُ كُلُّهُ، فهو أعْمَى وعَمٍ، وهم عُمْيٍ وعُمْيانٍ وعُماةٍ، كأَنَّهُ جَمْعُ عامٍ، وهي عَمْياءُ وعَمِيَةٌ وعَمْيَةٌ، وعَمَّاهُ تَعْمِيَةً: صَيَّرَهُ أعْمَى"[4]، ولا يبنى هذا اللفظ على وزن (افعالَّ) "لأَنه ليس بمَحسوسٍ وإنما هو على المَثَل، و(افْعالَّ) إنما هو للمَحْسوس في اللَّوْنِ والعاهَةِ"[5].

وقد ورد لفظ (عمى) في القرآن الكريم مجموعا على (عُمْيٌ) نحو قوله تعالى﴿ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ﴾ [البقرة:18]، وعلى (عميان)؛ نحو قوله ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَمۡ يَخِرُّواْ عَلَيۡهَا صُمّٗا وَعُمۡيَانٗا ﴾ [الفرقان:73].

وأما تفسير قوله تعالى﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ﴾ [الإسراء:72]، ففيه وجهان، "أحدهما أنه من عمى القلب الذي يتولد من الضلالة وهو ما يقبل الزيادة

---

[1] ينظر: القاموس المحيط، ص914، مادة(عمي)

[2] ينظر: تهذيب اللغة، 155/3، مادة(عمى-يعمى)، باب(العين والميم).

[3] كتاب العين، 266/2، مادة(عمي)، باب (العين والميم و واي معهما).

[4] القاموس المحيط، ص914، مادة(عمي)

[5] لسان العرب، 96/15، مادة(عمي). وينظر: البرهان في علوم القرآن، 194/4.

والنقص لا من عمى البصر الذي يحجب المرئيات عنه، وقد صرح ببيان هذا المعنى قوله تعالى﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج:46]، وعلى هذا فالأول اسم فاعل والثاني أفعل تفضيل من فقد البصيرة، والثاني أنه من عمى العين؛ والمعنى: من كان في هذه أعمى من الكفار فإنه يحشر أعمى، فلا يكون أفعل تفضيل، ومنهم من حمل الأول على عمى القلب، والثاني على فقد البصيرة"[1].

إضافة إلى لفظ(العمى) المرتبطة في أغلب النص القرآني بفئات الضالين والمنافقين والكافرين، والدال على عدم الاهتداء إلى الحق والإيمان، نجد لفظ (بصير) ذو الدلالة العامة على الإدراك الجلي للأمور، وهو يشكل مع لفظ(العمى) بؤرة ثنائية، حيث نجد القرآن الكريم يذكر هذين الطرفين من الثنائية مقترنين؛ نحو قوله تعالى:

- ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: من الآية50].
- ﴿مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [هود:24].
- ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ﴾ [الرعد: من الآية16].
- ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ [فاطر:19].
- ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ [غافر: من الآية58].

يشكل لفظ (عمى) مع لفظ(بصير) بؤرة دلالية ثنائية، تسهم في البناء المفاهيمي للنص القرآني مع ثنائيات خطيرة أخرى: مثل ثنائيات(الكفر/الإيمان)، و(الظلم/ العدل)، و(الباطل/ الحق)، و(الشرك/ التوحيد)، و(الخيانة/ الأمانة)، و(الكذب/الصدق)...إلخ، وهي ثنائيات

[1] البرهان في علوم القرآن، 194/4.

تشكل الموازين العامة التي وردت في القرآن الكريم[1]، حيث تتداعى هذه الثنائيات إلى فكر الإنسان، كلما تناول النص القرآني بالتلاوة أو الدراسة. والجدول الآتي يبين توزع استخدام لفظ(عمى) ومشتقاته على النص القرآني، حيث سيتبين لنا أن تكرار اللفظ القرآني، من العوامل المسهمة في جعله ذا طبيعة تبئيرية، وسنتناول في مبحث آخر من هذا البحث تكرارات لفظ (بصير) في جدول منفرد.

[1] طالع: موازين القرآن، عز الدين(**بليق**)، ط1، دار الفتح للطباعة والنشر، بيروت– لبنان: 1983م.

ج-4/ تكرار لفظ (عمى) ومشتقاته:

رقم الربع	رقم السورة	السورة (مك/مد)	أعمى (فعل)	الأعمى/ أعمى	العُمي/ عُميّ عُميا/ عُميانا	عميَ عميت تعمى	عمين /عمون	عَمُوا	العمى عمىً	المجموع
الربع الأول	2	البقرة			2(عُميٌ) الآيتان(171/18)					2
	5	المائدة						2(71)		2
	6	الأنعام		1(الأعمى)الآية (50)		1(عميَ)الآية (104)				2
	7	الأعراف					1(عمين) الآية(64)			1
الربع الثاني	10	يونس			1(العُمي)الآية(43)					1
	11	هود		1(الأعمى)الآية (24)		1(عميت)الآية (28)				2
	13	الرعد		2(الأعمى/أعمى)الآيتان(19/16)						2
	17	الإسراء		2(أعمى) الآية(72)	1(عميا) الآية(97)					3
الربع الثالث	20	طه		2(أعمى)الآيتان(125/124)						2
	22	الحج				1(تعمى)الآية (46)				1
	24	النور		1(الأعمى)الآية(61)						1
	25	الفرقان			1(عميانا)الآية (73)					1

	27	النمل			1(العُمي)الآية (81)		1(عمون)الآية (66)			2
	28	القصص				1(عميت)الآية (66)				1
		الروم			1(العُمي)الآية (53)					1
	35	فاطر		1(الأعمى)الآية (19)						1
الربع الرابع	40	غافر		1(الأعمى)الآية (58)						1
	41	فصلت							2(العمى/عمىً) الآيتان(44/17)	2
	43	الزخرف		1(العُميَ)الآية(40)						1
	47	محمد	1(أعمى) (23)							1
	48	الفتح		1(الأعمى) الآية (17)						1
	80	عبس		1(الأعمى)الآية(2)						1
المجموع										32

من خلال الجدول الإحصائي نلاحظ أن نسب تكرار مادة (عمى) في الأجزاء الأربعة من القرآن متقاربة، رغم ورودها في اثنتين وعشرين(22) سورة فقط، أي خمس القرآن الكريم، وهذا يبين الاستعمال المتساوي لهذه المادة في مجمل النص القرآني، كما يبينه الجدول الآتي:

	عدد تكرارات مادة(عمى)
الربع الأول	**07**
الربع الثاني	**08**
الربع الثالث	**10**
الربع الرابع	**07**
المجموع	**32**

لقد ذكر القرآن الكريم لفظ(عمي) للدلالة على عمى البصر الذي تكون به الرؤية الحسية في كثير من المواضع، نحو قوله تعالى﴿أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ﴾ [عبس:2]، كما ذكر العمى القلبي الذي تفتقد به البصيرة، وذمه في مواضع كثيرة، نحو قوله تعالى﴿ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [البقرة:18]، وذلك منهج القرآن، فإنه "لم يعدَّ افتقاد البصر في جنب افتقاد البصيرة عمى حتى قال﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: من الآية46]، وعلى هذا قوله﴿ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَآءٍ عَن ذِكْرِى وَكَانُوا۟ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ [الكهف:101]، وقال﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ﴾ [النور: من الآية61]"[(1)].

ولهذا كان استخدام لفظ (عمى) في التنزيل الكريم استخداما مجازيا، يشار به إلى معاني الجهل والتيه عن الحق والضلال والكبر والكفر، وغيرها من المعاني المناقضة لمعاني

[(1)] معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص262-263.

الإيمان والهداية والعلم، نحو قوله تعالى﴿ مَثَلُ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ كَٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡأَصَمِّ وَٱلۡبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِۚ ﴾ [هود: من الآية24]، ونحو قوله أيضا﴿وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ﴾ [فاطر:19].

والقرآن الكريم يشير في كثير من الآيات إلى آثار عاهة العمى على الإنسان، إذ لا يطلق وصف العمى إلا لمن يُفْتَرَضُ فيه أنه يرى، وعدم رؤية الأمر المحسوس ضار ومتعب للإنسان، والإبصار مريح له، لأنه كائن متحرك، وكأن الله سبحانه يخاطب عباده، بأن حياتهم لا تعتمد على المحيط المحس فقط، ولكن هناك قيما على الإنسان أن يتعرف عليها، وإلا تعثر واضطرب وتخبط؛ فإذا كان لا يستغني عن البصر الذي هو وقاية له لتفادي العقبات في الأمور المُحَسَّة، فإنه لا غنى له عن منهج الهدى الذي يقيه من الاصطدام بالعقبات في الأمور المعنوية، ولا شك في أن الضلال في القيم المعنوية أبلغ وأشد قسوة من الضلال في الأمور المُحَسَّة[1].

وقد استخدم لفظ(الأعمى) على الحقيقة؛ نحو قوله تعالى﴿لَّيۡسَ عَلَى ٱلۡأَعۡمَىٰ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡأَعۡرَجِ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرِيضِ حَرَجٞ﴾ [النور: من الآية61]، وما يبين الاستخدام على الحقيقة ذكر لفظي(الأعرج) و(المريض) في نفس الآية، وقد روي من أسباب نزول هذه الآية قول ابن عباس(رضي الله عنه) أن الله تبارك وتعالى لما أنزل قوله ﴿ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ وَتُدۡلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلۡحُكَّامِ لِتَأۡكُلُواْ فَرِيقٗا مِّنۡ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلۡإِثۡمِ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة:188]، "تَحَرَّج المسلمون عن مُؤاكَلَةِ المرضى والزَّمنى والعرج، وقالوا: الطعام أفضل الأموال، وقد نهى الله تعالى عن أكل المال بالباطل، والأعمى لا يبصر موضع الطعام الطيب، والمريض

[1] ينظر: تفسير الشعراوي، 3643/6-3644.

لا يستوفي الطعام، فأنزل الله هذه الآية"[1]، فكان لفظ(الأعمى) في الآية السابقة دالا على العاهة.

وأما ورود لفظ(الأعمى) دون قرينة دلالية تدل على استعماله على الحقيقة في قوله تعالى﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ * أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ﴾ [عبس: الآيتان1-2]، فلأن سبب النزول مشهور ومتفق عليه، حيث أن سورة (عبس) بأنها أنزلت في الصحابي الجليل (ابن أم مكتوم)، واسمه (عبد الله)، وأمه (عاتكة) المخزومية، وكنيته (أم مكتوم) لأنه ولد أعمى، والأعمى يكنى عنه بمكتوم[2]، وقد نُسِبَ إلى أمه لأنها أشرف بيتا من بيت أبيه، ولأن بني مخزوم من أهل بيوتات قريش، فقد روى الحاكم في صحيحه بسند متصل عن أمنا عائشة رضي الله عنها(وهي خالة ابن أم مكتوم) أنها قالت:" أنزلت (عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ) في ابن أم مكتوم الأعمى، أتى إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) فجعل يقول (يا رسول الله أرشدني)، وعند رسول الله رجال من عظماء المشركين، فجعل النبي (صلى الله عليه وسلم) يعرض عنه ويقبل على الآخرين، ففي هذا أنزلت عبس وتولى"[3].

إن أغلب المفسرين لم يخرجوا عن تفسير مقتضى لفظ(الأعمى) بمعنيين؛ **الأول** عُذْرُ عبد الله بن أم مكتوم في الإقدام على قطع كلام الرسول (صلى الله عليه وسلم)، **والثاني** أن بسبب عاهة العمى استحق مزيد الرفق والرأفة، وذكر صاحب تفسير (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) مقتضى لم ينتبه إليه كثير من المفسرين، وهو أنَّ: "... ذِكره بهذا

---

[1] أسباب النزول، ص184.

[2] ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الفضل شهاب الدين محمود ابن عبد الله الحسيني **(الألوسي)**، دط، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان: دت، 39/30.

[3] أسباب النزول، ص248.

الوصف من باب التعريض بغيره من أولئك الصناديد وسادة القوم وكأنه يقول لهم﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: من الآية46]"[1]، وبذلك فإن الثنائية (أعمى/بصير) تتجسد هنا بطريقة التعريض لتقابلها ثنائية(بصير/أعمى) عندما يراد بلفظ(الأعمى) العمى الحسي المتمثل في تعطيل جارحة الرؤية، ونجد هذا الأسلوب أيضا في قوله تعالى﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ [طه: الآيات 124-125-126]، فثنائية (بصير/أعمى) تتراوح بين الاستعمال الحقيقي والمجازي؛ فدلالة العمى والإبصار في الدنيا عند من حقت عليه جهنم دلالة حسية، ولذلك أجرى الله تعالى عليه هذا القانون في الآخرة[2]، ليدرك أن الميزان الذي تقاس به ثنائية(بصير/أعمى) هو الميزان المعنوي المتمثل في ثنائية (الإيمان/الكفر)، قياسا على قوله تعالى﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: من الآية46].

ج-5/ التبئير الدلالي لأسماء سور القرآن الكريم:

لم يعط العرب أسماء لقصائدهم التي هي ديوانهم العظيم، ومع مجيء الإسلام" دشن القرآن ظاهرة العنونة في الثقافة العربية لأول مرة في تاريخها، ومع زيادة الثقافة القرآنية في شبه الجزيرة العربية، خطت هذه القضية خطوة نوعية في مستوى التعاطي مع العنوان وصلته بالمحتوى كإشارة إلى تماسك المنطق الداخلي الذي يحكمها، والخيط المنهجي الذي يربطها،

---

[1] أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني (**الشنقيطي**)، دط، دار الفكر، بيروت- لبنان: 1995م، ج34، ص8.

[2] تتفق أغلب التفاسير على تفسير (العمى) في قوله تعالى﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا﴾ طه:125، بأنه العمى الحسي.

فشكلت أسماء السور القرآنية دلالات رمزية لها قدرة محورية في السورة، و إشارات من طرف خفي إلى حدث جسيم فيها"[1]. وتشكل أسماء سور القرآن الكريم تبئيرا دلاليا واضحا، بحيث تشتمل مجموعات الأسماء هذه على:

- بعض أسماء الله وصفاته(النور، غافر، الرحمن، ...الخ)

- أسماء القرآن الكريم وصفاته(الفرقان).

- أسماء تدل على أصول الإيمان والتحذير من الكفر ومن النفاق(الإخلاص، المنافقون)

- أسماء تبين معجزة من معجزات نبي الرحمة مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم(الإسراء).

- أسماءُ تدل على الإيمان بيوم البعث والحساب وعلامات الساعة الكبرى وأهوال يوم القيامة(القيامة، الانفطار، الحشر...الخ)

- اسم لتكريم الإنسان(الإنسان، والنساء)

- أسماء تدل على بعض قبائل وأجناس الإنسان من أعداء الدين، (المنافقون، والكافرون، والروم، وسبأ، ...الخ)

- أسماء لبعض الصالحين(ذو القرنين، و مريم، ولقمان)

- اسم لأحسن القصص التي قصها الله علينا في كتابه (الْقَصَص)

- أسماء لبعض أركان الدين(الحج، السجدة)

- اسمان لتشريع إسلامي خاص بالحياة الزوجية (الطلاق، والتحريم)

---

[1] العنونة وأسماء السور في القرآن الكريم، عبد الرحمن **(حسين)**، صحيفة الحياة، عدد 2007/09/22م.

- اسم لأساس من أسس الحكم الإسلامي(الشورى)

- اسم لحالة انفعالية(الهمزة).

- أسماء لبعض أحوال الإنسان(المزمل، والمدثر، والمجادلة،...الخ).

- أسماء لبعض مكونات السماء(القمر، والنجم، والشمس...الخ).

- اسم يدل على ما تتميز به حضارة الإنسان(المائدة، والحديد).

- أسماء لبعض الحيوانات(البقرة، والفيل).

- أسماء لبعض الحشرات(النحل، والعنكبوت).

- اسم شجرة مثمرة (التين)

- أسماء لبعض الأماكن(الأحقاف، والحجرات، والبلد، ...الخ) .

- اسم لمكان احتضن المؤمنين(الكهف).

- أسماء تدل على الزمن(الْقَدْرِ، والجمعة، والضحى،...الخ).

- أسماء لظواهر طبيعية(الرعد، والمرسلات، والذاريات).

- أسماء تشير إلى كلمات أو حروف(يس، وحم، وألم، وص،..إلخ)

-أسماء سور للرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام(الأنبياء، محمد، يونس، هود، يوسف،...الخ).

وقد حاول القدامى تصنيف أسماء سور القرآن الكريم في مجموعات دلالية تصنيفية، غير أنهم لم يتفقوا على تصنيف محدد، وقد جدد الباحثون المحدثون المحاولة، فرأى بعضهم أن أسماء السور يمكن تصنيفها في أربع مجموعات، على النحو الآتي[1]:

أ/ اسمان ليسا من صلب النص القرآني، وهما الفاتحة والإخلاص.

ب/ أسماء جاءت على مصدر الفعل المذكور في صدر السورة، مثل: الإسراء، والتكوير، والانفطار، والانشقاق.

ج/ أسماء جاءت في السور نكرة، لكنها عرفت بأل في العنوان، مثل البقرة، والمائدة، والجاثية.

د/ أسماء جاءت مطابقة حرفياً لورودها في النص القرآني، وهذا هو القسم الغالب الأعم، وهو ينقسم بدوره إلى أسماء على صورة الحروف، مثل: ص، وق، وطه، ويس، وأسماء على صورة الأفعال، مثل: فصلت، وعبس، والقسم الأخير وهو الكثير الغالب في أسماء عادية، مثل، آل عمران، والنساء، والأعراف، والأنفال، ويونس، وهود، وإبراهيم، والرعد، والماعون....الخ

إن كل اسم من أسماء السور يشكل في حقله بؤرة دلالية، حيث ترتبط الأسماء بسياق النص القرآني، فهي تحمل شحنات دلالية خاصة، فاسم (البقرة) مثلا في سورة البقرة يشكل

---

[1] ينظر: "من قضايا أسماء سور القرآن الكريم: دراسة لغوية وصفية"، عبد الله أحمد إسماعيل وعبد الله عبد الجليل **(المناعمة)**، مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإنسانية) مجلد18، عدد01، جامعة الأزهر، غزة– فلسطين: يناير2010م، ص621–622.

بؤرة دلالية، حيث جاء الاهتمام بهذا (الكائن) من خلال قصة سيدنا موسى مع بني إسرائيل، حيث أصبحت البقرة عنوانا لعناد ومكابرة وتكذيب بني إسرائيل.

وقد ناقش العلماء أسباب إطلاق تلك الأسماء بالتحديد، وممن استفاض في هذا المبحث الزركشي الذي ابتدأ كلامه في هذا الشأن بذكر منهج العرب في التسمية فقال: "ينبغي النظر في وجه اختصاص كل سورة بما سميت به، ولا شك أن العرب تراعي في الكثير من المسميات أخذ أسمائها من نادر أو مستغرب يكون في الشيء من خَلْق أو صفة تخصه، أو تكون معه أحكم أو أكثر أو أسبق لإدراك الرائي للمسمى، ويسمون الجملة من الكلام أو القصيدة الطويلة بما هو أشهر فيها، وعلى ذلك جرت أسماء سور الكتاب العزيز"[1].

ثم يقدم الزركشي أمثلة على ذلك، فيذكر أن "تسمية سورة البقرة بهذا الاسم لقرينة ذكر قصة البقرة المذكورة فيها، وعجيب الحكمة فيها، وسميت سورة النساء بهذا الاسم، لما تردد فيها من كثير من أحكام النساء، وتسمية سورة الأنعام لما ورد فيها من تفصيل أحوالها وإن كان قد ورد لفظ الأنعام في غيرها، إلا أن التفصيل الوارد في قوله تعالى﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا﴾[الأنعام: من الآية 142]، إلى قوله ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا﴾ [الأنعام: من الآية14]، لم يرد في غيرها، كما ورد ذكر النساء في سور أخر، إلا أن ما تكرر وبسط من أحكامهن لم يرد في غير سورة النساء، وكذا سورة المائدة لم يرد ذكر المائدة في غيرها فسميت بما يخصها"[2].

---

[1] البرهان في علوم القرآن، 1/270-271، وينظر: الإتقان في علوم القرآن، 1/79-80.

[2] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

ويستشهد الزركشي أيضا على دور التكرار في إطلاق تلك الأسماء فيقول:" فإن قيل: قد ورد في (سورة هود) ذكر نوح وصالح وإبراهيم ولوط وشعيب وموسى عليهم السلام، فلم تختص باسم هود وحده؟ وما وجه تسميتها به؟ وقصة نوح فيها أطول وأوعب، قيل: تكررت هذه القصص في سورة الأعراف وسورة هود والشعراء بأوعب مما وردت في غيرها، ولم يتكرر في واحدة من هذه السور الثلاث اسم هود عليه السلام كتكرره في هذه السورة، فإنه تكرر فيها عند ذكر قصته في أربعة مواضع، والتكرار من أقوى الأسباب التي ذكرنا، وإن قيل: فقد تكرر اسم نوح في هذه السورة في ستة مواضع فيها، وذلك أكثر من تكرير اسم هود، قيل: لما جردت لذكر نوح وقصته مع قومه سورة برأسها فلم يقع فيها غير ذلك كانت أولى بأن تسمى باسمه عليه السلام من سورة تضمنت قصته وقصة غيره، وأن تكرر اسمه فيها[1].

وهناك أسماء ليست أسماءً لسور، لكنها تمتاز بقوتها التبئيرية، كأسماء الأعلام(موسى) و(عيسى)، و(إسرائيل)، وفيما يلي جدول يبين نماذج من الكلمات ذات الطبيعة التبئيرية في الحقول الدلالية المشهورة في القرآن الكريم.

اسم الحقل	الأسماء البؤر
حقل أسماء الأعلام (الأنبياء والرسل)	محمد_ هود_ إبراهيم_ نوح _ يوسف
حقل أسماء الأماكن	مصر_ الجنة_ جهنم
حقل أسماء الحيوانات	البقرة_ الفيل_ العاديات
حقل أسماء الحشرات	العنكبوت_ النمل_ النحل
حقل أدوات الحضارة	المائدة_ اللباس

[1] البرهان في علوم القرآن، 270/1-271، وينظر: الإتقان في علوم القرآن، 79/1-80.

ج-6/ التبئير الدلالي لمادة(بصر):

ج-6-1/ تعريف البصر:

يجمع اللغويون القدامى على تحديد تعريف البصر، ومنهم من يجمع في تعريفه له بين الدلالة الحسية والدلالة المعنوية، كالخليل بن أحمد الذي عرفه بقوله: "البَصَرُ: العَيْنُ، مذكّر، والبَصَرُ: نَفاذ في القلب"[1]، وهي البصيرة، أما الفيروزآبادي وابن سيده فعرّفاه بأنه حسُّ العين، والجمع: أبصار[2].

وعرف الزمخشري البصر بأنه "الجوهر اللطيف الذي ركبه اللّه في حاسة النظر، به تدرك المبصرات"[3]. أما الراغب الأصفهاني فيطلق لفظ الجارحة عنده على الجارحة الناظرة[4]، ويقال "رجل بَصِيرٌ مُبْصِرٌ خلاف الضرير فعيل بمعنى فاعل، وجَمْعُه بُصَراءُ"[5].

وإذا كان الزمخشري قد استعمل في تعريفه للبصر لفظ(الجوهر) الذي هو مصطلح فلسفي، فإننا نجد ابن عاشور يضفي صبغة علمية على تعريفه، لِمعاصرته عهد النهضة العلمية في علم البصريات، حيث قال: "وهو(أي البصر) اسم للقوّة الّتي بها النّظر، المنتشرة في عين الإنسان الّذي في وسط الحَدقة وبه إدراك المبصرات... لأن المدرِك في الحقيقة هو

---

(1) كتاب العين، 117/7، مادة(بصر)، باب (الصاد والراء والباء معهما).

(2) ينظر: لسان العرب، 64/4، **مادة**(بصر)، القاموس المحيط، ص110، مادة(بصر.

(3) الكشاف، 54/2.

(4) معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص42.

(5) لسان العرب، 64/4، مادة(بصر).

المبصِر لا الجارحة، وإنّما الجارحة وسيلة للإدراك لأنّها توصّل الصّورة إلى الحسّ المشترك في الدّماغ"[1].

ويتفق معظم المفسرين على أن لفظ(البصر) في القرآن الكريم يشير إلى جارحة العين التي هي آلية الإبصار، التي هي إحدى الحواس الخمس التي ندرك بها العالم حولنا؛ قال ابن عاشور:"والأبصار جمع بصر، وهو في اللغة العين على التحقيق، وقيل: يطلق البصر على حاسّة الإبصار"[2].

وللفظ (بصر) في كتب اللغة أبنية وصيغ كثيرة ذات دلالات عديدة، سنكتفي فقط بذكر بما ورد منها في القرآن الكريم، مع إرجاء الحديث عن لفظ الجلالة (البصير) في آخر هذا الفصل.

ورد لفظ (البصر) في تسعة مواضع من القرآن الكريم بصيغة المفرد، نحو قوله تعالى﴿إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا﴾ [الإسراء:36]، وورد مجموعا على(أبصار) في ثمانية وثلاثين موضعا، مقترنا دائما بلفظ(السمع) نحو قوله تعالى﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ﴾ [الأنعام: من الآية103]، وقوله تعالى﴿أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ﴾ [يونس: من الآية31]، إلا في آية واحدة وهي قوله تعالى﴿إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا﴾ [الإسراء:36]، كما جمع لفظ (بصيرة)على (بصائر)؛ نحو قوله تعالى﴿هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ﴾ [الجاثية: 20]، و"لعلّ إفراد السمع وجمْع الأبصار جرى على ما يقتضيه تمام الفصاحة من خفَّة أحد اللفظين مُفْرداً والآخر مجموعاً عند اقترانهما، فإنّ في انتظام الحروف

---

[1] التحرير والتنوير، 414/7.

[2] المصدر نفسه، 234/7.

والحركات والسكنات في تنقُّل اللسان سِرّاً عجيباً من فصاحة كلام القرآن المعبّر عنها بالنَّظم"[1].

وقد ورد لفظ (بصر) بصيغ فعلية متنوعة؛ منها صيغة الماضي نحو قوله تعالى﴿ رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا وَسَمِعۡنَا ﴾ [السجدة: من الآية12]، ونحو﴿ فَمَنۡ أَبۡصَرَ فَلِنَفۡسِهِۦۖ ﴾ [الأنعام: من الآية104]، ونحو﴿ قَالَ بَصُرۡتُ بِمَا لَمۡ يَبۡصُرُواْ بِهِۦ ﴾ [طه: من الآية96]، ومنها صيغ المضارع نحو قوله﴿فَسَتُبۡصِرُ وَيُبۡصِرُونَ﴾ [القلم:5]، وصيغة الأمر نحو قوله تعالى﴿أَسۡمِعۡ بِهِمۡ وَأَبۡصِرۡ يَوۡمَ يَأۡتُونَنَا﴾ [مريم: من الآية38].

وورد فعل(أبصر) المزيد على صيغة(استفعل- استبصر) لمماثلة فعل مزيد آخر على وزن (تفعَّل- تبصَّر)[2] في قوله تعالى﴿ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسۡتَبۡصِرِينَ ﴾ [العنكبوت: من الآية38]، "والاستكبار: شدة الكبر، فالسين والتاء للتأكيد كقوله (وَكَانُواْ مُسۡتَبۡصِرِينَ)"[3].

وقد جاءت هذه الصيغة للدلالة على القدرة على الإبصار بشقيه الحسي والمعنوي، وقد وضح الزمخشري هذا المعنى بقوله: "﴿وَكَانُواْ مُسۡتَبۡصِرِينَ ﴾ عقلاء متمكنين من النظر والافتكار، ولكنهم لم يفعلوا، أو كانوا متبينين أن العذاب نازل بهم لأن اللّه تعالى قد بين لهم على ألسنة الرسل عليهم السلام، ولكنهم لَجُّوا حتَّى هلكوا"[4]، وقد قارن الطاهر بن عاشور

---

[1] التحرير والتنوير، 234/7.

[2] ينظر: الحقول الدلالية الصرفية للأفعال العربية، سليمان(**فيَّاض**)، دط، دار المريخ، الرياض- المملكة العربية السعودية: 1990م، ص92.

[3] التحرير والتنوير، 250/20.

[4] الكشاف، 454/3.

بين دلالتي لفظ (استكبر) و(مُسۡتَبۡصِرِينَ)، فقال:" والاستكبار: شدة الكبر، فالسين والتاء للتأكيد كقوله (وَكَانُواْ مُسۡتَبۡصِرِينَ)"[1].

ج-6-2/ البصر والبصيرة في القرآن الكريم:

إن البصر ليس مجرد فعل ورد فعل، بل عملية تفاعل متكاملة، تؤدي دورين متزامنين؛ دور حاسة الرؤية كوظيفة جسدية، ودور حاسة الإدراك كأداة سلوكية، حيث نرى الشيء وندركه ونحلله ونكوِّن نحوه عواطف إيجابية أو سلبية، ومن ثمة فإن الاعتماد على البصر وحده في التشخيص والتمييز المعرفيين غير كاف، فلا بدّ إذن من مرجع آخر يُرجع إليه في رفع الالتباس والغموض العقليين، وذلك المرجع هو البصيرة.

والبصيرة هي أعلى القدرات العقلية والملكات الفطرية التي يصعب قياسها أو معرفة آلياتها العقلية والنفسية، وهي "العقل الّذي تظهر به المعاني والحقائق، كما أنّ البصر إدراك العين الّذي تتجلّى به الأجسام"[2]، وهي ليست قدرة محتكمة إلى حساب رياضي أو منطق فلسفي، تتفاوت درجاتها بين الناس، وتطلق عليها أسماء عدة؛ كالفراسة والرؤية والإلهام والنظر الثاقب أو النفاذ إلى الأمور.

وللغويين تعريفات كثيرة لـ(البصيرة)، فهي عندهم الاعتقاد القلبي، والدرع، أو كل ما لُبِسَ من سلاح[3]، وهي كذلك الفطنة، والفراسة الصادقة، والثبات في الدين، والشاهد[4]، و"لا يكاد يقال للجارحة بصيرة، ويقال من الأول أبصرتُ، ومن الثاني بصُرْتُ به، وقلَّما يقال بصُرْتُ

---

[1] التحرير والتنوير، 250/20.

[2] المصدر نفسه، 418/7.

[3] ينظر: كتاب العين، 118/7، مادة(بصر)، باب (الصاد والراء والباء معهما).

[4] ينظر: لسان العرب، 65/4-66، مادة(بصر).

في الحاسة إذا لم تُضامَّهُ رؤية القلب"[1]، حيث يستعمل القرآن الكريم في كثير من آيه لفظ (البصر) للدلالة على النظر بالجارحة، كما يستعمل لفظ(البصيرة) للدلالة على قوة القلب المُدْرِكة[2]، والعلم اليقيني، نحو قوله تعالى﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: من الآية22]، وقوله﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ ﴾ [يوسف: من الآية108]، ويجمع لفظ (بصيرة) على(بصائر)، نحو قوله تعالى﴿هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [الجاثية:20].

ج-7/ التبئير الدلالي للفظ الجلالة (بصير) في أسلوب التذييل:

الربع الأول

رقم السورة	السورة	عدد التكرارات
2	البقرة	5
3	آل عمران	4
4	النساء	2
5	المائدة	1
المجموع		12

الربع الثاني

8	الأنفال	2
11	هود	1
17	الإسراء	4

[1] معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص42.

[2] ينظر: المصدر نفسه، ص42.

20	طه	1
المجموع		08

الربع الثالث

22	الحج	2
25	الفرقان	1
31	لقمان	1
33	الأحزاب	1
34	سبأ	1
35	فاطر	2
المجموع		08

الربع الرابع

40	غافر	3
41	فصلت	1
42	الشورى	2
48	الفتح	1
49	الحجرات	1
57	الحديد	1
58	المجادلة	1
60	الممتحنة	1
64	التغابن	1
67	الملك	1

84	الانشقاق	1
المجموع		14

يشكل لفظ الجلالة (بصير) في الخطاب القرآني بؤرتين دلاليتين؛ بؤرة رئيسية تشكل جوهر الخطاب القرآني؛ وهي التي تدور حول بناء ركائز عقيدة الإسلام القائمة على التوحيد، وبؤرة فرعية تسهم في تشكيل كثير من القضايا القرآنية التي يقع فيها هذا اللفظ؛ حيث يقوم الخطاب القرآني ضمن هاتين البؤرتين على تشابك قضايا العقيدة، وقضايا العبادات، وقضايا المعاملات،...الخ، على المستوى الأفقي، بحيث لا يمكن فصل إحداها عن الأخرى، كما يسهم هذا التشابك في عملية البناء العمودي لمجموع قضايا رئيسية في النص القرآني.

ويتشكل التبئير الدلالي للفظ الجلالة (بصير) من خلال وقوع هذا اللفظ في جملة تذييل لجملة أخرى تشكلان آية قرآنية، والآية بدورها جزء من البناء الدلالي للمقطع القرآني(وهو مجموعة من الآيات) تمده بشحنة دلالية معينة، ولا ينفك المقطع القرآني جزءا من الموضوع الرئيسي للسورة التي هي لبنة من لبنات الخطاب القرآني ككل.

ومن المناهج التي تركز على البؤرة الدلالية منهج حديث في التفسير الموضوعي يصطلح عليه بـ(التفسير الموضوعي للمصطلح القرآني)، حيث "يختص هذا اللون بالمصطلحات والمفردات القرآنية، حيث يختار الباحث لفظا من ألفاظ القرآن ورد كثيرا في السياق القرآني، فيتتبعه في السور والآيات، ويلحظ اشتقاقاته وتصاريفه المختلفة، وينظر في الآيات التي أوردته مجتمعة، ويستخرج منها الدلالات واللطائف والحقائق"[1].

[1] التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، صلاح عبد الفتاح(**الخالدي**)، ط2، دار النفائس، عمان– الأردن: 2008م، ص59.

والباحث في هذا النوع من التفسير" يبقى مع المفردة القرآنية التي اختارها، ويتابع معناها في معاجم اللغة، واشتقاقاتها وتصريفها في القرآن، ويلاحظ ما طرأ على وضع هذه اللفظة القرآنية من تغييرات في آيات القرآن، ويحاول أن يعلل ذلك، ثم يستخرج لطائف ودلالات من سَيْرِهِ مع هذا المصطلح القرآني"[1]، ومن هذا المنطلق سنحاول في الفصل لتالي بيان الأبعاد الدلالية المتمخضة عن تشكل لفظ الجلالة (بصير) في أسلوب التذييل، ولفظ(رأى) في أسلوب الاستفهام بالهمزة، ولفظ(نظر)، كبؤر دلالية في النص القرآني.

[1]التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، ص62.

الفصل الرابع

إسهام البؤر اللفظية في تشكيل الأبعاد المفهومية للحقل الدلالي

(حقل ألفاظ الرؤية أنموذجا)

ا- الأبعاد المفهومية للفظ الرؤية(رأى) في أسلوب الاستفهام بالهمزة

ب- الأبعاد المفهومية للفظ الجلالة (بصير) في أسلوب التذييل

ج- الأبعاد المفهومية للفظ الرؤية(نظر) في القرآن الكريم

ا/ الأبعاد المفهومية للفظ الرؤية(رأى) في أسلوب الاستفهام بالهمزة:

ا-1/ صيغ الاستفهام بالهمزة عن فعل الرؤية (رأى): يعتمد النص القرآني في أسلوب الاستفهام بالهمزة عن فعل الرؤية(**رأى**) على صيغتين:

ا-1-1/ صيغة الاستفهام المشتمل على النفي نحو قوله تعالى﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ ﴾ [لقمان: من الآية31]، وقوله﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾ [الشعراء:7].

ا-1-2/ صيغة(أَرَأَيْتَ) وفروعها، وأغلبها مُصَدَّرٌ بفعل الأمر(قل) نحو قوله تعالى﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ [الأنعام:40]، أو مصدَّر بنداء ضمن مقول القول، نحو قوله﴿ قَالَ يَـٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَـٰرِهُونَ ﴾ [هود:28]

ا-2/ مستويات الخطاب في الاستفهام بالهمزة عن فعل الرؤية (رأى): يوجه النص القرآني خطابه في الاستفهام عن فعل الرؤية(رأى) عبر ثلاثة مستويات من الخطاب، يستوجبها تنوع طرفي الخطاب وقضاياه المطروحة:

ا-2-1/ خطابات مباشرة:

وهي خطابات موجهة بصيغة المفرد من الله تعالى إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، ومنه إلى كل فرد متلق للخطاب؛ نحو قوله تعالى﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا ﴾ [فاطر: من الآية27]، ونحو قوله تعالى﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ

هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيۡهِ وَكِيلًا﴾ [الفرقان:43]، أو إلى الناس عامة؛ نحو قوله تعالى﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ كَيۡفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗا﴾ [نوح:15].

ا-2-2/ خطابات غير مباشرة:

وهي خطابات موجهة من الله تعالى، ومُصَدَّرَة بفعل الأمر (قل) وهي في العادة موجهة إلى الأنبياء عليهم السلام، ومن أغراضها الاستدلال على القضايا القرآنية، نحو قوله تعالى ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلَّيۡلَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِضِيَآءٍۖ أَفَلَا تَسۡمَعُونَ﴾[القصص:71]، ففي الآية يوجه الخطاب بصفة غير مباشرة إلى المنكرين للبعث عن طريق النبي صلى الله عليه وسلم، و"سيق إليهم هذا الاستدلال بأسلوب تلقين النبي (صلى الله عليه وسلم) أن يقوله لهم اهتماماً بهذا التذكير لهذا الاستدلال، ولاشتماله على ضدين متعاقبين"[(1)]، حيث استدل الله تعالى على وجود البعث بخلقين عظيمين عجيبين من خلقه؛ هما الليل والنهار.

ا-2-3/ خطابات فردية:

وهي خطابات خاصة بالأفراد، كخطابات الأنبياء إلى أقوامهم، متضمنة الفعل الماضي(قال)، نحو قوله تعالى﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ﴾ [هود:28]، وقوله﴿ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ قَالَ ٱئۡتُونِي بِأَخٖ لَّكُم مِّنۡ أَبِيكُمۡۚ أَلَا تَرَوۡنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلۡكَيۡلَ وَأَنَا۠ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ﴾ [يوسف:59]، وقوله﴿قَالَ أَرَءَيۡتَ إِذۡ أَوَيۡنَآ إِلَى

---

(1) التحرير والتنوير، 169/20.

ٱلصَّخۡرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلۡحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيۡطَٰنُ أَنۡ أَذۡكُرَهُۥۚ ﴾ [الكهف: من الآية63]، وقوله﴿ قَالَ أَرَءَيۡتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِي كَرَّمۡتَ عَلَيَّ لَئِنۡ أَخَّرۡتَنِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَأَحۡتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ [الإسراء:62].

ا-3/ الأبعاد المفهومية للفظ الرؤية(رأى) في أسلوب الاستفهام بالهمزة:

يستفيد لفظ(رأى) في أسلوب الاستفهام بالهمزة من عدة شحنات دلالية، تؤهله لتبليغ أبعاد مفهومية كثيرة، ولا بد من الإشارة إلى الفروق الدلالية بين (الرؤية) و(النظر) وعلاقتهما بـ(العلم)، قبل الخوض في المفاهيم التي يسهم في تشكيلها فعل الرؤية(رأى) في أسلوب الاستفهام في أمثلة النص القرآني.

إن حقيقة (النظر) هي تقليب البصر حيال الشيء المرئي طلبا لرؤيته، ولا يكون ذلك إلا مع فَقْدِ العلم، والشاهد قولك (نظرتُ فلم أر شيئا)، وتقول"(نظرتُ إلى كذا) إذا مددت طرفك إليه، رأيته أو لم تره"[1]، أما الرؤية فهي إدراك الشيء من الجهة المقابلة، وإدراك الشيء هو الإحاطة به من كل الجوانب، وكلاهما لا يكون إلا مع وجود العلم.

وأما الفرق بين (الرؤية) و(العلم) فهو أن الرؤية تكون للموجود فقط، والعلم يتناول الموجود والمعدوم، وكل رؤية سليمة يكون فيها المرئي معلوما بالضرورة، وكل رؤية تكون لمحدود أو قائم في محدود.

ومن دلالات بعض صيغ لفظ الرؤية (رأى) في صيغة الاستفهام الإخبار، وذلك واضح من خلال صيغة الاستفهام (أَرَأَيْتَ)، إذ قد يطلق لفظ الرؤية ويراد به الإخبار، ومن أساليب العرب قولهم (أرأيت) أي: أخبرني، وقولهم (ألم تر) أي: ألم تُخبَرْ، قال صاحب الفتوحات

---

[1] ينظر: معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص376.

الإلهية: "استعمال (أَرَأَيْتَ) في الإخبار مجاز؛ أي أخبروني عن حالتكم العجيبة، ووجه المجاز أنَّه لمَّا كان العلم بالشيء سبباً للإخبار عنه، أو الإبصار به طريقاً إلى الإحاطة به علماً، وإلى صحة الإخبار عنه، استعملت الصيغة التي لطلب العلم، أو لطلب الإبصار في طلب الخبر، لاشتراكهما في الطلب، ففيه مجازان؛ استعمال (رأى) التي بمعنى عَلِمَ أو أَبْصَرَ في الإخبار، واستعمال الهمزة التي هي لطلب الرؤية في طلب الإخبار"[1].

إن الاستفهام عن الرؤية يتعلق بطلب الإخبار لكونه قد يرد بمعنى الأمر، ولعلَّ الجامع بين الاستفهام والأمر في أسلوب (أَرَأَيْتَ) كونهما طلباً[2]، وقد قَسَّم العلماء القدامى الرؤية إلى بصرية وعلمية وقلبية، وهم يتفقون في النوع الأول، وكثيرا ما يختلفون في النوعين الأخيرين، فيجعلونهما واحدا.

إن المعاني البلاغية لأسلوب الاستفهام وطبيعة جملته، تتظافران مع دلالات لفظ الرؤية(رأى) في الإقناع بالقضايا المطروحة، وبالتالي صياغة المفاهيم القرآنية، ولذلك فإن الأسلوب البلاغي ولئن كان هو الآلة اللغوية الإجرائية في تبليغ المعاني، إلا أن لفظ الرؤية هو الدقَّة التي تمكن من توجيه المعاني الإجمالية، وبعبارة أخرى تتيح للمخاطب إمكانية استنتاج المفهوم اللاَّقولي من المفهوم القولي لعبارة الاستفهام.

ويعتمد الخطاب القرآني أسلوب الاستفهام لتوجيه متلقي الخطاب إلى تقبل محتوى القضايا المطروحة، وتقرير حقيقتها عنده، وهو بذلك يضعه أمام تحد حقيقي يخص حاسة الرؤية

---

[1] الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلابين للدقائق الخفية، سليمان بن عمر العجيلي(الجمل)، دط، دار إحياء التراث العربي، بيروت– لبنان: دت، ج2/ص27.

[2] ينظر: "(أَرَأَيْتَ) وفروعه؛ دراسة لغوية"، عبد الله بن حمد (**الدايل**)، مجلة جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، العدد23، ديسمبر 2001، ص331.

عنده، وكأنه يخاطبه ضمنيا، ويطرح عليه عدة أسئلة في سؤال واحد؛ حيث يقدم له قضايا مشاهدة، أو أخبارا عن حوادث مشاهدة، تتجلى فيها الحقيقة القطعية التي لا تنازع فيها، ويطلب منه ضمنيا استخلاص المعرفة منها، من خلال التدبر والاستدلال من عناصرها، فإن كان الإنكار منه، كان التعجيب من هذا الإنكار للحقيقة الماثلة أمامه بالمشاهدة البصرية، وعدم التسليم بتلك الحقائق مع رؤيتها بالمشاهدة البصرية أو بالرؤية العقلية الاستدلالية، أو بالرؤية القلبية الفطرية، يدعو إلى التوبيخ والإنكار، لأن حاله هذه خارجة عن حال الإنسان السوي، الذي ينتفع من حواسه وعقله وفطرته في سبيل تحصيل المعرفة.

إن الخطاب القرآني في آيات الاستفهام عن فعل الرؤية (رأى) سيتنوع بين خطابات تقريرية على وجه التعجيب، وخطابات تقريرية على وجه الإنكار والتوبيخ، وسيكون الاستفهام عن فعل الرؤية الأيقونة التي تستحضر الصور في فكر متلقي تلك الخطابات، مما سيعينه على الاقتناع بالقضايا المطروحة، وسيكون التركيز على أكثر على القضايا الأساسية الكبرى.

ا-3-1/إثبات الإلهية لله تعالى:

لإثبات الإلهية الحقة لله تعالى يصور الخطاب القرآني للمشركين في قوله تعالى﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ * بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام:40-41]، أحوالا مشاهدة مفترضة قد تَعْرِضُ لهم، يلجؤون فيها إلى الله، ويَدَعُونَ أصنامهم[1]، حيث سيدركون في قرارة أنفسهم أنها ليست آلهة، وبالتالي لا تستحق العبادة، وستنزع فطرهم السليمة إلى التسليم بإلهية الله تعالى.

[1] ينظر: الكشاف، 22/2، وعلم الجذل في علم الجدل، ص116، والتحرير والتنوير، 221/7.

إن تركيب الاستفهام(أَرَأَيْتُكُم) في الآية، "تركيب شهير الاستعمال؛ يفتتح بمثله الكلام الذي يراد تحقيقه والاهتمام به، وهمزة الاستفهام فيه للاستفهام التقريري، و(رأى) فيه بمعنى الظنّ... والمعنى أنّ المخاطب يعلم نفسه على الحالة المذكورة بعد ضمير الخطاب، فالمخاطب فاعل ومفعول باختلاف الاعتبار، فإنّ من خصائص أفعال باب الظنّ أنّه يجوز أن يكون فاعلها ومفعولها واحداً"[1].

وللوصول إلى إقناع الكافرين بفكرة إلهية الله تعالى تقدم لنا الآية المستفتحة بالاستفهام مقدمتين؛ الأولى هي ذكر واقع أن الكافرين يظنون أن آلهتهم تستحق العبادة، والثانية تعرض مشهد افتراض حال مجيء العذاب يوم القيامة على طريقة استثارة الخوف، أو استثارة الخبرات المؤلمة؛ حيث يحتمل أن يحل بهم عذاب الله كما حلَّ بأمم سابقة، "الذين هلك بعضهم بالرجفة، وبعضهم بالصاعقة"[2]، أو تحل الساعة التي وعد الله بها الناس في كتبه، وبعد استثارة الخوف الذي يدفعهم للتفكير في عاقبة التكذيب، تظهر نتيجة المقدمتين في شكلين اثنين؛ الأول مفهوم تقر به أنفسهم، حيث يوضعون في موضع الإجابة الحتمية بالنفي على سؤال (أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ؟)، ثم يتكفل النص القرآني بذكر تلك الإجابة التي ربما لا يجرؤون على البوح بها ﴿ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴾ [الأنعام:41].

وفي سبيل إثبات الإلهية لله تعالى تُطرح استراتيجية إقناعية مختلفة؛ من خلال عقد مقارنة بين ضلال أهل الضلالة، وهديِ المخلوقات إلى تنزيه الله تعالى، في الاستفهام الاستئنافي

---

[1] التحرير والتنوير، 221/7.

[2] تفسير الطبري، 253/3.

عن النظر القلبي[1]، في قوله تعالى﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ [النور:41]، حيث "أُعقِب تمثيل ضلال أهل الضلالة، وكيف حرمهم الله الهدى في قوله﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً ﴾ [النور: من الآية39]، إلى قوله﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴾ [النور: من الآية40]، بطلب النظر والاعتبار كيف هدى الله تعالى كثيراً من أهل السماوات والأرض إلى تنزيهه المقتضي الإيمان به وحده"[2].

إن الصورة المرئية المشاهدة المتمثلة في تسبيح من في السموات والأرض لله تعالى من خلال الانتظام المعجز للكائنات، حيث "لا يَبْعُدُ أن يلهم اللّه الطير دعاءه وتسبيحه كما ألهمها سائر العلوم الدقيقة التي لا يكاد العقلاء يهتدون إليها"[3]، وصورة صفِّ الطير في جو السماء، تدعمان مضمون الخطاب القرآني اللاَّقولي الذي هو توحيد الله تعالى، حيث سيدعو الكافرين للتساؤل عن موجد ذلك الانتظام في حياة تلك الكائنات، وسيهتدون بفطرهم الإنسانية إلى أن الذي أوجد ذلك النظام قادر على أن يهدي تلك الكائنات إلى تسبيحه.

يتوجه الخطاب بالاستفهام الإنكاري على طريقة الالتفات عن خطاب المشركين في قوله تعالى﴿ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [النحل:79]، وقوله﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَٰنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾ [الملك:19]، لينكر عليهم عدم انتفاعهم بما يرونه من تسخير مخلوقات الله في

---

[1] ينظر: تفسير الطبري، 434/5.

[2] التحرير والتنوير، 257/18-258.

[3] الكشاف، 245/3.

الجو، وبما يرونه من دقة نظامه في حكمة صف الطير وقبضها لأجنحتها، في الإيمان به وتوحيده، وتنزيهه عن كل شريك[1].

هنا في مشهد قبض الطير لأجنحتها نلحظ استعمال النص القرآني لأسلوب (الإيحاء) في العملية الإقناعية، الذي يقتضي" الإشارة إلى رموز معينة، أو علامات معينة تُدَسُّ ضمن اللقطات المصورة التي يجري الحديث فيها عن شخصية معينة أو قضية معينة"[2]، ولعل الصورة المذكورة أشد وضوحا للناس، وهي من الدلائل الكبرى على إلهية الله تعالى، وعلى قدرته في تدبير شؤون الخلق.

وفي نفس السياق يعرض لنا النص القرآني صورة مرئية أخرى، ففي قوله تعالى ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ * قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [القصص:الآيتان71-72]، يستعمل أسلوب الشرط ممزوجا بأسلوب نفسي هو استثارة الخوف أو استثارة الخبرات المؤلمة في مشهد "مفروض فرضا مخالفا للواقع"[3]، ولكن يمكن أن يُتصور في الذهن، حيث يفترض إمكانية أن يجعل الله الليل أو النهار سرمديين(دائمين) على الكافرين إلى يوم القيامة، وهما مشهدان غريبان على كفار قريش، لكن يمكن معايشتهما في البلاد القريبة من قطبي الأرض، حيث يمتد الليل الحالك لفترات طويلة، وكذلك النهار، في مشهد غير ذلك المشهد الطبيعي الذي نعيشه في بقية بقاع الأرض، كما أن كثيرا من التغيرات الجوية وكوارث البراكين تحول نهار الناس إلى ليل

---

[1] ينظر: تفسير الطبري، 543/4-544. والتحرير والتنوير، 235/14-236. و 37/29.

[2] الصورة والإقناع، ص46.

[3] التحرير والتنوير، 169/20.

حالك، حيث تجتاح الزوابع الرملية أو سحب الغبار البركاني مناطق عديدة، فتحول نهارها إلى ليل حالك، فتعطل الحركة الطبيعية لحياة الناس، تلك الحركة التي يمكن أن تتهافت – كما تصور لنا الآية– أمام قدرة الله تعالى.

ويأتي توجيه السؤال للمشركين بطريقة الشرط (من سيأتيكم بضياء إن جعل الله عليكم الليل سرمدا إلى يوم القيامة؟ هل هو الله أم أصنامكم التي تعبدونها من دونه بالباطل؟) ليكشف عن الإجابة الضمنية التي قد يخفونها في أنفسهم كبرا وتعنتا، وهي أن الآلهة التي يعبدونها من دون الله قد خذلتهم، إذ لا تملك دفع الضر عنهم[1]، أما فعل الرؤية المكرر في الآيتين فهو يُسْهِم في بناء القضية الرئيسية التي هي توحيد الله تعالى وإثبات إلهيته، حيث جاء الاستفهام(قُلْ أَرَأَيْتُمْ) على وجه التقرير، وأما الاستفهام في (مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ) فإنكاري، لأنهم معترفون بانتفاء غير الله تعالى، وأنه هو خالق الليل والنهار[2].

وللاستدلال على تفرد الله بالإلهية من دون سائر الآلهة المزعومة التي يعبدها المشركون، اختير "هذا الصنع العجيب المتكرر كل يوم مرتين، والذي يستوي في إدراكه كل مميز، والذي هو أجلى مظاهر التغير في هذا العالم، فهو دليل الحدوث... حتى الأصنام فهي تظلم وتسود أجسامها بظلام الليل، وتشرق وتضيء بضياء النهار، وكان الاستدلال بتعاقب الضياء والظلمة على الناس أقوى وأوضح من الاستدلال بتكوين أحدهما لو كان دائماً، لأن قدرة خالق الضدين وجاعل أحدهما ينسخ الآخر كل يوم أظهر منها لو لم يخلق إلا أقواهما وأنفعهما..."[3]

---

[1] ينظر: التحرير والتنوير، 20/172-173.

[2] ينظر: المصدر نفسه، 20/169.

[3] م ن، 20/168-169.

إن منهج الإقناع بالاستفهام على طريقة الشرط، مدعما بالمشاهد المرئية كثير في القرآن، نحو قوله تعالى﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ﴾ [الملك:30]، من ضمن أهدافه إثبات الإلهية لله تعالى.

ا-3-2/ إثبات الربوبية لله تعالى:

إن كثيرا من الآيات التي يأتي فيها الاستفهام بفعل الرؤية(رأى) تأتي لدعوة الناس للتسليم بربوبية الله تعالى، والإيمان بكونه الخالق الواحد الأوحد، وذلك ببيان دقة انتظام خلقه وتدبيره لشؤونه، وحكمته في تسخيره لإقامة المجتمع البشري، وذلك باستحضار المشاهد المرئية التي تدفع المخاطب إلى الاستدلال والاستنتاج.

ففي قول الله تعالى﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[الحج:65] [1]، جاء الاستفهام الإنكاري للتذكير بتفضله علينا بنعمه سبحانه[2]، كما في قوله ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحج:63]، وقوله ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾[لقمان:31]، وهذا "من عداد الامتنان والاستدلال، فكان كالتكرير للغرض، ولذلك فُصِلَت الجملة ولم تعطف، وهذا تذكير بنعمة تسخير الحيوان وغيره، وفيه إدماج الاستدلال على انفراده بالتسخير، والتقدير: فهو الرب الحق"[3].

---

[1] التحرير والتنوير، 188/21.

[2] ينظر: تفسير الطبري، 337/5-338.

[3] ينظر: التحرير والتنوير، 321/17.

إن تسهيل انتفاع الناس من المخلوقات الموجودة في السموات الواسعة، والأرض برها وبحرها وجوها، وإمساكه السماء أن تقع على الأرض[1]، وكل ذلك من الأمور المشاهدة بالبصر، دليل رأفة ورحمة الله(الإله والرب الواحد) بهم، ولكن انطماس البصيرة بالكفر رغم سلامة البصر، يحول دون إدراك ذلك النظام الكوني العجيب، وما فيه من مخلوقات مسخرة لعمارة الأرض وعبادة الله، لذلك جاء الاستفهام بصيغة التعجب عن غياب الرؤية العقلية الممحصة، التي تؤدي حتما إلى الإيمان المطلق بأن الله تعالى هو الخالق المدبر لشؤون خلقه.

إن النص القرآني يوسع آفاق المعرفة الإنسانية الناتجة عن المشاهدة، من خلال تجاوزه الإشارة المختصرة للمنن الإلهية على الإنسان إلى التفصيل في كثير منها، حيث يعيد بين الفينة والأخرى استحضار العديد من الصور المرئية المألوفة وغير المألوفة التي يعايشها الإنسان، ويذكره بها، بغية التنبيه إلى أسرارها، ومن بين تلك الصور إنزال الماء(الغيث) من السماء نحو قوله تعالى﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [الحج:63]، حيث جاء الاستفهام الإنكاري لمن غابت عنه الرؤية الواعية لظاهرة إنزال الماء المؤدي إلى اخضرار الأرض، أليس على الإنسان أن يتساءل- من خلال التدبر- عن منزل ذلك الماء من السماء وقد كان من قبل في الأرض سائلا يجري أمام ناظريه؟! هل أنزله أحد من البشر ممن يدعون الألوهية أو الربوبية؟ وهل السبب المباشر لاخضرار الأرض هو الماء أم أن هناك مدبرا رئيسيا لذلك الاخضرار؟... لا شك أن الفطرة

---

[1] ينظر: التحرير والتنوير، 325/17.

الإيمانية السليمة ستقود هذا الإنسان العاقل إلى الاعتقاد بسعة علم الله ولطفه بالبشر في إنزال الغيث من السماء لينتفع به[1].

إن الكافر بقدرة الله على الخلق والتدبير يعتقد بأن الماء سبب مباشر للاخضرار، ولذلك فالله تعالى من خلال النص القرآني يلح على الإنسان في إعمال فكره، بوضعه في موقف فكري حرج، يشكك في فاعلية حواسه، ومدى انتفاعه منها، من خلال أسئلة إنكارية أخرى، تعرض دلائل على إعطاء الخصائص في الجماد بحيث تسير على السير الذي قدره الله لها سيرا لا يتغير[2]، من قبيل قوله تعالى﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴾ [النور:43]، فالخطاب هنا موجه إلى هذا الإنسان الكافر: إنك ترى مراحل عملية تكوين الغيث وإنزال الماء من السماء على خلق دون خلق، في أشكال متنوعة، حيث يصاحب تلك العملية ظواهر عجيبة كالبرق والرعد، فكيف لا يقودك إعمال فكرك في هذه الظواهر إلى الإيمان بعلم الله وقدرته على الخلق؟ إن "ذلك ينبئ ويدل على أن له مدبرا ومصرفا ومقلبا لا يشبهه شيء"[3].

ولا يفتأ النص القرآني يذكر هذه الظاهرة الطبيعية، فيعيد التذكير بها في موضع آخر، ردا على الكافرين وخصوصا الملحدين الذي يقولون بفكرة أن الطبيعة هي المنشئة لظواهرها، قال الله تعالى﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ * وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا

---

[1] ينظر: تفسير القرطبي، 440/14، والتحرير والتنوير، 317/17.

[2] ينظر: التحرير والتنوير، 260/18.

[3] ينظر: تفسير الطبري، 436/5.

يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ [فاطر: الآيتان27-28]، ففي هذه الآية تطرح حجة عقلية أخرى على أولئك الجاحدين، حيث يواجههم السؤال الصادم: إذا كان إنشاء الغيث وإنزاله بيد شركائكم أو بيد الطبيعة كما تزعمون، فهل بأيدي شركائكم خلق الأصناف المتنوعة من الثمرات التي تخرج من الأرض بفعل الماء؟ وإذا كان الماء واحدا فكيف تكون تلك الأصناف متنوعة؟ وهل بأيدي شركائكم خلق التنوع في ألوان الجبال، وألوان الإنس والدواب من ماء واحد؟

إن الإنسان (الكافر) يجد هذا النوع من الخطاب مُحْرِجا للغاية، لأنه يتضمن فعل الرؤية الذي يواجهه من جهتين؛ يشكك في سلامة حواسه وبالخصوص حاسة الرؤية في المقام الأول من جهة أولى، ويشكك في سلامة عقله في من جهة ثانية، ولذلك يكون الإنكار عليه شديدا لإعراضه عن التفسير الحقيقي لتلك الظواهر، فإذا تمعن في ذلك الخلق وعلم أحواله أدرك أن هناك خالقا واحدا بيده الخلق والتدبير، هو الله سبحانه، ولعل الإشارة إلى خشية العلماء منه في قوله تعالى﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ [فاطر: من الآية28]، تأتي للدلالة على أن إدراك حقيقة تلك الظواهر يقود إلى الإيمان الحتمي بربوبيته سبحانه.

ويسترسل الخطاب القرآني في عرض المشاهد المرئية المتعلقة بالماء، فبعد أن عرض مشهد إنزاله من السماء، ومشهد إخراج الأنواع المختلفة منه، ها هو يعرض مشهد الماء وهو يسلك طرائق شتى في الأرض، ثم يُخرج به الزرع ذو الألوان المختلفة، قال تعالى﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا

ثُمَّ يَجۡعَلُهُۥ حُطَٰمًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ [الزمر:21]، ففي هذه الآية دليل على تصرف الله تعالى في خلق أحوال ذواتٍ وإنشاء ذواتٍ من تلك الأحوال[1].

ومثل هذا المشهد يوجد في مواضع كثيرة من القرآن، إنه مشهد إيلاج الليل في النهار، والنهار في الليل، نحو قوله تعالى ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ كُلٌّ يَجۡرِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴾ [لقمان:29]، فهذه دعوة إلى التعمق في ظاهرة مشاهدة يوميا، ظاهرة تعاقب الظلمة والضياء، وتسخير الشمس والقمر، وجريان كل ذلك بأجل مسمى[2].

وفي مشهد تعاقب الليل والنهار وإيلاج أحدهما في الآخر ظاهرة أخرى تصاحب ذلك الانتقال الحادث بينهما، ففي قوله تعالى﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيۡفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوۡ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنٗا ثُمَّ جَعَلۡنَا ٱلشَّمۡسَ عَلَيۡهِ دَلِيلٗا﴾ [الفرقان:45]، جاء الاستفهام تقريريا، عارضا مشهد مدِّ الظل وحكمة الله تعالى فيه، و"معنى (مدَّ الظل) أن جعله يمتدّ وينبسط فينتفع به الناس، وَلَوْ شاءَ لَجَعَلَهُ ساكِناً، أي لاصقا بأصل كل مظل من جبل وبناء وشجرة، غير منبسط فلم ينتفع به أحد؛ سمى انبساط الظل وامتداده تحركا منه وعدم ذلك سكونا. ومعنى كون الشمس دليلا: أنّ الناس يستدلون بالشمس وبأحوالها في مسيرها على أحوال الظل، من كونه ثابتا في مكان زائلا ومتسعا ومتقلصا، فيبنون حاجتهم إلى الظل واستغناءهم عنه على حسب ذلك. وقبضه إليه: أنه ينسخه بضم الشمس يَسِيراً؛ أي على مهل، وفي هذا القبض اليسير شيئا بعد شيء

---

[1] ينظر: تفسير الطبري، 378/6، والتحرير والتنوير، 23/24.

[2] ينظر: التحرير والتنوير، 184/2.

من المنافع ما لا يعدّ ولا يحصر، ولو قبض دفعة واحدة لتعطلت أكثر مرافق الناس بالظل والشمس جميعا"[1].

إن مشهد تكوين الظل دعوة إلى التأمل في منَّة خلق الشمس، ودليل على حكمته سبحانه تعالى في التدريج في التكوينات الإلهية، والعدول بها من الطفرة إلى الإيجاد[2]، وقد تضمن الاستفهام معنى الحث على النظر لتعدي فعل الرؤية بـ(إلى)، ودعوة لاستحضار الصورة المعروضة في متن الآية، وهذا ما يمنحه قوة دلالية تعين المتلقي على استخلاص المفهوم اللاَّقولي من الخطاب من خلال المفهوم القولي المتضمن للمشهد الطبيعي.

والخطاب القرآني يذكر مثل تلك المشاهد المرئية للإشارة إلى قضايا إيمانية خطيرة، كقضية البعث مثلا، ففي قوله تعالى﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ [الشعراء:7]، فالاستفهام هنا ورد منكرا على الكافرين عدم استعمال أبصارهم وبصائرهم لإدراك حقيقة إنبات الأزواج الكريمة من الأرض التي هي أصل خلق الإنسان[3]، ولو أنهم "رأوا بقلوبهم ونظروا بأعينهم لعلموا أنه الذي يستحق أن يعبد، إذ هو القادر على كل شيء"[4]، يقدر على إحياء الإنسان بعد خلقه وإماتته.

ا-3-3/ التحذير من الشرك وعواقبه:

يعد التحذير من الشرك وعواقبه، قضية من القضايا الأساسية التي عكف القرآن الكريم على التنبيه إليها، وقد أوردها في آيات كثيرة بصور متعددة، في سياق الرؤية البصرية

---

[1] الكشاف، 283/3.

[2] ينظر: المصدر نفسه، 283/3.

[3] ينظر: التحرير والتنوير، 100/19-102.

[4] تفسير القرطبي، 11/16.

والعقلية، وقد اختلف توجيه الخطاب القرآني في هذه القضية بين النبي (صلى الله عليه وسلم) ومن خلاله نحن المؤمنون به، لأن تصديقنا به يجعلنا في موقع كمن خوطب أيضا، وبين المعنيين بالقضية في حد ذاتها، فها هو النبي (صلى الله عليه وسلم) يخاطَب بقوله تعالى﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾ [إبراهيم:28]، فهو قد رأى بأم عينيه تبديل قريش لنعم الله تعالى، حيث جاء في هذه الآية التحذير والتعريض بكفر قريش لنعمة تبوء الحرم، وأمنهم في أسفارهم وإقامتهم، وجعل أفئدة الناس تهوي إليهم من كل حدب وصوب، وسلمهم مما أصاب غيرهم من الحروب والغارات والفتن[1].

وفي آيات أخر يتوجه الخطاب مباشرة إلى المعنيين بهذه القضية الرئيسية، مشركي قريش وما جاورها، قال تعالى﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾ [العنكبوت:67]. فقد وجه الاستفهام هنا إلى كفار قريش بصورة غير مباشرة، مذكرا إياهم بنعمه تعالى عليهم، ومعرضا بكفرهم لها، ومنكرا عليهم عدم الاستدلال بما يرونه من نعمة الأمن في الحرم وما جاوره من بيوتاتهم على الإيمان بالله تعالى[2]، وقد جاء التحذير مدويا باستفهام إنكاري آخرَ في آخرِ الآية(أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ؟)، أي: "أفبالشرك بالله يقرون بألوهة الأوثان بأن يصدقوا، وبنعمة الله التي خصهم بها من أن جعل بلدهم حرما آمنا يكفرون؟"[3] لقد جحدوا تلك النعمة بإشراكهم الأصنام التي صنعوها بأيديهم في عبادته، فلم ينفعهم في ذلك أبصار تبصر، ولا أصنام تستنصر.

---

[1] ينظر: الكشاف، 3/464-465. والتحرير والتنوير، 13/228.

[2] ينظر: التحرير والتنوير، 21/33-34

[3] تفسير الطبري، 6/89.

إضافة إلى عاقبة كفر النعمة التي هي الخسران في الدنيا والآخرة كما في قوله تعالى﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾ [إبراهيم:28]، يحذر الخطاب القرآني المشركين من أحد أخطر عواقب الشرك، ألا وهو الإهلاك، قال الله تعالى﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [يس:31]، فقد تضمن الاستفهام المقرر في الآية فعل الرؤية(رأى) إشارة إلى كثرة إهلاك الله تعالى للأمم المشركة السابقة، وإنكارا على الذين كفروا عدم انتفاعهم برؤية شواهد وآثار مصارع تلك الأمم وعلمهم بها[1]، وفي الآية "ردٌّ على ان من زعم أن من الخلق من يرجع قبل القيامة بعد الموت"[2].

لا يمكن قَصْرُ فعل الرؤية في أمثال هذه الآيات على الرؤية العلمية فقط، لأن بلاد العربِ وما جاورها، مازالت تزخر – إلى يومنا هذا– بآثار أمم كثيرة أهلكها الله، كقرى ثمود، ومدن الفراعنة، وكانت مشاهدة تلك الآثار متاحة للناس في عصر النبوة، كما أن علماء الآثار المحدثين يكشفون النقاب – بين الفينة والأخرى– على كثير من الحضارات المُهْلَكَة ويبينون طرائق إهلاكها. إذن ففعل الرؤية هنا يؤدي دور المستحضر لصورة إهلاك القرون السابقة في مخيال الكافرين، من خلال ما يرونه من بقايا آثارهم، ليستثير الخوف لديهم، وليكون ذلك مدعاة عندهم للتفكير في مُهلكها وأسباب إهلاكها[3].

---

[1] ينظر: التحرير والتنوير، 10/23.

[2] تفسير القرطبي، 439/17.

[3] ينظر: التحرير والتنوير، 10/23.

١-3-4/ الدعوة إلى الإيمان بالبعث:

يعج الخطاب القرآني بالدعوات المتكررة إلى الإيمان بالبعث والنشور، مثال ذلك قوله تعالى﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَـٰدِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّـٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴾ [الإسراء:99]، المعطوف بالواو على قوله ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا وَرُفَـٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴾ [الإسراء: من الآية98]، وذلك "باعتبار ما تضمنته الجملة المعطوفُ عليها من الردع عن قولهم (وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا وَرُفَـٰتًا)؛ فبعدَ زجرهم عن إنكارهم البعث بأسلوب التهديد، عطف عليه إبطال اعتقادهم بطريق الاستدلال بقياس التمثيل في الإمكان، وهو كاف في إقناعهم هنا لأنهم إنما أنكروا البعث باعتقاد استحالته كما أفصح عنه حكاية كلامهم بالاستفهام الإنكاري"[(1)].

وفي قوله تعالى﴿أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [النمل:86]، جاء الإنكار على الكافرين لعدم نظرهم في حقيقة تتابع سكن الليل الذي هو النوم الدال على الموت، مع إبصار النهار الذي فيه حياة الإنسان وكدحه[(2)]، والخطاب كأنما يتوجه إليه بالاستفهام الإنكاري: "ألم ير هؤلاء المكذبون بآياتنا تصريفنا الليل والنهار، ومخالفتنا بينهما بتصييرنا هذا سكنا لهم يسكنون فيه... وهذا مضيئا يبصرون فيه الأشياء ويعاينونها، فيتقلبون فيه لمعايشهم، فيتفكروا في ذلك ويتدبروا، ويعلموا أن مصرف ذلك كله هو الإله الذي لا يعجزه شيء، ولا يتعذر عليه إماتة الأحياء"[(3)].

---

(1) التحرير والتنوير، 15/219-220.

(2) ينظر: المصدر نفسه، 20/43.

(3) تفسير الطبري، 5/583-584.

والفطرة البشرية تهمل النظر في هذا المشهد اليومي الذي يتتابع حدوثه بانتظام، وغيره من المشاهد الروتينية في حياة الإنسان؛ كشروق الشمس وغروبها، وتكوين السحاب وسقوط الغيث، ومن ثمة كان لزاما إهمال الاستدلال في تلك المشاهد، ولذلك جاءت الآية للفت الانتباه إلى العلاقة التي تربط بين الظاهرتين الطبيعيتين، الليل والنهار، ومن ثمة العلاقة التلازمية بين الحياة والموت، أو العلاقة بين بدء الخلق وإماتته وبعثه بعد ذلك؛ فالبعث هو القضية الرئيسية الكبرى التي يجب تبليغها إلى الإنسان الغافل عن الاستدلال من مشاهداته للطبيعة.

إن الخطاب القرآني حينما أنكر على هؤلاء المشركين عدم استدلالهم بالرؤية(علمية كانت أم بصرية) فلأن عنادهم ومكابرتهم طمسا فطرتهم الإنسانية، فلم يستعملوا أبصارهم التي ترى المخلوقات العظيمة كالسموات والأرض، وترى خلق الناس وإماتتهم، وتتابع الليل والنهار، في الاستدلال على وجود البعث والإيمان به، ولو أنهم فعلوا ذلك لقادهم حتما إلى الإيمان بوجود الخالق سبحانه.

ويجدد النص القرآني – كلما دعا المقام – تنبيه الكافرين إلى عملية بدء الخلق وإعادته، مضيفا قيما دلالية جديدة تعزز هذا الموضوع العقائدي الكبير، ففي قول الله تعالى﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [العنكبوت:19]، تتبين الكيفية اليسيرة التي يجدد الله بها الخلق، وهي كيفية لها ادلتها من الوقائع المشاهدة عيانا، وهذا ما يستوجب التساؤل من الكافرين: أو ليست أدلة بدء الخلق تفضي إلى العلم بأن الله يعيد الخلق؟[1]

[1] ينظر: الكشاف، 3/448–449. والتحرير والتنوير، 20/227–228.

وتتعزز فكرة يسر بدء الخلق وإعادته في قوله تعالى﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِۦَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأحقاف:33]، حيث تمت الإشارة إلى عدم عيائه سبحانه في بدء الخلق أو إعادته أو بعثه من جديد، من خلال الاستفهام المنكر على الكافرين المكذبين عدم إعمال نظرهم عن طريق قياس التمثيل في الإمكان؛ للاستدلال على أن الله الذي خلق السموات والأرض دون عياء قادر على أن يحي الموتى[1].

وفي سورة السجدة يأتي قوله تعالى﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ [السجدة:27]، فكأنما يتوجه إليهم الخطاب المنكر عليه عدم الانتفاع بالرؤية، بالقول: "أفلا يرون ذلك بأعينهم، فيعلموا برؤيتهموه أن القدرة التي بها فعلت ذلك، لا يتعذر علي أن أحيي بها الأموات، وأنشرهم من قبورهم، وأعيدهم بهيآتهم التي كانوا بها قبل وفاتهم"[2]

إن في الآية السابقة تأكيد على دور الرؤية(البصرية والعلمية) في الإيمان بقضية الخلق والبعث، حيث" نِيطَ الاستدلال بالرؤية هنا لأن إحياء الأرض بعد موتها ثم إخراج النبت منها دلالة مشاهدة، واختير المضارع في قوله(**نَسُوقُ**) لاستحضار الصورة العجيبة الدالة على القدرة الباهرة"[3]، وقد جاء فعل الرؤية في الآيات المذكورة آنفا حاضا متلقي الخطاب على الاستعانة بالمشاهدة البصرية، لاستخلاص الإجابة العقلية الضمنية عن الأسئلة المتعددة، التي تؤدي بالضرورة إلى الإيمان بفكرة أن الخالق هو الله وأن البعث حق.

---

[1] ينظر: تفسير القرطبي،231/19، والتحرير والتنوير، 18/26.

[2] تفسير الطبري، 154/6.

[3] التحرير والتنوير، 241/21.

ا-3-5/ القرآن حق:

لقد جاءت الدراسات التربوية البشرية موافقة لمنهج القرآن في التربية والتعليم، حيث يتدرج المعلم بالمتعلم من المشاهد المحسوسة إلى الأفكار المجردة، لينمي فيه فطرة الحصول على المعرفة عن طريق التواصل مع الغير؛ مع بني جنسه من البشر من خلال أدوات التواصل البشرية، ومع بقية المخلوقات غير البشرية من خلال مشاهد الطبيعة والكون.

بعد أن عرض النص القرآني الدلائل المقنعة بألوهية وربوبية الله تعالى، من خلال الاستدلال عليها بالمظاهر المشاهدة، ينتقل إلى استعمال لفظ الرؤية(رأى) بدلالته(العلمية) في صيغة الاستفهام، للاستدلال على قضايا قرآنية أخرى، مرتبطة ارتباطا وثيقا بالقضيتين الرئيسيتين، ومن بين تلك القضايا الدعوة إلى الإيمان بأن القرآن حق، وأنه كلام الله تعالى المنزل على رسوله محمد (صلى الله عليه وسلم).

لقد جاء الاستفهام الموجه للكافرين في قوله تعالى ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴾ [فصلت:52]، بصيغة الشرط، "لاستنزال طائر إنكارهم حتى يقبلوا على التأمل في دلائل صدق القرآن"[(1)]، واستعمل فعل الرؤية لاستدعاء "النظر بطريق تجويز أن يكون القرآن من عند الله، فإنه إذا جاز ذلك وكانوا قد كفروا به دون تأمل كانوا قد قضوا على أنفسهم بالضلال الشديد"[(2)].

وقد جاء لفظ(سَنُرِيهِمْ) في الآية التي أعقبت الآية السابقة في قوله تعالى﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ [فصلت: من الآية53]، ليدعم فعل الرؤية

---

(1) التحرير والتنوير، 16/25.

(2) المصدر نفسه، 16/25.

(أَرَأَيْتُمْ) الدال على العلمية أو الاستخبار[1]، و ليضفي جو الرؤية البصرية على المتخيل عند الكافرين المنكرين، في حال أخذهم بهذا الافتراض المطروح في الاستفهام، داعيا إياهم إلى مراجعة الدلائل القوية على كون القرآن من عند الله تعالى، من خلال النظر إلى ما حولهم وما في أنفسهم من آيات التصديق، فإن لم يفعلوا فليتخيلوا مشهد الظلال الذي سيصيبهم الله به، إنه مشهد مخيف يدعو كل ذي لب إلى التوبة السريعة، والإنابة الحقة، والإيمان بكون القرآن كتابه العزيز.

ويأتي الاستفهام في قوله تعالى﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأحقاف:10]، مدعما قدرة المخاطبين على استخلاص المفهوم اللاَّقولي، ومقررا حقيقة القرآن المدعَّمَة بشهادة أعلم بني إسرائيل على صدقه ووحدانية مُنْزِله، وموبخا الكافرين المكذبين به[2]، الذين يتحقق مشهد ضلالهم وظلمهم من اجتماع كون القرآن من عند الله مع كفرهم به، واجتماع شهادة أعلم بني إسرائيل على نزول مثله وإيمانه به مع استكبارهم عنه وعن الإيمان به[3]، وإنها لصورة مخيفة تتكون حين يجتمع الضلال والظلم في نفوس أولئك المكذبين.

ويأتي الاستفهام القرآني مخاطبا كل إنسان عاقل في قوله تعالى﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ [آل عمران:23]، ليسوق له مشهد إعراض أحبار اليهود عن تحكيم كتاب الله تعالى[4]، ليبين له أن التكذيب

---

[1] ينظر: الكشاف، 206/4. والتحرير والتنوير، 17/25.

[2] ينظر: التحرير والتنوير، 19/26.

[3] ينظر: الكشاف، 300/4. وتفسير الطبري، 12/7.

[4] ينظر: الكشاف، 348/1، وأسباب النزول، ص53-54، والتحرير والتنوير، 208/3

بالقرآن ليس علامة للمشركين الوثنيين فقط، ولكنه علامة من علامات أهل الكتاب أيضا، مع أن فيهم علماء بكثير بما جاء في كتبهم من هدي الإسلام.

إن أولئك العلماء لا يكتفون بكتمان الحق فقط، بل يتعدونه إلى الافتراء على الله تعالى في كثير مما شَرَّعَ، ويأتي الاستفهام التقريري الإنكاري في قوله تعالى﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴾ [يونس:59]، ليذكرهم بمشهد إنزال الأرزاق[1] التي أكرمهم الله تعالى بها، فجعلوا منها الحلال والحرام بحسب أهوائهم، ونسبوا تلك القسمة كذبا وزورا إلى الله تعالى[2]، وبذلك اتضح "خَطَلُ عقولهم، واختلال تكذيبهم، فإنه بعد أن كان تكذيباً بما لم يحيطوا بعلمه، فقد ارتبكوا في دينهم بما يلزمهم منه مماثلة الحالة التي أنكروها، فإنهم قد وضعوا ديناً فجعلوا بعض أرزاقهم حلالاً لهم، وبعضها حراماً عليهم فإن كان ذلك حقاً بزعمهم فمن الذي أبلغهم تلك الشرائع عن الله، ولماذا تقبلوها عمن شرعها لهم ولم يكذبوه، وهم لا يستطيعون أن يلتزموا ذلك، وإن كان ذلك من تلقاء أنفسهم فقد افتَروا على الله فلزمهم ما ألصقوه بالنبي (صلى الله عليه وسلم) فعلق بهم وبرأ الله منه ورسوله، فهذا الاستدلال من الطريق المسمى بالقلب في علم الجدل"[3]، وهو من استراتيجيات الحجاج القرآني.

---

[1] الإنزال في الآية يعبر عن الخلق؛ قال القرطبي: "لأن الذي في الأرض من الرزق إنما هو بما ينزل من السماء من المطر"، تفسير القرطبي، 12/11.

[2] ينظر: التحرير والتنوير، 207/11-208.

[3] المصدر نفسه، 207/11-208.

ا-3-6/ **حتمية ظهور الإسلام وغلبته:** ولبيان حكم الله تعالى-غير القابل للتعقيب- بإنقاص دار الكفر(سلطان الشرك) والزيادة في دار الإسلام[1]، ورد فعل الرؤية بدلالتيه العلمية والبصرية[2] في الآية من قوله تعالى﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ [الرعد:41]، المعطوفة على الآية من قوله﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴾ [الرعد:40] والمتعلقة بجملة﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾ [الرعد: من الآية38]، لتنبيه أولئك الكافرين إلى مشهد آثار إنقاص أرضهم؛ أرض الكفر، بفتح كثير منها على أيدي المسلمين، ولو أنهم أعملوا عقولهم في هذا الواقع الجديد لانقادت قلوبهم إلى حتمية التسليم بحقيقة هذا الدين الجديد، حتمية ظهور الإسلام وغلبته[3].

وما تزال أرض الكفر تتناقص يوما بعد آخر رغم أحوال المسلمين المتسمة بالضعف والتشرذم، فاكتساح الإسلام لبلاد الكفر عن طريق اعتناق أهلها له، وزيادة هجرات المسلمين إلى تلك البلاد وتكوينهم جاليات متفاوتة الحجم، مشهدان من مشاهد ذلك النقص في بلاد الكفر، يعيد التذكير بهما في موضع آخر من الخطاب القرآني﴿ بَلْ مَتَّعْنَا هَٰؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ ۗ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ [الأنبياء:44]، ليأتي تقريع المشركين لإحالتهم نصر المسلمين، وبيان دليل النصر الذي هو إنقاص سلطان الكافرين[4].

---

[1] ينظر: الكشاف، 534/2-535. والتحرير والتنوير، 170/13-171.

[2] ينظر: التحرير والتنوير، 171/13.

[3] ينظر: تفسير الطبري، 435/4.

[4] ينظر: التحرير والتنوير، 76/17.

ا-3-7/ الحض على الجهاد:

من بين القضايا القرآنية التي استعمل فيها الاستفهام عن فعل الرؤية(رأى) الحض على الجهاد والترغيب فيه، ففي قوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء:77]، جاء الاستفهام للتعجيب من حال بعض المسلمين الذين جبنوا عن مقاتلة المشركين، وقد كانوا من قبل أشد الناس دعوة إليه[1]، وهو مشهد مبصر يبين انقلاب حالهم إلى حال مغايرة[2].

ثم ينقل لنا النص القرآني صورة مماثلة من صور تقاعس الأمم السابقة عن الجهاد، ليحتج به على سوء منقلب تلك الطائفة، وتحذيرا لغيرهم من عاقبة هذا العمل حيث يقول ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُواْ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُواْ ۖ قَالُواْ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْاْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة:246]، إذ يأتي الاستفهام تعجيبيا من حال طائفة(ملأ) من بني إسرائيل – تباعد بهم الوقت عن زمن سيدنا موسى– تقاعسوا عن القتال حين دعوا إليه[3]، وهذه المقارنة التي عقدها النص القرآني في موضعين متباعدين، تدعو متلقي هذا الخطاب إلى

---

[1] ينظر: أسباب النزول، ص92–93، والتحرير والتنوير 124/5–125.

[2] أي أن الرؤية بصرية. ينظر: التحرير والتنوير 127/5.

[3] ينظر: الكشاف 291/1، وتفسير القرطبي، 229/4.

إدراك مآل التقاعس عن القتال نصرة للدين، فالجهاد ذروة سنام الإسلام، وبه يحفظ أهله وتسلم بيضته.

ا-3-8/ التحذير من صفات المنافقين:

وردت في النص القرآني كثير من الآيات التي تبين صفات المنافقين؛ ومن بين أخطر تلك الصفات، النجوى، وهي إسرار الكلام في خلوة[1]، ففي قوله تعالى﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة:7]، جاء التأكيد على "أن سمع الله محيط بكل كلام"[2]، وبذلك فإنه عليم بنجوى المتناجين مهما كان عددهم[3]، فإن كانوا ثلاثة فهو رابعهم، وإن كانوا خمسة فهو سادسهم، وإن كان عددهم أدنى من ذلك العدد أو أكثر، فهو معهم دائما أين ما كانوا، وهو أعلم بنجواهم.

إن هذا العرض بهذه الطريقة ليشكل في مخيلة المتلقي صورة ذهنية أقرب إلى المرئية عن معية الله تعالى لأولئك المتناجين مهما كان عددهم، ومهما كانت مجالسهم أو الزوايا المظلمة التي يتناجون فيها، و مهما كان التناجي بالغا في الخفوت والغموض، فإن الله به سميع عليم، ودليلنا في ذلك أنه كان بإمكان الخطاب أن يستغني عن ذكر العدد لأنه غير

---

[1] ينظر: معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص366.

[2] تفسير القرطبي، 307/20.

[3] ينظر: الكشاف، 489/4-490، والتحرير والتنوير، 27/28-28.

مخصوص[1]، فالتفصيل العددي يشعر المتلقي بمعية الله تعالى ويحذره من مغبة النجوى التي هي سمة من سمات المنافقين الذين يظهرون غير ما يبطنون.

ولتقريب مشهد التناجي وبيان خطره لدى متلقي الخطاب، حتى يرتدع عن هذا الفعل المشين الذي هو من الخصال المتأصلة في المنافقين، الذين لا ينتهون عنه إذا نهوا، تأتي جملة الاستفهام التعجيبي في قوله تعالى﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ ۚ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [المجادلة:8]، "مستأنفة استئنافاً ابتدائياً اقتضاه استمرار المنافقين على نجواهم"[2]، والرؤية هنا بصرية لتعديها بـ(إلى)[3]، ويرتسم مشهد العودة إلى هذه الخصلة المذمومة–خصلة التناجي– في عناصر متتالية؛ أولها العودة إلى التناجي بثلاث خصال بغيضة هي الإثم، والعدوان، وَمَعْصِيَة الرسول، والثانية تحية الرسول صلى الله عليه وسلم بما لم يحيه الله، وثالثا قولهم فِي أنفسهم بعد كل تلك النجوى – وقد علم الله مقالتهم– (لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ)، وبهذا تتضح الصورة الكاملة لحال المنافقين، وتَبْلُغُ رسالة التحذير من خصالهم.

إن حقيقة التناجي بالإثم والعدوان هي إظهار أمر وإخفاء عكسه، وهذا مرادف للكذب الذي هو من أقبح صفات المنافقين، مصداقا لحديث النبي صلى الله عليه وسلم... **وإذا حدَّث كَذَبَ...)**، فالكذب هو من أكبر وأظهر خصالهم، ويزيد عظما وخطورة في حال الحلف عليه، وفي هذا الشأن قال الله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ

---

[1] ينظر: التحرير والتنوير، 27/28.

[2] المصدر نفسه، 28/28–29، وينظر: الكشاف، 49/4، وأسباب النزول، ص228–229.

[3] ينظر: م ن، 29/28.

وَيَحۡلِفُونَ عَلَى ٱلۡكَذِبِ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾ [المجادلة:14]، فهم يتولون الكافرين ويناصرونهم ثم يحلفون أنهم من جماعة المسلمين وماهم من جماعة المسلمين، ويفضح الخطاب القرآني كذبهم على رسول الله وعلى المسلمين[1]، قال الله تعالى﴿وَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمۡ لَمِنكُمۡ وَمَا هُم مِّنكُمۡ وَلَٰكِنَّهُمۡ قَوۡمٌ يَفۡرَقُونَ ﴾ [التوبة:56].

ولا يغادر النص القرآني عرض أحوال المنافقين حتى يبين لنا تجذر خصلة الكذب فيهم، ويرسم لنا مشهدا عجيبا من تذبذبهم بين المسلمين وإخوانهم الكافرين، فهم كما يكذبون على المسلمين ويدعون بأنهم معهم، يذهبون إلى الكافرين أيضا فيكذبون عليهم بأنهم معهم، وقد كَذَّبَ الله مقالتهم وفضحهم باستفهام[2]، حيث قال﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخۡوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَئِنۡ أُخۡرِجۡتُمۡ لَنَخۡرُجَنَّ مَعَكُمۡ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمۡ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلۡتُمۡ لَنَنصُرَنَّكُمۡ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ * لَئِنۡ أُخۡرِجُواْ لَا يَخۡرُجُونَ مَعَهُمۡ وَلَئِن قُوتِلُواْ لَا يَنصُرُونَهُمۡ وَلَئِن نَّصَرُوهُمۡ لَيُوَلُّنَّ ٱلۡأَدۡبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾ [الحشر: الآيتان11-12].

لقد وضح الله تعالى في الآيتين مشهد كذب المنافقين على إخوانهم الكافرين، فهم يكذبون على الكافرين بأنهم منهم، لكنهم حين يجد الجد ويحمى وطيس الحرب يولون الأدبار ولا ينصرونهم، ثم يعاودون الكرة مع المسلمين فيكذبون عليهم ويحلفون على الكذب أنهم معهم، إذاً فالنص القرآني يحذر المسلمين؛ إنهم يكذبون عليكم كما يكذبون على الكافرين، والخطر كل الخطر من لعبهم على الحبلين ووقوفهم موقف المتفرج من النزاع بينكم وبين أعدائكم.

---

[1] ينظر: أسباب النزول، ص230.

[2] ينظر: التحرير والتنوير، 98/28.

ا-3-9/ الدعوة إلى التمسك بكلمة الحق وهي الإيمان بالله:

للتفريق بين كلمة الإيمان وكلمة الباطل استعمل النص القرآني أسلوب الاستفهام عن فعل الرؤية القلبية، مضمنا مقارنة مشاهدة في الواقع، فيضرب مثل الكلمة الطيبة والكلمة الخبيثة[1] في قوله تعالى﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾ [إبراهيم: الآيات24-25-26]، وقد جاء التمثيل بالشجرة التي هي كائن مبصر مدرك، يدركه المتلقي، وله علم بالمفاهيم المتعلقة بنمو هذا الكائن، كمفهوم ثبات الأصل، ومفهوم امتداد الفرع، ومفهوم إيتاء الأكل، ومفهوم الاجتثاث، وهذه المقارنة بين طرفي ثنائية(كلمة طيبة/ كلمة خبيثة) تبدو بسيطة في ظاهرها، لكن المتعمق في دلالاتها يدرك ثنائيات أخرى أشد خطورة، من قبيل (كلمة الصدق/ كلمة الكذب) و(كلمة الإيمان/ كلمة الكفر) و(كلمة الحق/ كلمة الباطل) و(كلمة الشر/ كلمة الخير)، فهذا التمثيل بالشجرة سيق للكافرين ليتذكروا حجة الله عليهم فيعتبروا بها ويتعظوا، فينزجروا عما هم عليه من الكفر به إلى الإيمان به"[2].

ب/ الأبعاد المفهومية للفظ الجلالة (بصير) في أسلوب التذييل:

ب-1/ تمهيد: يعرّف التركيب اللغوي بأنه اجتماع لفظتين فأكثر في تركيب إسنادي أو غير إسنادي، حيث "ينشأ من هذا التركيب معنىً جديد لا تدل عليه معاني الألفاظ الداخلة فيه كل على حدة"[3].

---

[1] ينظر: الكشاف، 553/2، والتحرير والتنوير، 223/13.

[2] تفسير الطبري، 451/4.

[3] المصطلح اللغوي، محيي الدين توفيق ابراهيم، مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد (37)، ج4 /ص226 .

والتركيب القرآني – الذي هو تركيب لغوي في الأساس– هو المسهم الأكبر في إثراء معاني المفردات التي ترد فيه، وهو الذي تناط به مسؤولية الدلالة، بغض النظر عن العوامل الأخرى، كالعامل المعجمي أو العامل البلاغي، فاللفظ المفرد ذو الدلالة الواحدة أو الدلالات المتعددة المحتملة يكتسب من خلال مجاورته لبقية الألفاظ المشكلة للتركيب أو السياق القرآني دلالة معجمية دقيقة فريدة، فالبنية الدلالية تتغير مع أبسط تغير في بنية التركيب اللغوي المؤلف لعناصر الخطاب.

وتتخذ الألفاظ مع بعضها البعض تشكيلات تركيبية سياقية لا حدود لها، ذات تشكيلات دلالية متنوعة أيضا، تنتج من تشعب وتعقد طرق الفهم والتأويل، وقد تحتمل البنية اللغوية الواحدة معاني متعددة، إما بسبب طبيعة التركيب، وإما بسبب مقاصد السياق، تتجاوز فيها البنية السطحية للتركيب، إلى حيثيات التلفظ، فضلاً عن ما في التركيب من حمل على التأويل وحسب فكر المؤول[1].

ومن بين ما تعتمد عليه آلية فهم الخطاب، أساليب الانزياح عن معاني الألفاظ المعجمية إلى معانٍ مجازية، مرتبطة بالمعاني الأصلية ارتباطا ظاهرا أو خفيا، وهي الأساليب البلاغية التي تشمل التشبيه والاستعارة والكناية والمجاز، و"هي عمل إرادي من صنع المتكلم وإدراكه، وهي وسيلة التعبير الجميل يصل به صاحبه إلى المعنى المراد بألفاظ منتقاة، ولكن هذه الألفاظ تتخذ طريقاً آخر في التعبير، والغرض منه الانتقال بالتركيب إلى معانٍ أخرى لا تؤديها عندما تأتي منفردة "[2].

---

[1] ينظر: قضايا اللغة في كتب التفسير (المنهج، التأويل، الإعجاز)، الهادي الجطلاوي، ط1، نشر جامعة سوسة– تونس: 1998م، ص305.

[2] المصطلح اللغوي، 229/4.

ومن الأساليب القرآنية التي تسهم بالتراكيب في الانتقال إلى معان أخرى، أسلوب التذييل واحتواؤه على لفظ الجلالة (بصير) الذي يؤدي مجموعة من الأبعاد المفهومية (الدلالية) التي يمكن تقسيمها إلى بعدين؛ بعد رئيسي يشكل جوهر الخطاب القرآني، ويتمحور حول بناء عقيدة التوحيد، وبعدا فرعيا تتشكل به مجموع المفاهيم القرآنية التي يقع فيها هذا اللفظ؛ فالقرآن الكريم يقوم خطابه – ضمن هذين البعدين– على تشابك قضايا رئيسية على المستوى الأفقي، بحيث لا يمكن فصل إحداها عن الأخرى؛ كقضايا العقيدة، وقضايا العبادات، وقضايا المعاملات، وغيرها، هذا من جهة، ومن جهة أخرى يسهم هذا التشابك في عملية البناء العمودي لمجموع قضايا متنوعة.

ولاستخلاص تلك الأبعاد المفهومية التي يؤديها في هذا الأسلوب القرآني، لابد من الأخذ بعين الاعتبار المحيط الذي يقع فيه هذا اللفظ، فهو يقع في جملة تذييل لجملة أخرى تشكلان آية قرآنية، والآية في العرف البلاغي القرآني تسهم في البناء الدلالي للمقطع القرآني (الذي هو مجموعة من الآيات)، ويشكل المقطع القرآني جزءا من الموضوع الرئيسي للسورة التي هي لبنة من لبنات الخطاب القرآني المتناسق، وفي سبيل اقتفاء أثر تلك الأبعاد المفاهيمية التي للفظ الجلالة(بصير) في أسلوب التذييل، سيتركز بحثنا في حدود المقطع القرآني، مستأنسين بمنهج التفسير الموضوعي الذي يصطلح عليه بـ(التفسير الموضوعي للمصطلح القرآني)، لأنه أقرب إلى أهداف بحثنا؛ إذ "يختص هذا اللون بالمصطلحات والمفردات القرآنية، حيث يختار الباحث لفظا من ألفاظ القرآن ورد كثيرا في السياق القرآني، فيتتبعه في السور والآيات، ويلحظ اشتقاقاته وتصاريفه المختلفة، وينظر في الآيات التي أوردته مجتمعة، ويستخرج منها الدلالات واللطائف والحقائق"[1].

---

[1] التفسير الموضوعي؛ بين النظرية والتطبيق، ص59.

وهكذا فإن هذا المنهج في التفسير يركز على الكلمة، حيث يستقصي كل ما يتعلق باللفظ القرآني من الدلالات اللغوية والشرعية وغيرها؛ "فالباحث في التفسير الموضوعي للمصطلح القرآني يبقى مع المفردة القرآنية التي اختارها، ويتابع معناها في معاجم اللغة، واشتقاقاتها وتصريفها في القرآن، ويلاحظ ما طرأ على وضع هذه اللفظة القرآنية من تغييرات في آيات القرآن، ويحاول أن يعلل ذلك، ثم يستخرج لطائف ودلالات من سَيْرِهِ مع هذا المصطلح القرآني"[1]، وقبل التطرق إلى الأبعاد المفاهيمية للفظ الجلالة (بصير) لابد من التعرض للدلالة اللغوية والشرعية لهذا اللفظ اللغوية.

ب-2/ دلالة لفظ الجلالة (بصير):

عرف ابن الأثير لفظ الجلالة (بصير) فقال:" البَصِيرُ الذي يشاهد الأَشياء كلها ظاهرها وخافيها بغير جارحة"[2]، قال سبحانه وتعالى﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الإسراء:1]، ويرى **الإمام السنوسي**(832هـ/895هـ) أن" السمع والبصر لا ينكشف بهما في حقه – تبارك وتعالى– شيء لم يكن منكشفا لعلمه جل وعلا؛ لوجوب إحاطة علمه – تبارك وتعالى– بجميع المعلومات جُمَلِها وتفصيلها، وإنما السمع والبصر يزيدان على العلم في حقه جل وعلا بحقيقتيهما وتعلقيهما الخاص بهما، ولا يزيدان في حقيقة علمه شيئا أصلا"[3]، كما أن

---

[1] التفسير الموضوعي؛ بين النظرية والتطبيق، ص62.

[2] لسان العرب، 64/4. مادة(بصر).

[3] شرح المقدمات، أبو عبد الله محمد بن يوسف الحسني(السنوسي)، تح: نزار حمادي، ط1، مكتبة المعارف، مصر: 2009م، ص151.

التعدية بحرف الباء في قوله تعالى ﴿ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴾ [آل عمران: من الآية15]، تفيد بأن من معاني اسم الجلالة (البصير) العلم، فالله بصير تمام الإبصار، وعليم تمام العلم.

وقد ورد لفظ الجلالة(بصير) في تذييل الآيات التي ورد فيها، إما منفردا نحو قوله تعالى﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴾ [الفرقان: من الآية20]، أو متعلقا بأحد صفتيه أو اسميه الحسنيين (سميع) نحو قوله تعالى﴿ مَّا خَلۡقُكُمۡ وَلَا بَعۡثُكُمۡ إِلَّا كَنَفۡسٖ وَٰحِدَةٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ﴾ [لقمان:28]، عدا قوله تعالى﴿فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا﴾ [الإنسان: من الآية2]، فإن لفظ بصير متعلق بالإنسان[1]، أو (خبير) نحو قوله تعالى ﴿ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِنۢ بَعۡدِ نُوحٖۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرًا ﴾ [الإسراء:17]، أو مقترنا بلفظ ((ي) تعملون) نحو قوله تعالى﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ [الأحزاب: من الآية9].

ب-3/ دلالات ارتباط لفظ (بصير) بلفظي (سميع) و(خبير):

لقد اشار الزمخشري إلى أن ارتباط لفظ (بصير) بأحد صفتيه أو اسميه الحسنيين دليل على أن بين الصفتين أو بين الاسمين وبين متعلق الآية علاقة دلالية[2]، وهذا ما يسميه ابن عاشور(تعليل مضمون الآية)، وقد جاء توضيح هذه العلاقة في تفسير قوله تعالى﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴾ [آل عمران: من الآية20]، فالله سبحانه "لم يقل إنه عليم بالعباد، لأن (عليم) تكون للأمور العقدية، لقد قال الحق في وصف ذاته هنا (إنه بصير بالعباد)، والبصر لا

---

[1] ينظر: الكشاف، 666/4.

[2] ينظر: تفسير الشعراوي، 2354/4.

يأتي إلا ليدرك حركة وسلوكا، فماذا يرى الله من العباد؟ إنه – سبحانه – يرى العباد المتحركين في الكون، وهل حركة العبد منهم تطابق الإسلام أو لا؟ ومتابعة الحركة تحتاج إلى البصر، ولا تحتاج إلى العلم"[1].

وتزداد دلالات هذا الارتباط بين صفتي(سميع) و(بصير) وضوحا من خلال صيغتيهما؛ صيغة المبالغة، وصيغة اسم الفاعل، حيث أن هناك فرقا بين قولك(سميع) و(بصير)، وبين قولك(سامع)و(مبصر)، فلفظ(مبصر) متعلق بوجود ما يُبْصر، ولفظ(بصير) يستوجب وجود صفة الإدراك للمبصر إن وجد، وإن لم يوجد فهو أكبر من كونه (مبصرا)، إنما هو (بصير)، ونفس الأمر ينطبق على لفظ (سميع)[2].

وأما ارتباط لفظ الجلالة (بصير) بلفظ((ي) تعملون) تقديما أو تأخيرا نحو قوله تعالى﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: من الآية110]، ونحو قوله﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران:163]، فله علاقة بالفروق الدلالية بين الفعل والعمل، حيث أن "العمل أهم الأحداث... وكل أداء مهمة من جارحة يقال له(عمل)، لكن(الفعل) هو تعلق كل جارحة غير اللسان بالحدث، أما تعلق اللسان فيكون قولا ومقابله فعل... إذاً فالعمل يشمل ويضم القول والفعل معا؛ لأن العمل هو شغل الجارحة بالحدث المطلوب منها، لكن الفعل هو شغل جارحة غير اللسان بالعمل المطلوب منها، وشغل اللسان بمهمته يسمى(قولا) ولا

---

[1] تفسير الشعراوي، 1371/3.

[2] ينظر: المصدر نفسه، 2355/4.

يسمى(فعلا)، لماذا ؟ لأن الإنسان يتكلم كثيرا، لكن أن يحمل نفسه على أن يعمل ما يتكلمه فهذه عملية أخرى، ولذلك يقول الحق﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾ [الصف:2]"[1].

إن لفظ(بصير) يضطلع بتأدية دلالتين أساسيتين في اقترانه بلفظي (سميع) و(خبير) وكذا لفظي((ي)تعملون) و(العباد) في السور المكية والمدنية، الأولى إثبات الوحدانية لله تعالى، والثانية الدلالة على كمال مراقبة الله تعالى لأعمال البشر، وهذا ما يمكن أن تشير إليه نسبة (98%) من اقتران هذا اللفظ بلفظ((ي)تعملون) في الآيات المدنية(18 آية مدنية، وآية واحدة مكية)، بينما نجد اقتران لفظ(خبير) بلفظ(بصير) متركزا بنسبة(100%) في السور المكية، ولهذا علاقة بما ذكرناه من اهتمام القرآن ببيان القضية الأساسية التي هي إثبات وحدانيته وكمال صفاته عز وجل.

	سميع	خبير	العباد	(ي)تعملون
التواتر	6	5	4	19
النسبة المئوية	%15	%13	%10	%50

ب-4/ جدول مواضع التذييل بلفظ (بصير) في القرآن الكريم:

رقم السورة	السورة (مك/مد)	الآيات
2	**البقرة(د)**	﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ﴾ [من الآية96] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ [من الآية110] ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ [من الآية233] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ [من الآية237]

[1] تفسير الشعراوي، 1847/3.

		﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [من الآية265]
3	آل عمران(د)	﴿ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴾ [من الآية15] ﴿ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴾ [من الآية20] ﴿ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [من الآية156] ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ﴾ [من الآية163]
4	النساء(د)	﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ﴾ [من الآية58] ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ﴾ [من الآية134]
5	المائدة(د)	﴿ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ﴾ [من الآية71]
8	الأنفال(د)	﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [من الآية39] ﴿ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [من الآية72]
11	هود(ك)	﴿إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [من الآية112]
17	الإسراء(ك)	﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ [من الآية1] ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرًا ﴾ [من الآية17] ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرًا ﴾ [من الآية30] ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرًا ﴾ [من الآية96]
20	طه(ك)	﴿إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴾ [طه:35]
22	الحج(د)	﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ﴾ [من الآية61] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ﴾ [من الآية75]
25	الفرقان(ك)	﴿ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴾ [من الآية20]
31	لقمان(ك)	﴿ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ﴾ [من الآية28]
33	الأحزاب(د)	﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ [من الآية9]
34	سبأ(ك)	﴿ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [من الآية11]
35	فاطر(ك)	﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرُۢ بَصِيرٌ ﴾ [من الآية31] ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرَۢا ﴾ [من الآية45]

40	غافر(ك)	﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ [من الآية20] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴾ [من الآية44] ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ [من الآية56]
41	فصلت(ك)	﴿ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴾ [من الآية40]
42	الشورى(ك)	﴿ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٞ ﴾ [من الآية27] ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ [من الآية11]
48	الفتح(د)	﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٗا ﴾ [من الآية24]
49	الحجرات(د)	﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ [من الآية18]
57	الحديد(د)	﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴾ [من الآية4]
58	المجادلة(د)	﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ﴾ [من الآية1]
60	الممتحنة(د)	﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴾ [من الآية3]
64	التغابن(د)	﴿ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴾ [من الآية2]
67	الملك(ك)	﴿ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءم بَصِيرٌ ﴾ [من الآية19]
84	الانشقاق(ك)	﴿بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرَۢا﴾ [الانشقاق:15]

ب-5/ الأبعاد المفاهيمية للفظ الجلالة (بصير) في أسلوب التذييل:

ب-5-1/ بناء عقيدة التوحيد:

إن لكلمة(بصير) دلالات معجمية ذكرناها سابقا، ولكننا سنبحث عن إمكانية وجود مقتضيات معجمية أخرى حاصلة منها، وما ستسهم – تلك المقتضيات– في تشكيله من مفاهيم، في مختلف السياقات القرآنية التي ورد فيها لفظ الجلالة(بصير).

إن للفظ الجلالة(بصير) مقتضيين معجميين على الأقل، الأول هو اقتضاء وجود أشياء مبصرة؛ فالخلق وحركة حياتهم من ضمن الأشياء المبصرة، وكلمة (بصير) تدل على معنى المراقبة للخلق ولكل أعمالهم الظاهرة والباطنة، ووفق هذه الصفة الإلهية فالإنسان مطالب باستشعار هذه المراقبة في حركته وسكونه، مجتهدا في جعلها متوافقة مع ما شرَّعه الله تعالى، ولذلك جاء لفظ (بصير) متعديا إلى لفظ(ي/تعملون) مدعما وجود مقتضى أن"الإسلام سلوك لا اعتقاد فقط؛ لأن الذي يُرَى هو الفعل لا المعتقدات الداخلية، ومادام الله بصيرا بكل سكنات الإنسان وحركاته، فإن الإنسان يستحي أن يراه ربه على غير ما يحب"[1].

وأما المقتضى الثاني فيظهر من دخول الألف واللام على صفة (بصير)، حيث تخرج الكلمة من الصفة المشاعة إلى العَلَمية التي تفيد الانحصار، هذه الصفة التي نهضت لوظيفة حجاجية مهمة في المحيط العقيدي واللغوي الذي ظهرت فيه[2]؛ فحرفا التعريف إذ يحصران كمال صفة الإبصار ومنتهاه في الله تعالى، يفضيان إلى فكرة أن الخلق لا يشبهه في هذه الصفة﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: من الآية11].

إن من الدلالات التي تمخضت عن تركيز النص القرآني على ذكر لفظ(بصير) في آيات التذييل، هي أن الأصنام التي كان يعبدها المشركون والتي لا تتوفر فيها صفة الإبصار لا تستحق أن تكون آلهة، وعلى هذا يكون التقدير على نحو ما في كلمة(الله) من مقتضى معجمي، أن كلمة (بصير) قد اكتسبت –من خلال دخول الألف واللام عليها– مقتضيين اثنين؛ هما أن الله تعالى المتمتع بصفة الإبصار الكاملة المطلقة هو الإله الواحد الحق

---

[1] تفسير الشعراوي، 1371/3.

[2] ينظر: الحجاج في القرآن، ص96–97.

المستحق للعبادة، وبناء على ذلك فإن أعمال خلقه مبصرة لديه تمام الإبصار، مما يقتضي استشعار المراقبة من قبل المخلوق.

ومما يؤكد وجود هذين المقتضيين هو نسب انتشار لفظ الجلالة(**بصير**) في النص القرآني بين السور المكية والسور المدنية، فقد وجدنا -كما هو واضح في الجدول الموالي- أن لفظ(البصير) الدال على العَلَمِية ورد في تذييل أربع آيات مكية فقط، وكما هو معلوم فإن من خصائص القرآن المكي تركيزه على قضية رئيسية هي عقيدة التوحيد، ولذلك جاء لفظ(البصير) في الآيات المكية فقط، للإسهام في بناء القضية الأساسية الأولى للدين الجديد.

إن لفظ الجلالة(بصير) يسهم – من خلال تذييل آيات قرآنية متعددة المواضيع- في بناء الأبعاد المفهومية للنص القرآني، وقد حاولنا أن نقسم كثيرا من تلك الآيات في مجموعات تشكل كل واحدة منها بعدا مفهوميا على الأقل، كالإيمان بالله تعالى؛ والاستدلال على تصريف الله لشؤون الخلق، والدعوة إلى الإيمان بالبعث والآخرة والجزاء...الخ.

ب-5-2/ الاستدلال على تفرد الله بالإلهية، واتصافه بصفات الكمال الحسنى:

يفرض لفظ(البصير) في قوله تعالى﴿وَٱللَّهُ يَقۡضِي بِٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقۡضُونَ بِشَيۡءٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [غافر:20]، وعيدا وتعريضا بالمشركين وآلهتهم التي لا تسمع ولا تبصر، فكيف تنسب إليها الإلهية؟[1]، وفي قوله تعالى﴿ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗاۖ يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى:11] تنبيه المشركين إلى أن صفات كثير من الخلق كالسمع والبصر عارضة في

[1] ينظر: الكشاف، 159/4، والتحرير والتنوير، 118/24.

حقهم، وهي واجبة لله تعالى في منتهى الكمال، ولفظ(البصير) في هاتين الآيتين يؤدي وظيفة الاستدلال الواضح على تفرد الله بالإلهية، واتصافه بصفات الكمال الحسنى.

وقد اختلف المفسرون في ما يعود عليه ضمير(هو) في قوله تعالى ﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ [الإسراء:1]، هل يعود على الله تعالى أم على نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم)؟

إن تسبيح الله تعالى المتفرد بالألوهية هو القضية الرئيسية(البؤرة) التي تركز عليها هذه الآية، وأما قضية الإسراء بالنبي صلى الله عليه وسلم[1]، فهي متصلة بها مبينة لجوانب منها، حيث أن هذه الظاهرة المعجزة تشير إلى أمرين؛ أولهما هو تفرد المعبود بالألوهية واتصافه بصفات الكمال الحسنى، وأما الثاني فهو صدق نبوة عبد الله محمد صلى الله عليه وسلم، ولذلك كان الضمير(هو) في جملة التذييل(إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ) يتأرجح عوده بين (المعبود) و(العبد)، إلا أن عودته على(المعبود) تبدو أرجح، لكون السورة مبتدأة بتنزيه الله تعالى عن النقص(سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا).

إن جملة التذييل(إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ) جاءت لتعين بمفهومها المنطوق من الجملة الأولى أو ما ينبغي أن يفهم منها(سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآ)، لإسكات أصوات محتملة قد ترتفع بأجوبة ممكنة

---

[1] سورة (الإسراء) نزلت بعد سورة القصص، و تسمى أيضا سورة (بني إسرائيل)، ربما لكونها مصدَّرَةً بقصة تخريب المسجد الأقصى. ينظر: تناسق الدرر في تناسب السور، جلال الدين عبد الرحمن(السيوطي)، تح: عبد القادر أحمد عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان: 1986م، ص99.

على إثر فراغها من تلقي الجملة الأولى[1]، تلك الأصوات التي تعالت من كفار قريش، في شكل أسئلة- وهم لا يشكون في سلامة بصر العبد محمد (صلى الله عليه وسلم) ولا سمعه- وهي من قبيل: من أعطى محمدا هذه القدرة العجيبة على سماع وإبصار الغيبيات في وقت قصير جدا؟ فيتلقون الإجابة السريعة المنزهة للرسول عن الكذب والوهم؛ إن الله هو المسمع المبصر لنبيه الذي كذبتموه[2]. إن هذه الإجابة جاءت "لتسد الثغرات التي يمكن أن تتخلل كيان الكلام فتقعد به عن أداء وظيفته الحجاجية وأهدافه الإقناعية، التي جاء يروم تحقيقها في أذهان المتلقين"[3].

لقد اتبع المشركون طرقا شتى في الطعن في نبوة سيدنا محمد(صلى الله عليه وسلم)، وفي معجزة الإسراء والمعراج كان منهجهم التشكيك في سلامة سمعه وبصره، ولهذا كان الدفاع عن نبينا والاحتجاج له واضحا؛ إن الله الواحد الأحد سميع بصير متفرد بصفات الكمال، وهو القادر على أن يمنح عبده محمدا (صلى الله عليه وسلم) قدرة من السمع والبصر ليُسمعه وليريه ما يشاء من الوقائع والأحداث، ولذلك كان الابتداء في سورة الإسراء بالتسبيح باسمه تعالى، وكان اقتران لفظي(السميع) و(البصير) في التذييل قوة احتجاجية وبعدا دلاليا، لتعلقهما بالله(المعبود) القائم بفعل الإسراء.

وفي قوله تعالى﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [غافر:56]، جاءت عبارة (إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ) تذييلا لجملة ﴿فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ﴾ ولجملة ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ

---

[1] ينظر: الحجاج في القرآن، ص373-374.

[2] ينظر: التحرير والتنوير، 22/15.

[3] الحجاج في القرآن، ص373.

فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ﴾، حيث جاء لفظ(السميع) ومعه لفظ(البصير) بعد حرف التوكيد (إنَّ)، وضمير الحصر(هو)، بيانا لقدرة الله تعالى على إبطال ما يصنعه المجادلون في آياته من مكائد للنبي (صلى الله عليه وسلم)[1]، وتعليلا لأمر الله تعالى لنبيه بالدوام على الاستعاذة، لأن الله هو المطلع على أقوال وأعمال المجادلين في ءاياته بغير علم، ونبينا محمد (صلى الله عليه وسلم) لا يمكنه الإحاطة علماً بتصاريف مكرهم وكيدهم[2]، ولذلك كانت مناسبة الآية بما قبلها أن جدال الكافرين انصب على آيات الله المثبِتة للبعث، و"جدالهم في إثبات البعث هو أكبر شبهة لهم ضللت أنفسهم"[3].

ومن ثمة يمكن أن يسهم لفظ(البصير) إلى جانب لفظ(السميع) في بناء البعد المفهومي المتعلق ببيان اقتداره سبحانه، واطلاعه بصفتي السمع والإبصار الكاملتين على مكائد المنكرين للبعث، وهو القادر الكفيل دون أحد من العالمين بدفع كيدهم، وهذا الخطاب الموجه في المقام الأول إلى نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم) يشكل تثبيتا عقديا لكل متلق للخطاب القرآني.

ب-5-3/ إثبات الإلهية والربوبية لله تعالى من خلال تصريفه لشؤون خلقه:

تزخر سورة الإسراء بآيات كثيرة يشكل فيها لفظ الجلالة(بصير) أبعادا مفهومية متنوعة، منها الاستدلال على تصريف الله لشؤون الخلق، نحو قوله تعالى﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا﴾ [الإسراء:30]، وقوله﴿ وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ

---

[1] ينظر: التحرير والتنوير، 175/24.

[2] ينظر: المصدر نفسه، 175/24.

[3] م ن، 175/24.

وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٌ﴾ [الشورى:27]، فالله العليم بأحوال عباده، يبسط الرزق لمن يشاء، ويقدره على من يشاء، وهو إذ يفعل ذلك لا يفعله ظلما وبغيا على كثير منهم، ولكنه يفعله بحسب ما يليق بكل منهم، وبحسب ما جبلت عليه نفوسهم[1].

وأما في قوله تعالى﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴾ [الإسراء:96]، فيدل لفظا (خبير) و(بصير) على الشهادة الإلهية الكافية على تبليغ الرسول(صلى الله عليه وسلم) لرسالته، وعلى تكذيب الكافرين له ومجادلتهم في الحق[2].

وفي قوله تعالى﴿إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴾ [طه:35]، يُضَمِّن لفظ الجلالة (بصير) دعوة ورجاء سيدنا موسى لله تعالى العالم بأحواله، أن يعضده بسيدنا هارون الذي هو نعم المعين بما أوتي من فصاحة اللسان[3]، وتتضح القدرة الإلهية المتفردة على اصطفاء الأنبياء والرسل، من خلال جملة التذييل في قوله تعالى﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [الحج:75]، حيث جاء لفظا(سميع) و(بصير) المؤكدين بـ(إنَّ) تعليلا لمضمون الجملة(ٱللَّهُ يَصْطَفِى)، لأن الله تعالى المحيط علما بكل شيء هو الذي يختص باصطفاء الرسل من الملائكة أو من البشر[4]، ولا يبرح النص القرآني فكرة الاطفاء هذه حتى يعيد "إقناع السامعين بأن الله عليم بعباده وهو يعاملهم بحسب ما يعلم منهم، ويصطفي

---

[1] ينظر: الكشاف، 224/4. وتفسير الطبري، 495/6.

[2] ينظر: المصدر نفسه، 695/2.

[3] ينظر: م ن، 62/3.

[4] ينظر: التحرير والتنوير، 344/17، وتفسير القرطبي، 449/14.

منهم من علم أنه خلقه كفئا لاصطفائه"[1]، وذلك من خلال قوله تعالى﴿وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ هُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرُۢ بَصِيرٞ﴾ [فاطر:31].

وقد أنكر المشركون نبوة سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) وطعنوا في أحقيته في الاصطفاء، زاعمين أن حاله مناف للرسالة، وقد أورد الله مقالتهم﴿وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۗ لَوۡلَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَلَكٞ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا﴾ [الفرقان:7]، حيث " كنّوا بأكل الطعام والمشي في الأسواق عن مماثلة أحواله لأحوال الناس، تذرعاً منهم إلى إبطال كونه رسولاً، لزعمهم أن الرسول عن الله تكون أحواله غير مماثلة لأحوال الناس، وخصّوا أكل الطعام والمشي في الأسواق لأنهما من الأحوال المشاهدة المتكررة"[2]، فرد عليهم ربنا تعالى بقوله﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۗ وَجَعَلۡنَا بَعۡضَكُمۡ لِبَعۡضٖ فِتۡنَةً أَتَصۡبِرُونَۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرٗا﴾ [الفرقان:20]، فوقع التذييل بقوله (وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا) إخبارا لنبيه بأنه عليم بما يلاقيه من قومه من تكذيب، ويحثه على الصبر عليهم، ويعده بأنه لن يضيع جزاء ذلك الصبر، و"في الإسناد إلى وصف الرب مضافا إلى ضمير النبي إلماعا إلى هذا الوعد، فإن الرب لا يضيع أولياءه"[3].

والتأييد بالنصر للنبي (صلى الله عليه وسلم) ومعه المسلمون، والوعد به، من الأبعاد التي يؤكد عليها لفظ الجلالة (بصير) في قوله تعالى﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ

---

[1] التحرير والتنوير، 310/22، وينظر: الكشاف، 612/3.

[2] المصدر نفسه، 327/18.

[3] م ن، 345/18.

جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ [الأحزاب:9]، حيث جاء التذييل(وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا) "إيماء إلى أن الله نصرهم على أعدائهم، لأنه عليم بما لقيه المسلمون من المشقة والمصابرة في حفر الخندق، والخروج من ديارهم إلى معسكرهم خارج المدينة، وبذلهم النفوس في نصر دين الله، فجازاهم الله بالنصر المبين"[1].

واستشعار معية الله سبحانه العليم بجميع أحوال العباد، والطمع في نصره، والصبر على أذى المشركين، مدعاة إلى تفويض الأمور كلها إليه سبحانه، وهذا ما يعلله التذييل بلفظ الجلالة (بصير) في قوله تعالى﴿ فَسَتَذۡكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمۡۚ وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴾ [غافر:44][2].

وفي مواضع أخرى من القرآن الكريم، يتعزز مفهوم المراقبة الربانية لأعمال العباد، مما يدعو إلى استشعار معيته سبحانه، نحو قوله تعالى﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۖ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴾ [الحديد:4]، حيث تكمل عبارة التذييل بلفظ الجلالة(بصير) مضمون الجملة التي قبلها (وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ)[3]، والقدرة الربانية على المراقبة متأتية من كونه الإله الواحد خالق السموات والأرض، المحيط علمه بما فيهما.

والخطاب الرباني الدال على المراقبة والعلم الربانيين، ليس موجها إلى المؤمنين فقط، ولكنه موجه إلى الناس جميعا، مؤمنهم وكافرهم، ولذلك يأتي لفظ الجلالة(بصير) من خلال

---

[1] التحرير والتنوير، 279/21. وينظر: تفسير الطبري، 162/6-163.

[2] ينظر: المصدر نفسه، 157/24.

[3] ينظر: م ن، 364/27.

الإسناد في جملة التذييل في قوله تعالى﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمۡ فَمِنكُمۡ كَافِرٞ وَمِنكُم مُّؤۡمِنٞۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ [التغابن:2]، متمما للمقصود من التقسيم، وداعيا إلى الاحتراس من توهم الفريقين (المؤمنين والكافرين) أن الله راض بالحالين، مكنيا به عن الوعد والوعيد[1].

لقد رأينا في الطائفة الأولى من الآيات التي أغلبها مكي كيف أسهم لفظ الجلالة(بصير) في تذييل الآيات في بيان البعد المفهومي الرئيسي؛ إثبات الإلهية والربوبية لله تعالى من خلال تصريفه لشؤون خلقه، وقد تعددت مواضيع تلك الآيات؛ بين قسمة الله الرزق بين عباده، واعتماد النبي على شهادة الله في الحكم بينه وبين مكذبيه، ودعوة سيدنا موسى عليه السلام لله تعالى أن يعضده بأخيه، واصطفاء الله للأنبياء من بين البشر، ونصر الله للمؤمنين في غزوة الخندق، وخلقه للملائكة، وتفويض الأمور إلى الله تعالى، وخلق العرش وتقدير ما بين السموات والأرض من الحوادث التي لا تغيب عن علمه، وخلق الناس وجعلهم بين طريقين؛ طريق الإيمان وطريق الكفر، كل هذا منطلقه تمام علمه- الذي لا تزيد في حقيقته صفة من صفاته عز وجل- بتلك الأحداث واطلاعه عليها، وتلك حجة وبرهان على إلهيته وربوبيته وقدرته على تصريف شؤون الخلق، ولذلك كان لفظ(بصير) كفيلا بأن يؤدي هذا البعد المفهومي في نفوس المتلقين.

ب-5-4/ الدعوة إلى الإيمان بالآخرة:

ومن الأبعاد المفهومية التي يؤديها لفظ الجلالة(بصير) الدعوة إلى الإيمان بالآخرة، التي هي أصل من أصول الإيمان، ففي الآخرة توفى كل نفس جزاءها بما عملت في الدنيا، قال تعالى﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا

[1] ينظر: التحرير والتنوير، 28/262-263.

تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [البقرة:110]، وقد تضمنت جملة التذييل هنا لفظ الجلالة (بصير)، "كناية عن عدم إضاعة جزاء المحسن والمسيء... وفي هذا وعد لهم يتضمن وعيدا لغيرهم، لأنه إذا كان بصيرا بما يعمل المسلمون كان بصيرا بما يعمل غيرهم"[1]، وقد يكون التذكير بجزاء العمل الصالح موجها إلى المؤمنين تحديدا، لحثهم على الاجتهاد فيه، كالدعوة الموجهة إلى آل سيدنا داوود (عليه السلام) في قوله تعالى﴿ أَنِ ٱعۡمَلۡ سَٰبِغَٰتٖ وَقَدِّرۡ فِي ٱلسَّرۡدِۖ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [سبأ:11][2]، إذ جاء الوعد الضمني في جملة التذييل بأن المجازاة بالعمل الصالح لا تكون إلا في اليوم الآخر، فوجب إذن الإيمان به.

ويتدعم لفظ الجلالة(بصير) بلفظ الجلالة(سميع) في جمل التذييل، لزيادة بيان ذلك الوعد والوعيد الإلهيين في الآخرة، فكما أن الله بصير بأعمال الناس من الفريقين، فهو سميع مطلع على السرائر، عالم بالنيات[3]، قال تعالى﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ﴾ [النساء:134].

وكما لاحظنا فإن لفظ الجلالة(بصير) يسهم في بناء البعد المفهومي المتعلق بالدعوة إلى الإيمان بالآخرة التي فيها وجود الجزاء والعقاب، فكون الله مؤكدا على أنه بصير بالأعمال التي يقدمها الناس لأنفسهم، وبصير بنياتهم فيها، وبصير بالأعمال الصالحة التي يقوم بها المؤمنون، كل ذلك مما يفهم منه ضمنيا الاحتجاج على وجود اليوم الآخر، ووجوب الجزاء على العمل صالحا كان أو سيئا.

---

[1] التحرير والتنوير، 672/1، وينظر: الكشاف، 177/1.

[2] المصدر نفسه، 157/22.

[3] ينظر: الكشاف، 574/1.

ب-5-5/ استحضار مراقبة الله تعالى:

إن تذييل كثير من آيات الخطاب القرآني بصفة أو صفتين من صفات الله عز وجل، لذو أبعاد مفهومية، لأن إدراك متلقي الخطاب لمعاني صفاته عز وجل يقوده إلى استنتاج ما يترتب عن تلك المعاني، فإدراكه لمعنى لفظ (بصير) أو (البصير) الدالين على تمام الاطلاع على الأشياء والإحاطة بمجملها وتفاصيلها، يؤدي به في ظل العلاقة الإيمانية بالمعبود إلى استخلاص ما ينشأ عن تلك المعاني من معاني جديدة، كوجوب زيادة الإيمان به، وبأنه المتصرف في شؤون الخلق، والتصديق بوجود الجزاء... إلخ، وبذلك يتحتم على المرء المراقبة الشخصية لأقواله وأفعاله لأن الله -بحكم صفاته الحسنى- يعلم سرها وعلانيتها.

ويسعى الخطاب القرآني في استخدامه لأساليب التخويف والتهديد والوعد الوعيد والإنكار والحث والترغيب وغيرها من الأساليب، إلى لتحقيق بعد مفهومي أخلاقي، هو تربية ملكة مراقبة الله، وهي سلوك ذاتي في نفس المسلم، فكون الله بصيرا بأعمال الخلق فهذا مدعاة لمراقبته والالتزام بدينه، وتدل الجملة المذيَّلة بجملة تحتوي على لفظ الجلالة (بصير)- في الأغلب- على التهديد أو التوبيخ أو الوعد والوعيد، وهذا اللفظ وإن كان دالا على معنى العلم لتعديه بحرف الباء، إلا أن استعماله دون لفظ (عليم) له دلالة لا قولية إضافية، وهي أن استشعار الإنسان لرؤية الله لأعماله أقوى في نفسه من استشعاره لعلم الله بها، وهذه فطرة إنسانية لا تغادر طبائع البشر، وتتراوح بين الزيادة والنقصان بحسب درجات الإيمان لديهم.

والله سبحانه يفضح أولئك المنافقين الذين لا يستشعرون رؤيته، ففي قوله تعالى ﴿ يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمۡ إِذۡ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرۡضَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا

يَعۡمَلُونَ مُحِيطًا ﴾ [النساء:108]، يقدم الدليل على عدم تمكن الإيمان منهم، فلو أنهم استشعروا رؤيته لكان منهم الاستحياء منه، ولكن لما لم يصدق منهم الإيمان لم يتمكن منهم الاستشعار بالرؤية، ولذلك فهم يستحيون من الناس لأنهم يرونهم رأي العين، أما المؤمن فلا يعتقد أنّه يستطيع أن يستخفي من الله[1]، لأنه يعلم أن الله به بصير، عالم بأحواله الظاهرة والباطنة، ولذلك جاء التذييل بلفظ الجلالة (بصير) كناية عن الوعيد بالعقاب على أعمال الذين يشككون في آيات الله[2] في قوله تعالى﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآۗ أَفَمَن يُلۡقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيۡرٌ أَم مَّن يَأۡتِيٓ ءَامِنٗا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [فصلت:40].

ونجد التهديد والتوبيخ لأولئك الكافرين الطامعين في الحياة الدنيا ماثلا في جملة التذييل في قوله تعالى﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمۡ أَحۡرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٖ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمۡ لَوۡ يُعَمَّرُ أَلۡفَ سَنَةٖ وَمَا هُوَ بِمُزَحۡزِحِهِۦ مِنَ ٱلۡعَذَابِ أَن يُعَمَّرۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ﴾ [البقرة:96]، "لأن القدير إذا علم بما يجترحه الذي يعصيه، وأعلمه بأنه علم منه ذلك، علم أن العقاب نازل به لا محالة"[3]، وهذا ما يدعو المؤمن إلى استشعار النداء الرباني المتضمن في الجملة المذيلة وجملة التذييل في قوله تعالى﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ كَانُواْ غُزّٗى لَّوۡ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجۡعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسۡرَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡۗ وَٱللَّهُ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴾ [آل عمران:156]، إذ يأتي التحذير من إضمار العودة إلى ما تم النهي

---

[1] ينظر: التحرير والتنوير، 194/5.

[2] ينظر: المصدر نفسه، 305/24.

[3] م ن، 619/1.

عنه[1]، أو إخفاء الطغيان[2]، نحو قوله تعالى﴿ فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴾[هود:112].

إن استشعار مراقبة الله تعالى يستدعي من المؤمن الخوف منه والاهتداء بشرعه[3]، وهذا ما يؤكده لفظ الجلالة(بصير) في قوله سبحانه ﴿وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِۖ ... وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴾ [البقرة:233]، والالتزام بالشرع ليس معناه إهمال الفضل، ومنه العفو الذي يقابله رضا الله[4]، وذلك ما تعلله جملة التذييل في قوله تعالى﴿وَإِن طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدۡ فَرَضۡتُمۡ لَهُنَّ فَرِيضَةٗ فَنِصۡفُ مَا فَرَضۡتُمۡ إِلَّآ أَن يَعۡفُونَ أَوۡ يَعۡفُوَاْ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ عُقۡدَةُ ٱلنِّكَاحِۚ وَأَن تَعۡفُوٓاْ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۚ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ [البقرة:237].

هذه بعض من الأبعاد المفهومية التي رأينا أن لفظ الجلالة(بصير) التي يؤديها في أسلوب التذييل في القرآن الكريم، وإن كان من الصعوبة فصل تلك الأبعاد عن بعضها بعضا.

ج/الأبعاد المفهومية للفظ الرؤية(نظر) في القرآن الكريم:

ج-1/ تعريف مفهوم النظر في اللغة: النظر في اللغة "حِسُّ العين"[5]، وتشترك في هذا اللفظ دلالات كثيرة، حيث يطلق على الرؤية البصرية، وعلى الفكر في الشيءِ وتقديره

---

[1] ينظر: التحرير والتنوير، 143/4.

[2] ينظر: الكشاف: 432/2، والتحرير والتنوير، 177/12.

[3] ينظر: التحرير والتنوير، 440/2.

[4] ينظر: المصدر نفسه، 465/2.

[5] لسان العرب، 215/5. مادة(نظر).

وقياسه، والتأمل الذي حقيقته التدبر أو الاعتبار أو الاستدلال، وعلى الإنظار بمعنى التأخير؛ تقول(أنْظَرَهُ) أي: أخَّرَهُ[1]، نحو قول الله تعالى﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ [البقرة: من الآية280].

ويطلق لفظ (النظر)على الانتظار، وهو الوقوف والتمهل؛ "يُقال نَظَرْتُ فلاناً وانْتَظَرْتُه بمعنى واحد"[2]، نحو قوله سبحانه﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ [الحديد: من الآية13]، أي: "انتظرونا"[3] نقتبس من نوركم، وقوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا﴾ [البقرة:من الآية104]، وقوله ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ﴾ [النساء: من الآية46].

كما يدل (النظر) على الرحمة والعطف، وعلى العناية للغير، وعلى المقابلة كقولك(هذا الباب ينظر إلى ذلك الباب) إذا تقابلا[4].

إن هذا الزخم الدلالي الذي احتواه لفظ (نظر) في القرآن الكريم أهله للإسهام في بناء مفاهيم قرآنية كثيرة، ضمن شبكة المفاهيم المعقدة، وخصوصا ضمن موقعه في حقل ألفاظ الرؤية، ودلالته على مفهومي الرؤية؛ الحسي والمعنوي.

---

[1] ينظر: كتاب العين، 155/8-156، باب (الظاء والراء والنون معهما). و ينظر: الكافية في الجدل، (الجويني) إمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله بن يوسف، تح وتق: فوقية حسين محمود، دط. مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه، القاهرة، مصر:1979، ص16-17.

[2] لسان العرب، 216/5. مادة(نظر).

[3] تفسير الطبري، 224/7.

[4] ينظر: الكافية في الجدل، ص16-17.

وقد بين الزمخشري أن الفرق الجوهري بين النظر والرؤية هو الإدراك، وذلك في معرض تفسيره لقول الله تعالى﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ﴾ [الأعراف: من الآية143]، حيث قال:" فإن قلت: الرؤية عين النظر، فكيف قيل: أرني أنظر إليك؟ قلت: معنى أرني نفسك، اجعلني متمكناً من رؤيتك بأن تتجلى لي فأنظر إليك وأراك، فإن قلت: فكيف قال(لَنْ تَرَانِي) ولم يقل (لن تنظر إلي)، لقوله أَنْظُرْ إِلَيْكَ؟ قلت: لما قال أَرِنِي بمعنى اجعلنى متمكناً من الرؤية التي هي الإدراك، علم أن الطُّلْبَة هي الرؤية لا النظر الذي لا إدراك معه"[1].

أما الراغبُ الأصفهاني فلم ير في مفهوم(النَّظَرَ) نفيا لمعنى الإدراك، لأن "النَّظَر تقليب البصر والبصيرة لإدراك الشيء ورؤيته... واستعمال النظر في البصر أكثر عند العامة، وفي البصيرة أكثر عند الخاصة"[2].

تتجاوز دلالات لفظ (نظر) الدلالة المعجمية باختلاف صيغه وحيثيات وروده في السياقات القرآنية، تستجليها التفاسير المختلفة، مثال ذلك قوله تعالى﴿قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ﴾ [الأعراف: من الآية129]، فقوله ﴿فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ﴾ يمكن أن يحمل دلالة عامة هي أن الله يرى الأعمال الحسنة والقبيحة، وشكر النعم وكفرانها ليجازي كل نفس بما كسبت[3]، كما تشير العبارة إلى معنى خاص "يدل على أنهم سوف يخونون العهود، ويفعلون الأشياء التي لا تتناسب مع هذه

---

[1] الكشاف، 152/2-153.

[2] معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص276.

[3] ينظر: الكشاف، 144/2.

المقدمات... هو سبحانه لا ينظرها ليعلمها– حاشا لله– فهو عالمها، ولكنه لا يريد أن يحكم بعلمه على خلقه، ولكن يريد أن يحكم على خلقه بفعل خلقه"[1].

ج–2/ الأبعاد المفهومية للفظ (نظر) في القرآن الكريم:

ج–2–1/ الدعوة إلى استخلاص المعرفة الحاصلة عن التأمل الحسي والعقلي:

يسهب القرآن الكريم في الدعوة إلى التأمل في المشاهد الطبيعية والكونية، مستعملا بذلك فعل الأمر (انظر)، نحو قوله تعالى﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ [يونس: من الآية101]، وقوله﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ﴾ [الغاشية:17]، كما استعمل أيضا للدعوة إلى التأمل في المواقف الفكرية نحو قوله سبحانه﴿ قَالُواْ نَحۡنُ أُوْلُواْ قُوَّةٖ وَأُوْلُواْ بَأۡسٖ شَدِيدٖ وَٱلۡأَمۡرُ إِلَيۡكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأۡمُرِينَ ﴾ [النمل:33]؛ كأنما ارادوا بقولهم هذا :" نحن من أبناء الحرب لا من أبناء الرأي والمشورة، وأنت ذات الرأي والتدبير، فانظري ما ذا ترين: نتبع رأيك"[2].

وقد يكون الحث على تأمل حكم الله تعالى في خلقه باستعمال الاستفهام بالهمزة عن فعل الرؤية (نظر) كما في فعل الرؤية(رأى)، نحو قوله تعالى﴿ أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ ﴾ [الأعراف: من الآية185].

وقد يحتمل لفظ(نظر) معاني عدة كلها تجتمع تحت دلالة النظر المؤدي إلى الرؤية والتدبر، كما في قوله سبحانه﴿فَنَظَرَ نَظۡرَةٗ فِي ٱلنُّجُومِ * فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٞ﴾ [الصافات: الآيتان 88–89]،

---

[1] تفسير الشعراوي، 4307/7 و 4310/7.

[2] الكشاف، 364/3.

فدلالة نظر سيدنا إبراهيم هنا هي "إما أن يكون نظر فِي النُّجُومِ مباشرة بالعين، أو في علم النجوم، أو في كتابها، أو في أحكامها"[1].

ج-2-2/ الاعتبار بالمشاهد الكونية والحوادث التاريخية والغيبية:

لا يستعمل فعل الأمر(انظر) في الخطاب القرآني للدعوة إلى التأمل فقط، بل للحث على استخلاص العِبَر والعِظَات من قصص وأخبار الأمم السابقة، والأحداث الغيبية، نحو قوله تعالى﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ [يونس:73]، فقوله (فَٱنظُرْ) موجه إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم[2]، ويعني: "اعلم الأمر وكأنه مجسم أمامك؛ لأنك مؤمن بالله تعالى وكأنك تراه"[3]، كما أن الدعوة إلى النظر في عاقبة المنذرين "تعظيم لما جرى عليهم، وتحذير لمن أنذرهم رسول اللّه (صلى اللّه عليه وسلم) عن مثله، وتسلية له"[4].

وفي قوله سبحانه﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ [البقرة: من الآية50]، يركز الله تعالى على مشهد إغراق آل فرعون، حيث لم يكن لفرعون أن يتجبر في الارض ويبطش بالمؤمنين لولا أن قومه أعانوه، وفي هذا المشهد شفاء لصدور المؤمنين، ودعوة لهم لشكر الله تعالى على تخليصهم من هذا البلاء، وحث لهم على الاعتبار من عاقبة الطغيان في الأرض وإعانة[5].

---

[1] ينظر: الكشاف، 49/4.

[2] ينظر: تفسير الطبري، 230/4-231.

[3] تفسير الشعراوي، 6113/10-6114.

[4] الكشاف، 360/2.

[5] ينظر: تفسير الشعراوي، 331/1.

ج-2-3/ الإحسان من آثار النظر إلى العباد:

يبين الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز أن نظره إلى خلقه تكريم وإحسان لهم ورحمة بهم، والأشقياء في الدنيا والآخرة هم من يحرمون نظره سبحانه، لأن "النظر يعطي شيئا من الحنان... وهو سبحانه لا ينظر إليهم أساسا، لأن النظرة قد توحي بلون من الشفقة"[1]، ولذلك يقول ﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ [البقرة:162]؛ "أي لا ينظر إليهم أبدا، فكأنهم أهملوا إهمالا تاما"[2].

ولتقريب فكرة الإحسان المتأتي من النظر الإلهي في إطار(ليس كمثله شيء)، نأخذ مثالا – ولله المثل الأعلى– من واقعنا البشري، حيث "إن ولي الأمر من البشر عندما يرغب في عقاب أحد رعاياه لا ينظر إليه ويهمله، فما بالنا بإهمال الحق سبحانه وتعالى؟!، إنه إبعاد لهم عن رحمة الله ورضوانه"[3]، لذلك يقول ربنا سبحانه ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران:77].

ج-2-4/ تَوَعُّدُ الكافرين بالعذاب، والوعد بعدم تأخيره عنهم:

إن القرآن حافل بالآيات المتوعدة للكافرين بالعذاب، وواعدة إياهم بعدم تأخيره، حيث أن كثيرا منها يستعمل فيها لفظ(النظر) بصيغ متعددة لإثبات وعد الله ووعيده[4]، ففي قوله

---

[1] تفسير الشعراوي، 2/681-682.

[2] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3] م ن، 3/157.

[4] ينظر: تفسير الطبري، 4/225.

تعالى ﴿ وَٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴾ [هود:122] إنظار وإمهال للكافرين المكذبين بيوم الدين[1]، الذين استخفوا بوقوع العذاب عليهم في الدنيا، ويأتي التأكيد على عدم تأخير العذاب في نحو قوله سبحانه﴿خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ﴾ [البقرة:162]، وقد سبقت الإشارة إلى هذه الآية آنفا.

والله سبحانه وتعالى يحذر أولئك الكافرين من مغبة إنفاذ وعده ووعيدهم فيهم، ووقوع عذابه عليهم إن أصروا على عنادهم، حيث يقول﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۚ﴾ [البقرة: من الآية210]؛ فالتحذير هنا واضح، "أي ماذا ينتظرون؟... هل ينظرون حتى يروا ذلك الكون المنسق البديع قد اندثر، والكون كله تبعثر، والشمس كورت، والنجوم انكدرت، وكل شيء في الوجود تغير؟ وبعد ذلك يفاجؤون بأنهم أمام ربهم، فماذا ينتظرون؟"[2]

ج-2-5/ تنمية الملكات الحسية والعقلية للإنسان:

يحث الله سبحانه وتعالى الإنسان -من خلال كتابه العزيز- على إعمال جوارحه لتنمية مداركه(ملكاته) الحسية والعقلية، وذلك بدعوته إلى النظر في تنوع المخلوقات وكيفيات إخراجها، ففي قوله تعالى﴿ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَيۡءٖ فَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهُ خَضِرٗا نُّخۡرِجُ مِنۡهُ حَبّٗا مُّتَرَاكِبٗا وَمِنَ ٱلنَّخۡلِ مِن طَلۡعِهَا قِنۡوَانٞ دَانِيَةٞ وَجَنَّٰتٖ مِّنۡ أَعۡنَابٖ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشۡتَبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٍۗ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَيَنۡعِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمۡ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾ [الأنعام:99]، هذا

---

[1] مثال تلك الصيغ في نحو قوله سبحانه في [الأعراف:14-15]، و[يونس:102]، و[هود:55]، و[الحجر:8]، و[النمل:35]، و[السجدة:29]، و[الأحزاب:53]، و[الدخان:29،] و[الزخرف:66]، و[الحديد:13].

[2] تفسير الشعراوي، 891/2.

المنظر البديع العجيب يبين سبحانه وتعالى أنه "لا يعطي الإنسان حتى يملأ بطنه فحسب، لا، ولكنه يغذي كل الملكات في النفس الإنسانية حتى ملكات الترف، وملكات الجمال، وملكات الحسن، فيوضح لك قبل أن تأكل: انظر للثمر وشكله! لتغذي عينيك بالمنظر الجميل حين ترى الثمرة طالعة، وتتبعها حتى النضج..﴿ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَيَنۡعِهِۦٓۚ﴾، و(ينعه) أي: وصلت إلى النضج، وذلك إشاعة للتمتع بنعم الكون؛ لأن النظر إلى الثمر لا يعني أنني أملكه، فقد أراه في حقل جاري وأنظر إليه وأتمتع بشكله"[1].

ج-2-6/ الاستمساك بمنهج الله تعالى من خلال التدبر في الأحداث والنوازل:

تحفل كثير من السياقات في النص القرآني بعروض متنوعة لمنهج الله تعالى في البشر، ففي قوله تعالى﴿ قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ أَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ شِيَعٗا وَيُذِيقَ بَعۡضَكُم بَأۡسَ بَعۡضٍۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَفۡقَهُونَ ﴾ [الأنعام:65]، نجد تنويعا للحجج والبراهين، ووصفا لأحداث ونوازل متوقعة، الغرض منهما بيان أن خلاص البشرية هو التمسك بمنهج الله تعالى، وألا سبيل إلى ذلك إلا التفقه فيما ذكر من تصريف تلك الآيات[2].

هذه بعض الأبعاد المفهومية التي أسهم لفظ الرؤية(نظر) في تشكيلها ضمن الخطاب القرآني، وقد رأينا أن استقصاء كل المعاني والمفاهيم المتعلقة بألفاظ الرؤية أمر ينوء به كاهل الباحث، وتضيق به مساحة هذا البحث.

---

[1] تفسير الشعراوي، 6/3827-3828.

[2] المصدر نفسه، 6/3700.

خاتـــمة

لقد حاولت من خلال هذا البحث استكشاف بعض الأسس التي يمكن أن يبنى عليها حقل دلالي قرآني، مع استنباط بعض ملامح تشكيله، في ظل الأبعاد المفهومية للنص القرآني، متخذا من حقل ألفاظ الرؤية أنموذجا، وعلى هذا الأساس خلصت إلى النتائج التالية:

– إن كل حقل دلالي قرآني هو جزء من المعجم العام للغة، قد يضيق وقد يتسع وفقا للاحتياجات الدلالية المسهمة في تبليغ مفاهيمه.

– إن الحقل الدلالي القرآني يتكون–في أبسط حالاته– من مستويين من مستويات الألفاظ:

- ✓ الأول: مستوى الألفاظ الرئيسية التي تشكل الهيكل الرئيسي لبناء الحقل، وهي تنقسم إلى نوعين من الألفاظ؛ الألفاظ الأساسية التي تمتاز بميزة التبئير الدلالي، والألفاظ غير الأساسية.
- ✓ والثاني: مستوى الألفاظ غير الرئيسية، أو الموجِّهة، وتكون من خارج الحقل، وترتبط مع ألفاظ المستوى الأول في تراكيب الإضافة والوصف، ومن وظائفها الإعانة على تبليغ المفاهيم القرآنية للحقل.

– يسهم التحليل المعنوي للألفاظ من التعرف بدقة على مكانها في أحد المستويين.

– لا يمكن التضييق– في بناء حقل دلالي– على حرية حركة اللفظ داخل الحقل أو خارجه، حيث يمكن للفظ الواحد أن يكون في أكثر من حقل دلالي؛ إما في المستوى الرئيسي أو غير الرئيسي، حسب ما تقتضيه الضرورة لتبليغ المفاهيم.

– يمكن بناء حقل دلالي من خلال الكشف عن ملامح الشبكات المفهومية الأكثر عمقا من العلاقات الدلالية بين الألفاظ.

– يسهم كل حقل دلالي قرآني في تكوين شبكة المفاهيم القرآنية وفق مستويات يختص بها.

– تفرض شبكة المفاهيم القرآنية تداخلا بين الحقول، فقد يكون التداخل عموديا؛ حيث رأينا أن حقل ألفاظ الرؤية يمكن أن يكون جزءا من حقل أكبر هو حقل جوارح الإنسان، وقد يكون التداخل أفقيا، كما رأينا في تداخل الحقلين الفرعيين؛ حقل آلة الرؤية وحقل آلية الرؤية.

– يخضع بناء حقل دلالي قرآني إلى تحديد دقيق للعلاقات الدلالية بين ألفاظه، وفق السياقين، اللغوي والمقامي(القرآني).

– يجب الانتقال من التركيز على العلاقات الدلالية التي تجمع ألفاظ الحقل الدلالي القرآني، إلى التركيز على الأبعاد المفهومية يؤديها الحقل في شبكة المفاهيم القرآنية.

– يسهم التكرار الحقلي في التبئير الدلالي للألفاظ داخل الحقل القرآني.

– يسهم التبئير الدلالي للألفاظ في تشكيل الملامح المفهومية للحقل الدلالي.

– يمكن لمفردة أن تختص بأسلوب نحوي أو بلاغي، كما هو الشأن للفظ الرؤية(رأى) في أسلوب الاستفهام بالهمزة، أو لفظ الجلالة(بصير) في أسلوب التذييل، ويمكن للأسلوب أن يمنح المفردة ميزة التبئير الدلالي.

وأما النتائج الخاصة المتعلقة بالحقل النموذجي؛ حقل ألفاظ الرؤية، فهي كالتالي:

– يشكل حقل ألفاظ الرؤية في القرآن الكريم جزءا هاما في النص القرآني.

– يمكن بناء حقل ألفاظ الرؤية من حقلين أساسيين؛ هما:

- حقل ألفاظ آلة الرؤية وآليتها: ويتشكل من حقلين فرعيين:
  - ✓ حقل ألفاظ آلة الرؤية.
  - ✓ حقل ألفاظ آلية الرؤية.
- حقل ألفاظ طرائق الرؤية والترائي وآثارهما: ويتشكل هذا الحقل من ثلاثة حقول فرعية هي:
  - ✓ حقل ألفاظ طرائق الرؤية.

- ✓ حقل ألفاظ طرائق الترائي.
- ✓ حقل ألفاظ آثار الرؤية والترائي.

– تمتاز كثير من ألفاظ حقل الرؤية بالتبئير الدلالي، كلفظ(رأى) في صيغه المتنوعة، ولفظ(العمى)، ولفظ(بصير) في أسلوب التذييل.

– يسهم حقل ألفاظ الرؤية في تشكيل كثير من الأبعاد المفهومية القرآنية، وذلك على النحو التالي:

* يشكل لفظ(رأى) في أسلوب الاستفهام بالهمزة أبعادا متنوعة؛ كإثبات الإلهية والربوبية لله تعالى، والتحذير من الشرك وعواقبه، والدعوة إلى التمسك بكلمة الحق وهي الإيمان بالله، والدعوة إلى الإيمان بالبعث، وبيان أن القرآن حق، والتأكيد على حتمية ظهور الإسلام وغلبته، والحض على الجهاد، والتحذير من صفات المنافقين.

* يسهم لفظ(عمى) في صيغه المتنوعة في تشكيل الثنائية المفهومية الكبرى في القرآن الكريم؛ كثنائيات(النور–الظلام)، و(الهدى–الظلال)، و(الظلم–العدل)، و(العلم–والجهل) و(الإيمان–الكفر).

* يشكل لفظ لفظ الجلالة (بصير) في أسلوب التذييل أبعادا مفهومية متعلقة ببناء عقيدة التوحيد، والاستدلال على تفرد الله بالإلهية، واتصافه بصفات الكمال الحسنى، وإثبات الإلهية والربوبية لله تعالى من خلال تصريفه لشؤون خلقه، والدعوة إلى الإيمان بالآخرة، وتربية ملكة مراقبة الله تعالى.

* يسهم لفظ الرؤية(نظر) في تشكيل مفاهيم الدعوة إلى استخلاص المعرفة الحاصلة عن التأمل الحسي والعقلي، والاعتبار بالمشاهد الكونية والحوادث التاريخية والغيبية، والإحسان من آثار النظر إلى العباد، وتَوَعُّدُ الكافرين بالعذاب، ووعد بعدم تأخيره عنهم، وتنمية الملكات الحسية والعقلية للإنسان، والاستمساك بمنهج الله تعالى من خلال التدبر في الأحداث والنوازل.

وهكذا فإن البحث في موضوع الحقول الدلالية القرآنية خصب وشيق وممتع، ويحتاج إلى كثير من الجهود لإثرائه، والكشف عن أسراره.

فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم، برواية حفص عن عاصم.

المصادر والمراجع باللغة العربية:

(برنامج مصحف المدينة المنورة للنشر الحاسوبي/nashr.qurancomplex.gov.sa/site)

1- أسباب النزول، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي(النيسابوري)، دط، دار الفكر، بيروت- لبنان: 1994م.

2- أسرار البلاغة، عبد القاهر(الجرجاني)، عة: ميسر عقاد ومصطفى شيخ مصطفى، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان:2007م.

3- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني(الشنقيطي)، دط، دار الفكر، بيروت- لبنان: 1995م.

4- أثر المتكلمين في تطور الدرس البلاغي؛ القاضي عبد الجبار نموذجا، مصطفى(أبو شورب) وأحمد محمود المصري، ط1، دار الوفاء لدنيا الطباعة، الإسكندرية- مصر: 2006م.

5- الإتقان في علوم القرآن، أبو الفضل عبد الرحمن بن الكمال أبو بكر جلال الدين(السيوطي)، دط، قح: خالد العطار، دار الفكر، بيروت- لبنان: 2010م.

6- إعجاز الكلمة في القرآن الكريم؛ وجه غير مسبوق في إعجاز الكلمة المفردة، حسام هاشم(البيطار)، ط1، دار مجدلاوي، عمان- الأردن:2005م.

7- الإعجاز البياني في القرآن الكريم؛ دراسة نظرية تطبيقية في الآيات المحكمات، عمار(ساسي)، ط، عالم الكتب الحديث، إربد- الأردن: 2007م.

8- الألسنية العربية، طحان(ريمون)، ط2، دار الكتاب اللبناني، بيروت- لبنان: 1981م.

9- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي(البيضاوي)، دط، مكتبة الجمهورية العربية، مصر: دت.

10- الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، القاضي أبو بكر بن الطيب (الباقلاني)، تح: محمد زاهد بن الحسن الكوثري، ط2، المكتبة الأزهرية للتراث(دار التوفيق النموذجية)، مصر: 2000م.

11- بحوث ودراسات في علوم اللسان، الهواري عبد الرحمن(حاج صالح)، دط، موفم للنشر، الجزائر: دت .

12- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله(الزركشي)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط3، دار التراث، القاهرة- مصر: 1404هـ- 1984م.

13- بين الله والإنسان في القرآن؛ دراسة دلالية لنظرة القرآن إلى العالم، توشيهيكو(إيزوتسو)، تر: علي العاكوب، ط1، دار الملتقى، حلب- سورية: 2007م.

14- البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن محبوب(الجاحظ)، شر: علي أبو ملحم، دط، دار مكتبة الهلال، بيروت- لبنان: 2002م.

15- التحرير والتنوير، محمد الطاهر(ابن عاشور)، دط، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس: 1997م.

16- التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة؛ دراسة في الدلالة الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية، محمود(عكاشة)، ط1، دار النشر للجامعات، مصر: 2005م.

17- تحليل الخطاب الشعري، نور الدين (السد)، مجلة اللغة والأدب، ع8، الجزائر: 1996م.

18- الترادف في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق، محمد نور الدين (المنجد)، ط1، دار الفكر، دمشق- سوريا: 1997م.

19- التداولية عند العلماء العرب؛ دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، مسعود(صحراوي)، ط1، دار التنوير- الجزائر: 2008م.

20- التداولية اليوم؛ علم جديد في التواصل، آن(روبول) وجاك موشلار، تر: سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، ط1، دار الطليعة، بيروت- لبنان: 2003م.

21- تصحيح الوجوه والنظائر، أبو هلال الحسن بن عبد الله(العسكري)، تح وتع: محمد عثمان معلق، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة- مصر:2007م.

22- تطور البحث الدلالي: دراسة تطبيقية في القرآن الكريم، محمد حسين علي (الصغير)، دط، دار المؤرخ العربي، لبنان: دت.

23- التعريفات، علي بن محمد بن علي (الجرجاني)، تح: عادل أنور خضر، ط1، دار المعرفة، بيروت- لبنان: 2007م.

24- التفكير البلاغي عند العرب: أسسه وتطوره إلى القرن السادس، حمادي **(صمود)**، دط، منشورات الجامعة التونسية، تونس: 1981م.

25- التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن حسين القرشي(الفخر الرازي)، ط3، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان: دت.

26- التفسير الموضوعي؛ بين النظرية والتطبيق، صلاح عبد الفتاح(الخالدي)، ط2، دار النفائس، عمان- الأردن: 2008م.

27- تفسير الطبري: من كتابه (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، أبو جعفر محمد بن جرير (الطبري)، قح و تذ وتع: بشارة عواد معروف وعصام فارس الحرستاني، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان: 1415هـ - 1994م.

28- تفسير القرطبي؛ المسمى(الجامع لأحكام القرآن، والمبين لما تضمنه من السنة و آي الفرقان)، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر **(القرطبي)**، تح: عبد الله بن عبد المحسن

التركي، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت–لبنان: 2006

29– تفسير المنار، محمد(رشيد رضا)، ط2، دار المنار، القاهرة: 1947م.

30– تفسير الظلال، سيد(قطب إبراهيم)، دط، دار الشروق، القاهرة: دت.

31– تفسير الشعراوي، محمد متولي(الشعراوي)، دط، أخبار اليوم، مصر: دت.

32– تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد(الأزهري)، تح: مرعب محمد عوض، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت:2001م.

33– تأويل مشكل القرآن، أبو محمد عبد الله بن عبد المجيد بن مسلم (ابن قتيبة) الدينوري، ط3، المكتبة العلمية، بيروت– لبنان: 1981م.

34– الحجاج في القرآن؛ من أهم خصائصه الأسلوبية، عبد الله(صولة)، ط2، دار الفارابي، بيروت– لبنان: 2007 .

35– الحقول الدلالية الصرفية للأفعال العربية، سليمان(فيَّاض)، دط، دار المريخ، الرياض– المملكة العربية السعودية: 1990م.

36– الحيوان، أبو عثمان عمرو بن بحر (الجاحظ)، تح وشر: عبد السلام هارون، ط2، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر: دت.

37– الخصائص، أبو الفتح عثمان(ابن جني)، تح: عبد الحكيم بن محمد، دط، المكتبة التوفيقية، مصر: دت.

38– الخطاب النفسي في القرآن الكريم، كريم حسين ناصح (الخالدي)، ط1، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان– الأردن: 2007م.

39– دلائل الإعجاز، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد(الجرجاني)، تح: محمود محمد شاكر، ط3، دار المدني، جدة– المملكة العربية السعودية :1992م.

40– دلالة الألفاظ، إبراهيم (أنيس)، ط5، مكتبة الأنجلو، مصر: 1984م.

41- ديوان (امرؤ القيس)، ض وتص: مصطفى عبد الشافي، ط5، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان: 2005م.

42- ديوان (الأعشى)؛ ميمون بن قيس، شر وتق: مهدي محمد ناصر الدين، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان: 2003م.

43- ديوان (الحطيئة)؛ برواية وشرح ابن السكيت، در وتب: مفيد محمد قميحة، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان: 2003م.

44- ديوان النقائض؛ نقائض جرير والفرزدق، المثنى أبو عبيدة معمر التيمي البصري، ط1، دار صادر، بيروت- لبنان: 1998م.

45- ديوان (عنترة)، در و تح: محمد سعيد مولوي، دط، دار المكتب الإسلامي، القاهرة- مصر: دت.

46- رسائل النور2(المكتوبات)، بديع الزمان سعيد (النورسي)، تر: إحسان قاسم الصالحي، ط3، دار الكتب المصرية، مدينة نصر- القاهرة: 20012م.

47- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: أبو الفضل شهاب الدين محمود ابن عبد الله الحسيني (الألوسي)، دط، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان: دت.

48- شرح المقدمات، أبو عبد الله محمد بن يوسف الحسني(السنوسي)، تح: نزار حمادي، ط1، مكتبة المعارف- مصر: 2009م.

49- الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أبو الحسين أحمد(ابن فارس)، تع: أحمد حسن بسج، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان:1997م.

50- الصورة والإقناع؛ دراسة تحليلية لأثر خطاب الصورة في الإقناع، محمود حسن(شمال)، ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة- مصر: 2006م.

51- الأضداد في اللغة، محمد حسين (آل ياسين)، ط1، مطبعة المعارف، بغداد- العراق:

1974م.

52- الظاهرة الدلالية عند علماء العربية القدامى حتى نهاية القرن الرابع الهجري، صلاح الدين (زرال)، ط1، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت- لبنان: 2008م.

53- ظاهرة التكرار في القرآن الكريم: أغراض وأسرار، مصطفى بن حبيب (شريقن)، ط1، دار الكفاية، الجزائر: 2014م.

54- علَم الجذَل في علم الجدل، سليمان بن عبد القوي نجم الدين الحنبلي(الطوفي)، تح: فولفهارت هاينريشس، دط، مطبعة كتابكم، عمان- الأردن: 1987م.

55- علم الدلالة، كلود(جرمان) و ريمون لوبلون، تر: نور الهدى لوشن، دط، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية- مصر: دت.

56- علم الدلالة، أحمد(مختار عمر)، ط4، عالم الكتب، القاهرة: 1993م.

57- علم الدلالة؛ أصوله ومباحثه في التراث العربي، عبد الجليل (منقور)، دط، اتحاد الكتاب العرب، دمشق- سوريا:2001م.

58- علم الدلالة، جون (لاينز)، تر: مجيد عبد الحليم الماشطة وآخرون، دط، مطبعة جامعة البصرة- العراق:1980م.

59- علم الدلالة، فريد عوض حيدر، ط2، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة- مصر: 1999م.

60- علم اللغة التطبيقي: قضايا مختارة، محمود فهمي (حجازي)، دط، جامعة القاهرة، مصر: 1980م.

61- الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلابين للدقائق الخفية، سليمان بن عمر العجيلي(الجمل)، دط، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان: دت.

62- الفروق اللغوية، أبو هلال الحَسَن بْن عَبْد الله بْن سهل (العسكري)، دط، تح وتع:

محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة، مدينة نصر، مصر:1998م.

63- فقه اللغة وخصائص العربية؛ دراسة تحليلية مقارنة وعرض لمنهج العربية الأصيل في التجديد والتوليد، محمد(المبارك)، ط7، دار الفكر العربي، القاهرة: 1971م.

64- الفهرست، أبو الفرج محمد بن إسحاق (النديم)، تق: أيمن فؤاد سيِّد، دط، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن- بريطانيا: 1430هـ-2009م.

65- الفوائد المشوقة إلى علوم القرآن، شمس الدين أبي عبد الله محمد ابن أبي بكر(ابن القيم)، دط، إشراف لجنة تحقيق التراث، مكتبة الهلال، بيروت- لبنان: دت.

66- في علم اللغة عند العرب، ورأي علم اللغة الحديث، شرف الدين علي(الراجحي)، دط، دار المعرفة الجامعية، الأزاريطة- مصر: 2002م.

67- قضايا اللغة في كتب التفسير (المنهج ، التأويل ، الإعجاز)، الهادي الجطلاوي، ط1، نشر جامعة سوسة- تونس: 1998م.

68- القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب (الفيروزآبادي)، ط5، دار المعرفة، بيروت- لبنان:2011م.

69- قاموس القرآن الكريم؛ مضمون القرآن الكريم في قضايا الإيمان والنبوة والأخلاق والكون، محمد عبد الهادي (أبوريدة)، ط2، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت:1997م.

70- كتاب المنطق، محمد رضا (المظفر)، ط3، دار التعارف للمطبوعات، بيروت- لبنان: 127هـ-2006م.

71- كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية العربية، أبو حاتم أحمد بن حمدان (الرازي)، ط1، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء- اليمن: 1415هـ - 1994م.

72- كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد(الفراهيدي)، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دط، دار ومكتبة الهلال، مصر: دت .

73- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر(الزمخشري)، دط، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان: 1407هـ

74- كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد علي (التهانوي)، تق: رفيق العجم، ط1، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت- لبنان: 1996م.

45- اللسانيات واللغة العربية، عبد القادر الفهري(الفاسي)، ط1، منشورات عويدات، بيروت-لبنان: 1986م.

76- لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم(ابن منظور)، ط3، دار صادر، بيروت- لبنان: 1994م.

77- المحب والمحبوب والمشموم والمشروب، السري بن أحمد (الرفاء)، تح: مصباح غلاونجي، دط، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق- سوريا: 1407هـ-1986م.

78- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين (ابن الاثير)، تق وتع: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دط، دار نهضة مصر، القاهرة- مصر: دت.

79- المدارس اللسانية في التراث العربي وفي المدارس الحديثة، محمد الصغير(بناني)، دط، دار الحكمة، الجزائر: 2001م.

80- المسائل الاعتزالية في تفسير الكشاف للزمخشري، في ضوء ما ورد في كتاب الانتصاف لابن المنيَّر، عر ونق: صالح بن غرم الله(الغامدي)، ط1، دار الأندلس، حائل، المملكة العربية السعودية: 1998م.

81- المستصفي من علم الأصول، أبو حامد محمد بن محمد (الغزالي)، تح: محمد سليمان الأشقر، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان: 1997م.

82- المصطلح اللغوي، محيي الدين توفيق ابراهيم، مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد (37).

83- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد (الراغب الأصبهاني)، مكتبة نزار مصطفى الباز للنشر، دط، القاهرة- مصر: دت.

84- المعجم اللغوي العربي من النشأة إلى الاكتمال، الأخضر ميدني(ابن حويلي)، دط، دار هومة، الجزائر:2003م.

85- مصطلحات الدلالة العربي، دراسة في ضوء علم اللغة الحديث، جاسم محمد(عبد العبود)، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان: 2007م.

86- معجم مفردات ألفاظ القرآن، الحسين بن المفضل أبو القاسم(الراغب الأصفهاني)، ط1، دار الفكر، بيروت- لبنان: 2006م.

87- معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد (ابن فارس)، تح: عبد السلام محمد هارون، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان: 2001م، مادة(دل).

88- مفتاح العلوم، أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي(السكاكي)، تح: عبد الحميد هنداوي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان: 2000م.

89- المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، أبو محمد القاسم (السجلماسي)، تح: علال الغازي، ط1، مكتبة المعارف، الرباط- المغرب: 1980م.

90- منهاج البلغاء وسراج الأدباء، أبو الحسن حازم(القرطاجني)، تق و تح: محمد الحبيب بن الخوجة، ط3، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان: 1986م.

91- موازين القرآن، عز الدين(بليق)، ط1، دار الفتح للطباعة والنشر، بيروت- لبنان: 1983م.

92- النحو والدلالة ؛ مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي، عبد اللطيف(محمد حماسة)، ط1، دار غريب، القاهرة- مصر: 2006م.

93- النحو والدلالة، صلاح الدين صالح (حسنين)، ط1، مكتبة الآداب، القاهرة- مصر:

دت.

94- نظرية السياق القرآني؛ دراسة تأصيلية دلالية نقدية، المثنى عبد الفتاح(محمود)، ط1، دار وائل، عمان- الأردن: 2008م.

95- نظرية الاكتمال اللغوي؛ منهج شامل لتعليم اللغة العربية (الأصوات، الصرف، المعاجم، النحو)، أحمد طاهر(حسين)، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة- مصر: 1987م.

المصادر والمراجع باللغة الأجنبية:

96- *J. Dubois & autres, Dictionnaire de linguistique, Larousse, paris, 2002.*

97- *G. Mounin, Dictionnaire de Linguistique.*

98- *G. Mounin, clefs pour la linguistique,16édition , seghers, paris.*

99- *J. Moeschler, Grand dictionnaire Encyclopédique, Larousse, 1997 (ave A. Reboul) .*

المجلات والدوريات:

100- "(أَرَأَيْتَ) وفروعه؛ دراسة لغوية"، عبد الله بن حمد (الدايل)، مجلة جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، العدد23، ديسمبر 2001م.

101- "جملة الموقع النحوي الواحد عند سيبويه"، محمود شرف الدين، مجلة اللسان العربي، مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي بالرباط، المغرب: دت.

102- " الدلالة بين ضرورة النص وإمكان التأويل؛ مقاربة لسانية لآليات القراءة وثقافة المقروء في التراث العربي"، أحمد (حساني)، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، العدد3، السنة2، جوان2006م.

103- "العبقرية الحجاجية في اللغة العربية، من خلال دراسة تداولية لسانية لسورة الإخلاص"، عز الدين (الناجح)، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، العدد6، السنة الثالثة، ديسمبر 2007م.

104- "العنونة وأسماء السور في القرآن الكريم"، عبد الرحمن (حسين)، صحيفة الحياة، عدد 2007/09/22م.

105- "من قضايا أسماء سور القرآن الكريم: دراسة لغوية وصفية"، عبد الله أحمد إسماعيل وعبد الله عبد الجليل (المناعمة)، مجلة الجامعة الإسلامية(سلسلة الدراسات الإنسانية)مجلد18، عدد01، جامعة الأزهر، غزة- فلسطين: يناير2010م.

الرسائل والمذكرات:

106- الأعلام في القرآن الكريم، الطالب: أحمد مصلح حسين دريدي، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، إشراف: أ.د/ يحي عبد الرؤوف جبر، 2000م.

107- أعلام المكان في القرآن الكريم: دراسة دلالية، الطالب: يوسف أحمد أبو ريدة، جامعة الخليل، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، إشراف: أ.د/ يحي عبد الرؤوف جبر، السنة الجامعية:2008/2007م.

فهرس موضوعات البحث

مقدمـــــة:	**ا**
الفصل الأول: بناء الحقل الدلالي ضمن نظريتي السياق والحقول الدلالية	**01**
- ا/ أهمية الدلالة في الدرس اللغوي	**02**
ا-1/ تعريف الدلالة(Sémantique)	**03**
ا-1-1/ الدلالة لغة	**03**
ا-1-2/ الدلالة اصطلاحا	**04**
ا-2/ مفهوم الدلالة وأنواعها عند علماء العربية القدامى	**05**
ا-3/ أنواع الدلالة في التراث اللغوي العربي	**09**
ا-3-1/ الدلالة الوضعيّة	**09**
ا-3-2/ الدلالة العُرفيّة	**10**
ا-3-3/ الدلالة الشرعيّة	**10**
ا-3-4/ الدلالة الصوتيّة	**11**
ا-3-5/ الدلالة الحقيقية والدلالة المجازية	**12**
ا-3-6/ الدلالة التضمنية	**14**
ا-4/ تعريف علم الدلالة(سيمانتيك- Sémantique)	**14**
ا-5/ ملامح النظرية الدلالية عند علماء العربية القدامى	**16**
ا-6/ معالم الدراسة الدلالية للقرآن الكريم عند علماء العربية القدامى	**18**
ا-7/ معالم الدراسة الدلالية للقرآن الكريم عند علماء العربية المحدثين	**19**
ا-8/ رؤية جديدة في البحث الدلالي في القرآن الكريم	**20**
ب/ الدراسة الدلالية للألفاظ القرآنية بين الحقل والسياق:	**22**
ب-1/ أنواع السياق	**22**
ب-1-1/ السياق اللغوي(Contexte verbale)	**22**
ب-1-2/ السياق المقامي(Contexte situationnel)	**23**
ب-2/ طبيعة السياق القرآني وخصائصه	**25**
ب-3/ نظرية الحقول الدلالية	**28**

ب-3-1/ تعريف الحقل الدلالي(Sémantic Field) 32
ب-3-2/ تحديد حقل دلالي 36
ب-3-3/ تحديد الحقول الدلالية وتصنيفها 39
ج/ تحديد الألفاظ المشكلة لحقل دلالي قرآني 44
ج-1/ أنواع الحقول الدلالية في النص القرآني 45
ج-1-1/ حقول التصنيفات اللغوية 45
ج-1-2/ الحقول الإحصائية 47
ج-1-3/ الحقول المفهومية 47
ج-2/ أبرز الحقول الدلالية في القرآن الكريم 48
ج-3/ بناء حقل دلالي قرآني(حقل ألفاظ الرؤية أنموذجا) 49
ج-3-1/ الكلمات الأساسية في بناء الحقل القرآني 50
ج-3-2/ الكلمات غير الأساسية في بناء الحقل الدلالي القرآني 56
ج-3-3/ الحقل المفهومي 62
الفصل الثاني: البناء الحقلي والمفاهيمي لألفاظ الرؤية 64
ا- البناء الحقلي للمفاهيم المتعلقة بحقل آلة الرؤية (عين) 65
ا-1/ دلالات ألفاظ المستوى الأول 65
ا-2/ دلالات ألفاظ المستوى الثاني 79
ب/ البناء الحقلي للمفاهيم المتعلقة بحقل لفظ آلية الرؤية (بصر) 86
ب-2/ دلالات ألفاظ المستوى الثاني 87
ج/ البناء الحقلي للمفاهيم المتعلقة بحقل ألفاظ طرائق الرؤية والترائي وآثارهما 102
ج-1/ ألفاظ الرؤية الدالة على طرائق الرؤية 102
ج-1-1/ دلالات ألفاظ المستوى الأول 102
ج-1-2/ دلالات ألفاظ المستوى الثاني 105
ج-2/ حقل ألفاظ طرائق الترائي 107
ج-2-1/ دلالات ألفاظ المستوى الأول 107
ج-2-2/ دلالات ألفاظ المستوى الثاني 112

ج-3/ حقل الألفاظ الدالة على آثار الرؤية والترائي	**114**
ج-3-1/ دلالات ألفاظ المستوى الأول	**114**
ج-3-2/ دلالات ألفاظ المستوى الثاني	**116**
الفصل الثالث: إسهام التكرار اللفظي في التبئير الدلالي للكلمة القرآنية	**126**
ا/ تحديد مفهومي الموقع والموضع	**127**
ب/ محددات التموقع والتموضع للمفردة في النص القرآني	**129**
ب-1/ التكرار الحقلي	**130**
ب-1-1/ التعريف اللغوي للتكرار	**130**
ب-1-2/ التعريف الاصطلاحي للتكرار	**130**
ب-2/ أهمية ظاهرة التكرار في القرآن الكريم	**132**
ب-3/ التكرار الحقلي	**134**
ب-4/ الانسجام في التكرار الحقلي	**135**
ب-5/ تكرار أسماء الأنبياء في القرآن الكريم	**135**
ب-6/ تكرار صيغ مادة(رأى) في القرآن الكريم	**138**
ب-6-1/ دلالات تكرار مادة رأى في القرآن الكريم	**142**
ب-6-2/ دلالات بعض مشتقات مادة (رأى)	**146**
ج/ إسهام التكرار في التبئير الدلالي للكلمة	**149**
ج-1/تعريف التبئير الدلالي	**149**
ج-2/ خصائص المفردة-البؤرة	**150**
ج-2-1/ الخصائص الاقتضائية (اللغوية)	**152**
ج-2-2/ الخصائص التداولية	**159**
ج-3/ التبئير الدلالي لثنائية(أعمى/بصير) في القرآن الكريم	**160**
ج-4/ تكرار لفظ (عمى) ومشتقاته	**164**
ج-5/ التبئير الدلالي لأسماء سور القرآن الكريم	**169**
ج-6/ التبئير الدلالي لمادة(بصر)	**175**
هـ-6-1/ تعريف البصر	**175**
هـ-6-2/ البصر والبصيرة في القرآن الكريم	**178**

ج-7/ التبئير الدلالي للفظ الجلالة (بصير) في أسلوب التذييل 179
الفصل الرابع: إسهام البؤر اللفظية في تشكيل الأبعاد المفهومية للحقل الدلالي (حقل ألفاظ الرؤية أنموذجا) 183
ا/ الأبعاد المفهومية للفظ الرؤية(رأى) في أسلوب الاستفهام بالهمزة 184
أ-1/ صيغ الاستفهام بالهمزة عن فعل الرؤية (رأى) 184
أ-2/ مستويات الخطاب في الاستفهام بالهمزة عن فعل الرؤية (رأى) 184
أ-3/ الأبعاد المفهومية للفظ الرؤية(رأى) في أسلوب الاستفهام بالهمزة 186
أ-3-1/إثبات الإلهية لله تعالى 188
أ-3-2/ إثبات الربوبية لله تعالى 193
أ-3-3/ التحذير من الشرك وعواقبه 198
أ-3-4/ الدعوة إلى الإيمان بالبعث 201
أ-3-5/ القرآن حق 204
أ-3-6/ حتمية ظهور الإسلام وغلبته 207
أ-3-7/ الحض على الجهاد 208
أ-3-8/ التحذير من صفات المنافقين 209
أ-3-9/ الدعوة إلى التمسك بكلمة الحق وهي الإيمان بالله 212
ب/ الأبعاد المفهومية للفظ الجلالة (بصير) في أسلوب التذييل 212
ب-1/ تمهيد 212
ب-2/ دلالات لفظ الجلالة (بصير) 215
ب-3/ دلالات ارتباط لفظ (بصير) بلفظي (سميع) و(خبير) 216
ب-4/ جدول مواضع التذييل بلفظ (بصير) في القرآن الكريم 218
ب-5/ الأبعاد المفهومية للفظ الجلالة (بصير) في أسلوب التذييل 220
ب-5-1/ بناء عقيدة التوحيد 220
ب-5-2/ الاستدلال على تفرد الله بالإلهية، واتصافه بصفات الكمال الحسنى 222
ب-5-3/ إثبات الإلهية والربوبية لله تعالى من خلال تصريفه لشؤون خلقه 225
ب-5-4/ الدعوة إلى الإيمان بالآخرة 229

ب-5-5/ استحضار مراقبة الله تعالى 231
ج/ الأبعاد المفهومية للفظ الرؤية(نظر) في القرآن الكريم 233
ج-1/ تعريف مفهوم النظر في اللغة 233
ج-2/ الأبعاد المفهومية للفظ (نظر) 236
ج-2-1/ الدعوة إلى استخلاص المعرفة الحاصلة عن التأمل الحسي والعقلي 236
ج-2-2/ الاعتبار بالمشاهد الكونية والحوادث التاريخية والغيبية 237
ج-2-3/ الإحسان من آثار النظر إلى العباد 238
ج-2-4/ تَوَعُّدُ الكافرين بالعذاب، والوعد بعدم تأخيره عنهم 238
ج-2-5/ تنمية الملكات الحسية والعقلية للإنسان 239
ج-2-6/ الاستمساك بمنهج الله تعالى من خلال التدبر في الأحداث والنوازل 240
خاتمـــة 241
فهرس المصادر والمراجع 246
فهرس موضوعات البحث 257

ملخص البحث:

وقد كانت نظريتا السياق والحقول الدلالية، أهم نظريتين شكلتا المحور الرئيس لعلم الدلالة، وحولهما دارت أغلب بحوثه، التي ركزت على الكلمة ودور المناهج اللغوية في دراسة دلالاتها، باعتبارها–أي الكلمة– الوحدة الأساسية لكل من النحو وعلم الدلالة.

وهذا البحث ينطلق من فكرة أن الدراسة الدلالية للقرآن الكريم يجب أن تهدف إلى بيان شبكة المفاهيم القرآنية المتصلة بالعلاقة بين الله والإنسان، ويمثل اللفظ أو الكلمة المفتاحية الأداة الأبرز في بيان تلك المفاهيم. إن اختيار مجال مفاهيمي (حقل دلالي) في القرآن الكريم ليكون موضوعا للدراسة هو الخطوة الأولى لفهم الشبكة المعقدة من المفاهيم القرآنية، أو من الرؤية التي تكونها اللغة القرآنية عن عالم الإنسان وعلاقته بغيره.

ويحاول هذا البحث استيضاح بعض الأسس التي يبنى على أساسها الحقل الدلالي القرآني، كما يحاول استخلاص بعض ملامح تشابكات حقوله وتشكيلها للمفاهيم القرآنية، وهو محاولة لتقييم الأفكار المتمخضة عن الدراسات التصنيفية للألفاظ القرآنية، وذلك بالإجابة على مجموعة أسئلة، من أهمها:

– ما هي الأسس التي يجب أن يعتمدها الباحث في بناء حقل دلالي قرآني؟

– ما هي ملامح تشكيل الحقل الدلالي القرآني؟

– كيف يسهم الحقل الدلالي في بناء المفاهيم القرآنية؟

وسنتخذ من حقل ألفاظ الرؤية أنموذجا ننطلق منه في هذه الدراسة؛ وألفاظ الرؤية هي كل الألفاظ المتعلقة بالرؤية مهما كانت طبيعتها؛ رؤية بآلة الرؤية التي هي جارحة (العين)، أو رؤية قلبية متعلقة بالمعاني الحسية والروحية (البصيرة)، أو رؤية علمية متعلقة بالمعاني العقلية الناتجة عن التفكر والتدبر، أو رؤيا منامية (حُلُمية)، أو رؤية ربانية لا تشبيه فيها ولا تأويل، ولا تعطيل.

Résumé :

Les théories du contexte et les champs sémantiques ont longtemps constitué l'axe principal de la signification et autour desquelles se sont articulées la plupart des travaux de recherche, et qui se sont basées sur le mot et surtout le rôle des méthodes linguistiques dans l'étude de ses significations, étant donné que n'importe quel mot ; unité fondamentale à chaque lexique et précisément à la science de signification.

Ce présent travail de recherche prend son point de départ, à partir de l'idée qui suppose que l'étude sémantique du Coran doit viser à montrer le réseau des concepts coraniques relatifs au rapport unissant l'homme à son Dieu et représentant au même temps le terme ou le mot clé ; outil nécessaire dans la mise en évidence de ces concepts. Le choix du champ conceptuel (champ significatif) dans le Coran afin qu'il soit en premier lieu l'objet d'étude pour la compréhension du réseau complexe des concepts coraniques, ou d'une vision constituant la langue coranique de l'univers de l'homme et sa relation avec l'autrui.

Cette recherche tente d'éclaircir quelques fondements sur lesquels se bâtit le champ significatif du Coran. Il essaie aussi de déduire quelques indices du croisement entre ses champs. Il s'intéressera à la construction des concepts coraniques, et aussi il est considéré comme une tentative d'évaluation des idées issues des études de classification des termes coraniques et ce, par le fait de répondre à un ensemble de questions, parmi lesquelles nous citons :

- *Sur quoi doit se baser la recherche pour construire un champ significatif coranique ?*
- *Quels sont les indices et les paramètres de la constitution de ce champ ?*
- *Comment contribue le champ significatif dans la construction des concepts coraniques ?*

Quant au champ des termes de vision, nous allons le considérer comme un modèle constituant le point de départ de cette étude, et les termes de vision ou de perception qui sont tous les mots ayant relation avec la vision quelle que soit sa nature : vision faite avec un moyen ou un outil ; vision indépendante de l'œil, vision effectuée par le cœur, ayant lien avec les significations concrètes et abstraites (la clairvoyance)ou encore vision scientifique ayant rapport avec les significations cérébrales qui résultent de la réflexion et de la contemplation, vision adéquate (de rêve), vision divine ; incomparable, et qui n'admet pas l'interprétation, ni le blocage.